الإسلام
يقود الحاكم والمحكوم

تأليف
أحمد محمد عركز



تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨٠ / ٠٣ - الإسكندرية

الإســـلام
يقــود الحاكم والمحكــوم

تأليف

أحمد محمد عركز

الطبعة الأولى

٢٠١٢م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

اهدي هذا الكتاب(الإسلام يقود الحاكم والمحكوم) إلى:
الشيخ العلامة المحقق والدي الشيخ / محمد عركز
الذي علمني وعلم العلماء فأرشد إلى كل خير .
وإلى والدتي التي ربتني وهذبتني بالقرآن الكريم .
وإلى كل من يريد أن يسير في طريق الحق والحقيقة.
أرجو من الله عز وجل أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل .

المؤلف
أحمد محمد عركز

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر واجب

الشكر كل الشكر لله عز وجل واهب النعم وموفق العباد

ثم إلى كل من :

الأستاذ : محمود أحمد محمود

الأستاذ : ياسين جابر

الأستاذ : حسام السيد الفرماوي

على جهودهم المشكورة في إخراج هذا الكتاب .

المؤلف

أحمد محمد عركز

عدل الحاكم

بالعـــدل قامـــت شـــرعةٌ وهُـــداها
بالقـــسط والميـــزان قـــد أرســـاها

ربُ الأنـــام بفـــضله وبعدلـــه
رفـــع الـــسماوات العلـــى ســـوّاها

لا فـــرق بـــين الخلـــق فـــي أجناســـهم
أعلـــى المراتـــب عنـــده أتْقَاهـــا

نهـــج الأمـــين محمـــد مـــع صـــحبه
العـــدل أصـــل الملـــك منـــذ نَـــشاَها

الله ينـــصرُ مـــن عبـــاده عَـــادلاً
لا مـــسلمٍ بـــالظلم فـــوق ثَراهـــا

والـــصادق الـــصدّيقُ يحمـــل رايـــة
أن قَوِّمُـــوني لـــو أَضَـــعتَ حماهـــا

عمـــر تأهَّـــل للخلافـــة بعـــده
مـــازال يمـــسك للحقـــوق عُرَاهـــا

جـــاء الـــسفير لأهـــل فُـــرْسٍ شـــاهدا
وَجَـــدَ الخليفـــةَ نائمًـــا بفَلاَهـــا

قـــال الحقيقـــة مـــن أراد تَـــدبُّرا
بالعـــدل نِمْـــتَ قرير العَـــين ترضـــاها

فَرِضَـــت علـــى الإنـــسانِ طاعـــةَ ربِّـــه
وأُوْلـــو الأُمـــور وحَـــسْبَمَا وَلاَّهـــا

وإطاعـــة الحكـــام رَهْـــنَ فريـــضة

إن ســـارتَ الحُكَّـــام وِفْـــقَ هَواهـــا

وجبت علـــى المحكـــوم رفـــض إطاعـــة

بالنُـــصّحِ حِينًـــا، دون أن يخـــشاها

فـــإذا اســـتقاموا ولـــم يعـــودوا لظلمهـــم

نِعْـــمَ النَـــصيحة . نِعْـــمَ مـــن أدَّاهـــا

والأمـــةُ العليـــاءُ عنـــد فـــسادها

وَيْـــلٌ تـــراه بِلَيْلهـــا وضُحَاها

الله يَبْقَـــى للزمـــان وشَـــاهِدٌ

هـــو خـــالقٌ وبِعَدلِـــهِ سَـــوَّاها

إهداء الشاعر / ياسين جابر

عضو اتحاد كتاب مصر

وعضو جمعية الكتاب والأدباء المصرية العربية

ونائب رئيس مجلس إدارة جماعة الأدب العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم المؤلف
الإيمان والعمل الصالح

اللهم صل وسلم وبارك عليك يا رسول الله صلاة دائمة أبداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك ولـه الحمـد وهو على كل شيء قدير وإليه المصير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وأشهد أن مُحمد عبدك ورسولك وصفيك من خلقك وخليلـك أدى الأمانـة وبلـغ الرسالة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

إن الإيمان والعمل الصالح هو الذي يجلب الخير كل الخير ويجلب الرزق وراحة النفس والضمير كما أنه يجلب السعادة في الدنيا وفي الآخرة كما أنه يجلب التمكين في الأرض فإن الله عز وجل قال ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] ذلك هو وعد الله عز وجل للـذين آمنـوا وعملوا الصالحات بالتمكين في الأرض وعدهم بالأمن والأمـان والسلامة والإسلام، وعدي بن حاتم ﷺ وهـو صـحابي مـن

أصحاب رسول الله ﷺ عندما أسلم كان أهل الإسلام في ضيق من العيش وفي كرب كانوا لا يجدون الزاد إلا بالكاد جاء إلى رسول الله يشكو له ما يراه من أحوال أهل الإسلام فقال له رسول الله ﷺ أتعرف الحيرة – وهو مكان يبعد عن مكة شوطاً طويلاً – قال لا يا رسول الله ما ذهبت إليها ولكني سمعت بها فقال والذي نفسي بيده ليُتمن الله عز وجل هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار – أي أن المرأة الضعيفة تخرج بمفردها في غير صحبة من الناس أو حراسة وهى آمنة على نفسها وتعبر كل تلك الصحراء من هذه المسافة البعيدة ليس معها إلا الله عز وجل حتى تطوف بالبيت لا تخاف شر الناس فكانت في أمن وأمان وتلك هى الأولى – ثم قال رسول الله ﷺ ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز فتعجب عدي بن حاتم وقال يريد أن يتأكد كسرى بن هرمز – وما أدراك ما كسرى فقد كان في زمانه وكأنه رئيس أكبر دولة في زماننا الآن مثل أمريكا لذلك تعجب لها عدي بن حاتم – قال رسول الله نعم كسرى بن هرمز، وكانت تلك الثانية بأن نتيجة الإيمان والعمل الصالح أن تنتصر على الجبارين والظالمين وتقصم ظهورهم فكانت تلك مكافأة من الله عز وجل، ثم كانت الثالثة فقال رسول الله ﷺ ولتبذلن المال حتى لا يقبله أحد – من كثرة الأموال في أيدي الناس أن يخرج المنفق بنفقته بصدقته بزكاته فلا يجد فقيراً أو محتاجاً أو مسكيناً يقبل منه الصدقة الكل

قد أغناه الله بالإيمان والعمل الصالح فكانت أمة مُحمد ﷺ أمة يفيض فيها المال ومن ثم السعادة واليسر على كل خلق الله من أهل الإسلام – قال عدي بن حاتم أما الأولى فقد رأيتها وقد غادر رسول الله الدنيا ولم تكن تلك الجوائز قد تحققت ولكنه كلام المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قال عدي أما الأولى فقد رأيتها فهذه الظعينة تخرج من الحيرة وتطوف بالبيت في غير جوار وأما الثانية فقد كنت ممن فتح كنوز كسرى مع جيش أهل الإسلام الذي قهر مملكة الفرس وأما الثالثة فإنها سوف تكون بإذن الله عز وجل لأن مُحمداً هو الذي قالها .

إن الإيمان والعمل الصالح إنما يجلب الخير كله والسعادة كلها وأما الكفر والخبث فإنما يجلب على أهله الوبال وسوء العاقبة فإن الله عز وجل يقول ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]

وعد الله عز وجل لأهل الإيمان والتقوى بالكفاية من كل شيء والبركة في الرزق وأن يخرج لهم الكنوز من الأرض وينزلها عليهم من السماء وأما إن وجدنا ضيقاً في الرزق وكرباً في العيش وهماً في النفس وخوفاً من كل شيء فتلك بالضرورة عاقبة المكذبين الذين لم يسلكوا سبيل رب العالمين لذلك هم من الخاسرين فإن الله عز وجل يقول ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا

بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦-٩٩] ويقول الله عز وجل ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] تلك الأمثال من الله عز وجل لقرية أهلها ممن يعملون الصالحات ويسارعون في الخيرات فأغدق الله عز وجل عليهم نعمه فماذا صنعوا كفروا وأنكروا نعم الله عليهم وخالفوا أوامر الله فكانت النتيجة أن صب الله عليهم العذاب صباً وأصابهم بنقص في الرزق وبهم وكرب في العيش .

ورسول الله ﷺ يقول لأصحابه ذات يوم أين أنتم وكيف انتم ماذا تقولون وماذا تفعلون إذا ظهر فيكم خمس وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركونها- خمسة أمور حددها في حياة العباد فإنه علم أنها سوف تكون بين الناس ولكن فيمن هم بعد أصحابه من الأمم التالية لهم أي قد يكونوا نحن فإن قوله موجه لمن يأتون بعدهم – فقال ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يُعمل بها علانية إلا أصابهم الله عز وجل بالأوجاع والأسقام التي لم تكن في أسلافهم – يقول لنا رسول الله ﷺ إن تلك من أسباب تفشي الأمراض الخطيرة المستعصية على العلاج المنتشرة كالوباء لم يعرف بها الناس من قبل بسبب ممارسة الناس للفاحشة علانية جهاراً نهاراً

وهذا ما يراه كل ذي بصيرة في تلك الأيام من ارتكاب للمحرمات بداية من النظر إلى العورات التي تمشي في الطرقات بغير حافظ ولا حفيظ وقد أمر الله عز وجل أن تحفظ العورات عن الناس فإن أحد أصحاب رسول الله قال له يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما ندع قال أحفظ عورتك إلا عن زوجتك قال يا رسول الله إن كان الناس بعضهم في بعض قال إن استطعت ألا يراها أحد فلا يراها أحد قال يا رسول الله إن كان أحدنا خالياً قال فإن الله عز وجل أحق أن يُستحى منه . ورسول الله ﷺ يقول لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة – فإن كان ذلك محرماً فما بالك إذا نظر الرجل إلى عورة المرأة أو نظرت المرأة إلى عورة الرجل فذلك أشد حرمة وذلك التشديد لأن كل الموبقات تأتي بداية من تلك النظرة المحرمة وما يترتب عليها من محرمات مثل الزنا، ومرض مثل الإيدز هو خير شاهد على قول رسول الله ﷺ فلو لم يكن إلا ذلك الحديث قاله رسول الله لكان دليلاً على أنه نبي مرسل من رب العالمين – والأمر الثاني قال رسول الله ﷺ ما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان – والبخس في الكيل والميزان هو كل ظلم بين الناس من سرقة وغش وخداع ونصب ومحسوبية وإعطاء الحق لمن لا يستحقه وأكل أموال الناس بالباطل وهو الظلم بكل أشكاله فما عاقبة ذلك إنما هو ما نراه الآن من قلة الرزق وكدر العيش

والوقوف في طوابير أمام المخابز للحصول على الخبز فذلك لأن في الأمة ناساً أخذت حقاً غير حقها واغتصبت أموالاً ما لها فيها من حق فذلك كرب وغم يقع على الناس بل والأكثر منه أن يسلط الله عليهم الحاكم الظالم الذي يجور عليهم ويستحل أكل أمـــوالهم جميعاً يولي الله عليهم من لا يتق الله فيهم وذلــك مــن حــصائد أفعالهم وظلمهم بعضهم بعضا فلا يأخذ أحد إلا حقه ولا يجــور على حق أخيه – ثم يقول رسول الله ﷺ وما منــع قــوم زكـــاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لــم يُمطــروا – لماذا نجد فقيرا أو مسكينا يمد يده للسؤال لماذا نجد عرياناً أو من لا يجد طعاما إلا في القمامة؟ لأن هنـــاك الكثيــر مــن النـــاس لا تُخرج زكاة أموالها لذلك يمنع الله عز وجل عنهم المطر الذي تقوم عليه الحياة حتى تجف الأنهار ولا ينزل ذلك المطر إلا قليلاً ليس من أجل الناس لأنهم يستحقونه بل مــن أجــل رحمـــة الله عزوجل بالبهائم التي لا حول لها ولا قوة فإذا أردنا أن ينزل الله علينا بركات من السماء فلنخرج زكاة أموالنا حتى لا يحرمنا الله عز وجل من أسباب الحياة ولولا البهائم ما حصلنا علـــى القـــدر اليسير منها فإن رسول الله ﷺ يقول لولا أطفال رضع وشــيوخ ركع وبهائم رتع لصب الله عز وجل عليكم العذاب مــن الـــسماء صباً – ثم يقول رسول الله ﷺ الرابعة فيقول وما لم يعملوا بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله إلا جعل الله بأسهم بينهم – إذا عمـــل الناس بكتاب الله وسنة نبيه فيما بينهم لما كان ظلم فقد قال رسول

الله ﷺ تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتـــاب الله وسنتي عضوا عليها بالنواجز، فإذا رأينا الشقاق والاخـــتلاف والبغضاء والمشاحنات والخصومة بين الناس لأقل الأسباب فلنعلم أنهم لم يعملوا بما أنزل الله في كتابه ولا ما جاء في سنة نبيـــه – وأما الخامسة قال رسول الله ﷺ وما لم يحكم أمراءهم بكتاب الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستنفذوا بعضا مما في أيديهم – ومـــا أدل على ذلك مما يحدث في بلاد الإســـلام كمـــا فـــي العـــراق وأفغانستان وكثيرا غيرها وكما في فلسطين التي كدنا أن نفقـــدها كلها بسبب البعد عن كتاب الله عز وجل وعن حكم الله الذي جاء فيه .

إن غاية كل إنسان في هذه الـــدنيا ثلاثـــة أمـــور الأمـــان والصحة والكفاية أن تكون آمناً وصحيحا في بـــدنك خاليـــا مـــن المرض وأن يكون عندك ما يكفيك فإذا حصلت عليها فأنت أسعد من الملوك فإن رسول الله ﷺ يقول من أصبح آمناً سربه معـــافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحـــذافيرها، والله عز وجل يقـــول ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحـــــل :٩٧] ويقول الله عز وجـــل ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طـــه : ١٢٣] إن الله عز وجل أرسل رسله بالهدى ودين الحق فمن سار واتبع ذلك

الهدى وهذا الطريق فلا يصيبه الشقاء ومن أعرض عن ذكـــري من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله وعن دين الإســـلام مـــن أعرض عن الإيمان والعمل الصالح فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى له في الدنيا معيشة ضنكا من قلة فـــي الـــرزق وصعوبة في العيش وكرب وهم فإن له معيشة ضـــنكا ونحـــشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بـــصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى، كان بصيرا حاد البصر في الدنيا ولكنه لم ينظر ببصره إلى ما أمره الله في كتابه ونساه ولم ير الهدى والفلاح إنما رأى كل ما نهى الله عنه فحشر يوم القيامة أعمى، ورسول الله ﷺ يقول إياكم والمعاصـــي فـــإن العبد يذنب الذنب فيمنع به رزقا كان قد هُيأ له ثم قرأ رسول الله قول الله عزوجـــل ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ [القلم : ١٩-٢٠] يقول رسول الله إذا أردت سعة في الرزق فإيـــاك والمعاصي فإن الله يكون قد هيأ لك رزقا وكتبه لك فإذا فعلت ذنبا رفعه الله عنك ثم ضرب مثلا بأصحاب الجنة كما ذكرها الله عز وجل في كتابه الذين كانت لهم جنة أي بستان كبير ورثوه عـــن أبيهم الذي كان يفعل الخير ويطعم المسكين والفقير من تلك الجنة وعندما ورثوها اجتمعوا على ألا يدخلها اليوم عليهم مـــسكين أي يمتنعوا عن فعل الخير كما كان يفعل والدهم وعقدوا أمـــرهم ألا يطعموا منها فقيراً أو مسكيناً فما كانت النتيجة إلا أن أرســـل الله عليها طائف وهم نائمون فدمرها وأحرق ما بها من زروع حتى

أصبحت كالصريم فلما أصبحوا وذهبوا ليجنوا ثمارها لم يجـــدوا بها شيئاً فظنوا أنهم قد ضلوها ولكن عندما تيقنوا منها علموا أنهم هم السبب فيما نزل عليهم من رب العالمين من نكال ذنبا واحـــدا اقترفوه حرموا به خير جنتهم ثم ندموا حيـــث لا مكـــان للنـــدم، ويقول قائل إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل الـــنعم، إذا كنت في نعيم حاول أن تحافظ على ذلك النعيم بعدم ارتكـــاب المعاصي وكن مع الإيمان والعمل الصالح وأن تـــذكر الله دائمـــا لأن ذكر الله يزيل النقم كما علمنا رسول الله ﷺ، والله عز وجـــل يقـــول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] الذين تمسكوا بالإيمان لا يظلمون أحدا ولا يغتصبون حقا من أحد بل كانوا مع العمل الصالح الذي يهديهم دائمـــا إلـــى طريق الفلاح والهدى، ورسول الله ﷺ يقول ليس الإيمان بالتمني ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. فلا يقـــول أحـــد الناس أنا مؤمن بينما هو يعمل بعمل غير صالح فيـــه فـــساد أو إفساد بل يجب أن يكون عمله مصدقا لما يقول وما هو في قلبـــه فإن العمل هو دليل ما في القلب فإن هناك بعـــض النـــاس فـــي الآخرة وهم وقوف أمام رب العباد ليحاسبهم ولا يدرون أيكـــون الواحد منهم من أصحاب اليمين أم من أصحاب الـــشمال فيؤخـــذ بهم إلى الجحيم وهم يقولون كنا نحسن الظن بـــالله فقـــد كـــانوا يفعلون الموبقات في الدنيا وإذا وعظت الواحد منهم وذكرته بيوم

الحساب يقول إن ربك غفور رحيم قالوا كنا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل .

يقول رسول الله ﷺ إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب، حتى ما أفاء الله عليه من نعم كالعلم أو حفظ القرآن أو نعمة الدراسة والتحصيل للعلوم المختلفة فعليه ألا يقترف المعاصي حتى لا تزول عنه تلك النعم التي وهبه الله إياها، فإن الإمام الشافعي رضي الله عنه وقد كان من أعلم وأفقه الناس في عصره ومن أزكاهم خلقا ذهب إلى معلمه واسمه وكيع فقال الشافعي : ذهبت إلى وكيع أشكو إليه سوء حفظي فدلني إلى ترك المعاصي وقال إن العلم نور ونور الله لا يُهدى لعاص – هو ذهب إلى المعلم يشكو بأن العلم يطير من رأسه ولا يثبت فيها وهو الإمام الشافعي فما بالك بمن دونه .

كونوا أيها الناس مع الإيمان والعمل الصالح، كونوا مع كتاب الله عز وجل وسنة رسوله تُحشروا مع الصالحين وتدخلوا جنة رب العالمين ويكون لكم الرزق الوفير والصحة في الجسد والأمان من كل شر ويكون لدين الإسلام التمكين في الأرض كما مكن لصحابة رسول الله ﷺ .

المؤلف
أحمد محمد عركز

وصية رسول الله ﷺ لمفروق

لقد ترك لنا رسول الله ﷺ وصية إذا أخذنا بها فإن مآلنا إلى جنة رب العالمين وإنها لنا النور الذي يهدينا إلى السبيل المستقيم وإنها الخير كله الذي إذا تعاملنا به كانت الدولة والدين وكان الشعب والحاكم إنما هم في رحمة متبادلة وحب عظيم .

رسول الله ﷺ ما ترك الحج ولا العمرة لا في جاهلية ولا في إسلام قبل الهجرة و كثير من الناس تعلم أن رسول الله ﷺ قد حج حجة واحدة في حياته وما كان الأمر كذلك فإن رسول الله ﷺ عندما آذاه قومه في مكة واشتد به البطش علم أن مكة قد تشبعت بدعوته وأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن وأنه يجب عليه أن ينشر دعوته في الأرجاء فكان إذا خرج حاجا أو معتمرا يحاول أن يقابل زعماء لقبائل من مدن أخرى كي يكونوا سندا له وعضدا وكان في تلك اللقاءات يكون معه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما الصديق يؤازر بعلمه وثقافته ومعرفته للناس وعلي يؤازر بشجاعته وقوته وشبابه، فعن علي ﷺ قال يحكي لنا تلك القصة يقول خرجت مع رسول الله في الموسم أي في الحج ومعنا الصديق فلما أقبلنا على قوم قال الصديق وقد كان عالما بأنساب العرب وتاريخ القبائل قال ممن القوم قالوا من بني شيبان وكانوا شيوخا ذا حنكة وخبرة ولهم قدرهم ومنهم مفروق بن عمرو والمثنى بن حارثة الشيباني

والنعمان بن شريك عندما جلس إليهم رسول الله ﷺ وعرفه إليهم الصديق وقف الصديق على رأس مُحمد ﷺ يظله من حر الشمس فقال له مفروق وقد كان قائد تلك الجماعة والزعيم فيهم قال لرسول الله ﷺ إلى ما تدعوا يا أخا قريش – سؤال محدد إلى أي شيء تدعونا – قال رسول الله ﷺ أدعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تؤوني وتنصروني حتى أبلغ أوامر الله عز وجل فإن قريشاً كذبتني واستغنت بالباطل على الحق وأن الله عز وجل هو الغني الحميد – قال تلك الكلمات ولكن هؤلاء الناس يريدون زيادة في البيان هو يدعوهم إلى الشهادة بالله فأي إله يعني ويقصد فإن لهم آلهة كثيرة ثم يدعوهم ليؤمنوا به نبيا فما هو الدليل ثم يطلب منهم النصرة والتأييد ثم يشكو إليهم قومه فكانت كل تلك الأمور تحتاج إلى إيضاح وتفسير وبيان – فقال له وإلى ما تدعوا أيضا يا أخا قريش، فماذا يقول لهم فإن خير ما تدعوا به الناس إلى دين الإسلام إنما هو كتاب الله عز وجل وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله المنزل على عبده مُحمد ﷺ ، فقال قول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٠-٩١] تلك الآيات تلقاها ذلك الرجل الخبير بلغة ولسان العرب وهو الأديب الذي يعلم المعاني والمرامي فبماذا أجابه مفروق قال والله ما هذا من كلام العرب –

لأن هذا الرجل من علمه يعلم سر صنعة تلك اللغة ومفرداتها بينما إذا مرت على أحدنا تلك الآيات قد لا نتوقف عندها وتمر علينا مرور الكرام ولكن الذي يعلم اللغة ويغوص في بطونها يعلم أنها ليست من كلام البشر لذلك قال ما هى من كلام العرب ولو كانت من كلام العرب من كلام الشعر والأدب والنثر والبلاغة لعرفناه وعلمناه، وكذلك قال مثل قوله من قبل أحد عتاة الكفر في مكة عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له يا مُحمد أتلو عليَ شيء مما انزل عليك فقرأ عليه تلك الآيات فقال هذا المشرك في تلك الآيات إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول بشر – ذلك لأن الآيات تأمر بالإحسان في كل شيء فإن الله عز وجل كتب الإحسان في كل شيء حتى في ذبح البهائم فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته، كما انه يأمر بصلة الرحم حتى أن الله يصل من وصلها ويقطع من قطعها ويحث على البر بالآباء والأمهات والعطف على الصغار فإن تفسير تلك الآيات يحتاج إلى عدد كبير من الصفحات لو أردنا تفسيرها وإخراج كل ما فيها من الكنوز – ثم قال مفروق لرسول الله وإلى ما تدعو يا أخا قريش هو يريد أن يستوعب ويحصل المزيد فقال له رسول الله قول الله عز وجل ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ

وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
[الأنعام: ١٥١-١٥٣]

عندما سمع ذلك الرجل الذي كان على الشرك والكفر قال والله يا أخا قريش إنك لتدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك – إلى ماذا يدعو هذا الدين إلى مكارم الأخلاق فإن رسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل يحب معالي الأخلاق ويكره سفافها فإذا كان الأمر كذلك فأفك قوم يكذبون ديننا ويطعنون فينا وفي أخلاقنا وأفك قوم يسبون مُحمد ﷺ ويتطاولون علينا ويرموننا يتهم إفك وبهتان وسوف يزلهم الله عز وجل قريبا إن شاء الله فإن الحق أحق أن يُتبع لأن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة حتى وإن عاشت قروناً فهي عند الله لا تساوي شيئا إنما الباقي إلى يوم يوم القيامة هى دعوة الحق وكلمة الحق، كيف يكذبون بالتوحيد وقد حرم علينا أن نشرك والتوحيد يؤدي إلى جنة رب العالمين ومعاذ بن جبل ﷺ يقول أردفني رسول الله ﷺ خلفه على دابته وقال لي يا معاذ قلت لبيك وسعديك يا رسول الله ثم سكت ثم قال يا معاذ

– وذلك أسلوب لشد انتباه السامع – قال أتدري ما حق الله على العباد – يسأله بينما هو يعرف الإجابة ولكنه يريد أن يسمع منه – قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قال يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله قال أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال ألا يعذبهم وأن يدخلهم الجنة .

أبواب الجنة مفتحة على ذلك الشرط ألا تشرك به شيئا ورسول الله ﷺ قال لأبي ذر ﷺ يا أبا ذر جاءني جبريل فبشرني وقال لي يا مُحمد من مات من أمتك لا يُشرك بالله شيئا دخل الجنة فقال أبو ذر وإن سرق وإن زنا وإن شرب الخمر وكررها ثلاثا فقال رسول الله يدخل الجنة رغم انف أبي ذر أو كما قال رسول الله ﷺ، فإذا شهدت أن لا إله إلا الله وعلمت أنه المهيمن والقادر والقوي وتعاملت وتجاوبت معها عملت بقول الله عزوجل ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١] وكيف لا نحسن إلى الوالدين وهم سبب وجودنا في هذه الدنيا بإرادة الله عز وجل وكيف لانُحسن بهما وقد أمرنا الله بالإحسان بهما وبرهما وكذلك الإحسان بذوي القربى والأرحام فإن رسول الله ﷺ أغلظ القول في قطيعة الرحم ويقول ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عز وجل عقوبته لصاحبه في الدنيا على ما أعده الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم، ثم تأتي باقي الآية ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن

نرزقكم وإياهم من الرازق إنما هو الله عز وجل هل أنت تــرزق نفسك أو حتى تطعم نفسك إلا بإرادة الله ولو شاء الله ما وصــلت اللقمة إلى فمك رغم وجودها في يدك إنما هى إرادة الله عزوجل.

وعبد الله بن مسعود ﷺ قال قلت يا رسول الله أي الــذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قــال أن تقتــل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قــال أن تزنــي بحليلــة جارك.

ثم تأتي باقي الآية الكريمة ولا تقتلوا النفس التي حــرم الله إلا بالحق تلك النفس وهى أي نفس فإنها بنيان الله وملعون مــن هدم بنيان الله وإذا كان رسول الله يقول لنا في قتل النفس حتــى فيمن هو على غير ملتنا فقال من قتل ذمياً أو معاهدا لــم يــرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين سنة فكيف فيمن يقتل مسلما أو مؤمنا فكيف بالذين يقتلون بعضهم بعضا في أماكن كثيرة في بلاد الإسلام وكيف استباحوا ذلك .

ثم يقول الله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هــى أحسن حتى يبلغ أشده فإن رسول الله ﷺ يقول أنا وكافــل اليتــيم كهذين في الجنة ويشير بإصبعيه الوسطى والسبابة دلــيلاً علــى التلازم فإذا كان الأمر كذلك في دين الإسلام فهو للحث على بــر اليتيم ورعايته وكفالته وحمايته فما تكون عاقبة من يأكل ماله فإن الذي يحميه ويأخذ له حقه إنما هو رب العالمين .

ثم يقول الله عز وجل وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها نجد الناس تشكو ضيق العيش والغلاء والضنك وقلة البركة وكل ذلك ما هو إلا حصائد أعمالهم من تفشي الظلم بين الناس المتمثل في بخس الكيل والميزان .

وبعهد الله أوفوا هو أمر واضح من الله عز وجل للناس بأن يوفوا العهد فيما بينهم وبين الله أولاً وكذلك بالضرورة الوفاء بالعهد فيما بين الناس بعضهم بعضا وأن يقولوا ويشهدوا بالحق ليس بالزور والبهتان حتى وإن كان هذا الحق على أقرب الناس.

بعد أن قرأ رسول الله ﷺ على مفروق تلك الآيات وهى بمثابة وصية أوصانا بها فيجب أن نتدبرها ونعمل بها ونحفظها عن ظهر قلب إن أردنا الطريق المستقيم كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ قال من أراد أن يطلع على وصية مُحمد ﷺ التي لم يفض خاتمها – وكأنها في جراب وذلك الجراب مختوم – فيقرأ هذه الثلاث آيات من سورة الأنعام ثم تلاها .

وعبد الله بن عباس ﷺ وهو حبر هذه الأمة ومعلم القرآن يقول في القرآن آيات محكمات منها ثلاث آيات في سورة الأنعام لا تُنسخ إلى يوم القيامة

كما قال كعب الأحبار إن تلك الآيات إنما هى مفتتح التوراة.

إن تلك الآيات لا يسعها المكان أو الزمان وكل جملة فيها تحتاج إلى عشرات الصفحات لتفسيرها لذا نرجو الصفح عنا إن

اختصرنا فيها بالقدر الذي قد يخل بمضمونها إلا إن أبلغ ما قيل فيها إنها وصية رسول الله ﷺ لأمته .

وبعد أن فرغ منها رسول الله على مسامع القوم طلب منهم النصرة فاستجابوا بعد أن اطمأنوا لكل ما جاء في تلك الآيات وعلموا إنها الحق بيقين فقالوا ومفروق كان بليغا ولكنه ليس صاحب الحرب فقد كان المثنى بن حارثة بمثابة وزير الدفاع في بني شيبان التي كانت على الحدود مع إيران قالوا إن كنت تريد أن ننصرك فيما يلي العرب فإن الذنب عندهم مغفور والعذر مقبول أما إذا أردت ان ننصرك من تجاه فارس فالذنب عندهم غير مغفور والعذر غير مقبول – ورسول الله ﷺ في مكة ما كان يسعى لحرب الفرس ولا الروم ولكنه ما كان يريد إلا نصرا على أهل الشرك من قوم مكة الذين يناصبونه العداء وفي نفس الوقت ما أراد أن تُقسم الآيات فيأخذوا بعضها ويتركوا الأخر لأن دين الإسلام هو كل متكامل إن كذبت بآية واحدة فقد كذبت بالكتاب كله وكنت من الكافرين فماذا قال لهم رسول الله –ﷺ– قال ما أسأتم القول إذ أفصحتم بالصدق ولكن ذلك الدين لا يقوم به إلا من أحاطه من جميع جوانبه – الذي يؤمن برسالة الإسلام لابد أن يأخذها كاملة لأن الله أخذ على اليهود ذلك فقال ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] بأن أخذوا من التوراة وأخفوا كثيرا منها .

ورسول الله ﷺ ما كان لييأس في تلك الشدة وذلك الكرب وهو يطلب النصرة والخروج من بين أهل الشرك سالما ليكمل

دعوته فيقول لهم أرأيتم إن لم تلبثوا قليلاً حتى يطأكم الله أرضهم ويورثكم أموالهم أتحبون الله وتقدسونه - أي لا يمر إلا قليل حتى تنتصروا على هؤلاء القوم الذين تخافونهم، ونحن إذا تأسينا برسول الله ﷺ نقول في أيامنا هذه لأعداء الإسلام في كل مكان في الأرض من شرق إلى غرب فقد وعد الله عز وجل عباده الصالحين بأن يورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم والله عز وجل يقول ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] فإننا بإذن الله لمنصورون ونحن في الشدة نتأسى برسول الله ﷺ عندما كان في شدته .

وفي زمن الصديق ﷺ وأرضاه نجد المثنى بن حارثة الشيباني يدك حصون دولة الفرس دكاً وتأتي الأخبار إلى الصديق بفتوحات الشيباني فيقول من هذا الذي تأتينا عنه الأخبار وكأنه يشيد بقوته وجدارته بأن يكون من الفاتحين ومن أعظمهم إلى يوم الدين .

رسول الله ﷺ لما ترك هذا الوفد من بني شيبان تلا قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب : ٤٥-٤٨]

توكلوا على الله الحي الذي لا يموت فنعم التوكل أما إذا توكلتم على غيره فإن كل شيء هالك إلا وجهه .

البيعة لله والرسول

إن الشعوب والأمم تبايع الملوك والرؤساء والزعماء والبيعة إنما هى مبادلة في أخذ العهد الناس تبايع الملك على السمع والطاعة والسير خلفه وهو يبايعهم على العمل لمصلحتهم وسعادتهم وإنجاز أمور حياتهم وإشاعة الرخاء وغيره من أمور الدنيا، هم يقولون له بالروح بالدم نفديك يا فلان ونؤيدك والبيعة من الأمور التي ينتصب بها الحاكم على حاكمه ولكن البيعة في الزمن القديم وحتى مع أوائل من حكموا أهل الإسلام لم تكن كما هى البيعة في أيامنا فقد بايع الناس الصديق ﷺ وعندما وقف أمامهم قال إني قبلت بيعتكم - ثم قال كلام يوزن بالذهب وأغلى - قال القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له، وإذا قارنا هذا الكلام بما يحدث في تلك الأيام وما يدور في الأمم المتحدة التي تجعل الحق كل الحق مع المستأسد القوي الذي يبطش بالعباد والدول الضعيفة ويمنع عنهم سبل الحياة فهي تجعل الحق مع من يملك القوة وجاءت بكل ثقلها على الضعيف وكأنها تقول للحمل الوديع أنت الذي أخذت الحق من الأسد فهي قد قلبت قول الصديق ﷺ رأسا على عقب وما كانت الأمم المتحدة منذ نشأتها إلا حرباً على الإسلام وأهله فماذا فعلت الأمم المتحدة إلا إنها كرست كل عدوان على أمة الإسلام

في شرق أو غرب وأفاضت عليه غطــاء الــشرعية وتكــريس الاحتلال .

إن البيعة كما إنها تكون للملوك أو الرؤساء تكون أيضاً لله ورسوله بيعة في دين الإسلام التي هى أسمى البيع إنك تبايع الله عز وجل ورسوله إن كنت رجلاً على الجهاد لأن دين الإســلام لا يقبل الضعف والخنوع وعمر بن الخطاب ﷺ يقــول يعجبنــي الرجل إذا سيم خطه خسف أن يقول بمــلء فيــه لا – وأفــضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ورسول الله ﷺ يقــول لنــا لا يكن أحدكم إمعه يقول أنا مع النــاس إن أحــسنوا أحــسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أحــسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم .

تلك بيعة الرجال على الجهاد أما البيعة التي يشترك فيهــا الرجال والنساء الجميع فيها سواء أن يجدك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك، تبايع الله عز وجل أن تكون مع حسن الخلــق لأن تكون قنديلاً مضيئاً للناس على طريق الحق والعدل، وعــن عبادة بن الصامت ﷺ قال بايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء قبــل أن تُفرض علينا الحرب . إذن تلك البيعة كانت تسمى بيعة النساء وبعد فرض الحرب والجهاد تميز به الرجال عن النــساء، قــال عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ بايعوني على ألا تــشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلــوا أولادكــم ولا تــأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف .

كل واحدة من تلك الستة إنما هى عنوان عظيم بذاته يجمع في طياته أشياء ومعاملات كثيرة في أصول الدين وكان أولها ألا تشركوا بالله شيئاً وتلك المبايعة كانت لكل الخلق من أهل الإسلام فإنك لا تبايع بها ملكا أو رئيساً إنما تبايع بهـا الله عـز وجـل ورسوله وكيف تشرك بالله عز وجل وهو خالقك في أحسن هيئة وصورة وهو الذي يطعمك ويسقيك وما لا يُعد ولا يُحصى مـن النعم أن تقول لا إله إلا الله مخلصا من قلبك فإن رسـول الله ﷺ ضمن لك بها شفاعته عند رب العالمين فهو الذي يقول لكل نبـي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته في الدنيا وإنـي ادخـرت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة إلى يوم القيامة لكل مـن مـات ولا يشرك بالله شيئا، والشرك إنما هو ظلم عظيم يظلمه الإنسان لنفسه لأن عاقبة الشرك عقاباً أليماً شديداً نار جهنم خالداً فيها فو يتعدى كل أنواع الذنوب الأخرى والمعاصي رغم النهـي عنهـا ورغم إنها حتى من كبائر المحرمات مثل السرقة وكل أنواع أكل مال الناس بالباطل وكل هضم لحقوق الآخرين ورسـول الله ﷺ يقول لا يحل لك أن تأخذ عصا أخيك إلا برضا نفس منه حتـى العصا وهى أبسط الأشياء و إن رسول الله ﷺ يقـول لا يـسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني الزان حين يزني وهـو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، فإنمـا خلـع الإيمان من رقبته وأخرج نفسه من الإسلام ثم ينهانا الله عز وجل عن أن نقع في جريمة الزنا فهل الزنا شيء مستحسن بـل هـو

شيء قبيح حتى وإن استحسنه الغرب فهو فجور وعليهم وباله لأن الله عز وجل يقول ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٣٢] نهانا حتى عن أن نقترب منه ورسول الله ﷺ يحذرنا حتى نعلم أن الأمر جد خطير فيقول ما من رجل يضع يده على جسد امرأة لا تحل له بشهوة إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه فإذا قبلها قُرضت شفتاه بمقارض من نار فإذا زنا بها قالت فخذه ونطقت أنا للحرام ركبت فينظر إليه الله عز وجل بعين الغضب فيسقط لحم وجهه لم يبقى منه إلا العظم . عندها يعلم إنه من الهالكين من أهل الجحيم لأن الله عز وجل نظر إليه نظرة الغضب فهل بعد نظرة الغضب تكون الجنة والفردوس إنما يكون العذاب الأليم ثم يكابر ذلك الإنسان صاحب الذنب وقتها ويقول يارب ما فعلت فيشهد عليه لسانه ويقول أنا بالحرام تكلمت وتشهد عينيه أنا إلى الحرام نظرت وتشهد يديه أنا للحرام تناولت وتشهد رجليه أنا للحرام مشيت ويشهد الشاهد من الملائكة فيقول وأنا سمعت ويشهد الآخر ويقول وأنا كتبت في كتاب لا يُمحى إلا بإرادة الله عز وجل فيقول الله عز وجل وأنا اطلعت وسترت ثم يصدر أوامره إلى الملائكة خذوه بعذابي فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه، ثم كيف بعد ذلك نجد من يقره ويقول صداقة وحب وانسجام ويقول الله عز وجل في كتابه ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٤]

وعبد الله بن مسعود ﷺ يلخص كل ذلك فقال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب عند الله أعظم قال أن تجعل لله عز وجل نداً وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك فأنزل الله عز وجل آيات تصديق ذلك فقال ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ [الفرقان : ٦٨-٦٩] فكان الرجل يقتل ولده ويقول إني لا أجد ما أطعمه أو أكسوه بينما أن الله عز وجل قد جعل لكل مخلوق رزقا فقال ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣] أقسم الله عز وجل وهو ملك الملك والملكوت ومن نحن حتى يقسم الله لنا ولكنه أقسم أن رزقك مضمون عنده وسوف لا تغادر الدنيا حتى تحصل عليه كاملا غير منقوص فإن رسول الله ﷺ يقول لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب . فهل بعد ذلك تقتل ولدك مخافة إطعامه وذلك القتل بأي شيء كان سواء كما كان يحدث بوأد البنات أو كان بالإجهاض أو بأي سبب .

ثم يقول رسول الله ﷺ ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم تلك كانت من أن المرأة تلصق بزوجها ولداً ليس منه

وتقول هاك ابنك وذلك ينسحب على كل بهتان وأفك ترمـــي بـــه واحد من الناس .

ثم يقول رسول الله ﷺ ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فله الجنة ومن غشي من ذلك شيئاً فأخذ بحده في الدنيا فهو كفارة له ومن ستره الله عز وجل إلى يوم القيامة فأمره إلـــى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر – ماذا طلب منا رسول الله ﷺ قـــال بايعوا الله ورسوله على ذلك فإن من رحمة الله بنا أننا إذا اقترفنا منها شيئاً وأخذنا جزاءاً عليها في الدنيا فقد سلمنا في الآخرة وإذا سترنا الله إلى يوم القيامة فإن الله عز وجل يرحم وهو الـــرحمن الرحيم إما يعذب بها وإما يغفرها .

لذلك أمرنا الله عز وجل أن نستر على أنفسنا إذا اقترفنـــا شيئاً من ذلك وألا نجهر به حتى نتوب توبة نصوحاً لعل الله عز وجل أن يتجاوز عنا كما أخبرنا رسول الله وهو الذي قال أيهـــا الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة – وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فعلينا أن نتوب إلـــى الله في اليوم أكثر من مائة مرة بكثير – ورسول الله ﷺ يقول إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيئوا الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيئوا النهار حتى تطلع الشمس من مغربها . فباب التوبة مفتوح ولكن يجب على الإنسان أن يستر على نفـــسه ولا يفـــضحها ولا يجهر بالمعصية فإن رسول الله ﷺ يقول في حديث رواه عبد الله بن عمر ﷺ يقول يا أيها الناس إياكم وهذه القاذورات التي نهـــى

الله عنها – كانت تلك الأمور في دين الإسلام إنما هـــي شــبهت بالقاذورات والقمامة – فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله عز وجل فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد . يستتر بستر من الله ولا يخرج على الناس يقول فعلت من المعاصي كذا وكذا لأنه بذلك يكون محارباً لله ولرسوله غير مبالي بعاقبة تلك المعــصية ومستهين بالحد الذي فرضه الله عليه فيكون عقابه عند الله عظيم.

وقال رسول الله من ألم بشيء من ذلك فليستتر بــستر الله عز وجل فإن المرء يعمل العمل بالليل فيبيت يستره الله ثم يصبح يقول فعلت بالليل كذا وكذا ويتباهى بما فعله من معصية يقول فيه رسول الله بات يستره الله ويصبح يكشف ستر نفسه .

وعبد الله بن عمر ﷺ يقول إن الله عز وجل يدني المــؤمن حتى يضع عليه كنفه ويقرره بذنوبه – يقول العبد المؤمن الــذي تاب عن ذنوبه في الدنيا وعمل صالحا – يقول أتذكر ذنب كــذا وكذا يوم كذا حتى يظن أنه هلك فيقول الله عز وجل لقد ســترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيأخذ صحيفة حسناته، لذلك يجب على العبد ان يُحسن الظن بالله عز وجل ولكن مــع حــسن العمل فإن رسول الله ﷺ يقول ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وإن قوماً غرتهم الأماني حتى خرجــوا من الدنيا ولا حسنة لهم ويوم يعرضون على الجحيم يقولون كنــا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمــل . فإن الله عز وجل لن يظلم أحداً مقدار حبة من خردل فقد جعــل

على كل إنسان ملائكة يكتبون كل صغيرة وكبيرة وهو في غنى عن أن يضع شهودا وكتبة لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

بايعوا الله عز وجل ورسوله ليس بيعة الحرب فإن الكل في زماننا استكان وخضع للدولة العظمى وكأنهم عبيداً لها يأتمرون بأمرها في كل صغيرة وكبيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله، بايعوا الله ورسوله بيعة النساء إذ يقول الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢] الموعظة كلها أن رسول الله ﷺ بايع الرجال في تلك البيعة فهي بيعة للرجال والنساء ولكن بيعة الرجال أشد يزيد عليها الجهاد في سبيل الله لذلك هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان عندما كانت فيمن بايعهن رسول الله قالت يا رسول الله نراك لم تأخذ علينا ما أخذته على الرجال – لم تأمرنا بالجهاد وكذلك عندما قال رسول الله ولا يسرقن قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وإني آخذ من ماله ما يكفيني أنا وولدي هل هذه سرقة قال لها رسول الله ﷺ خذي وبنيك ما يكفيك بالمعروف – أي ليس فيه تجاوز للحد – ولا تقتلن أولادكم قالت يا رسول الله ربيناهم صغاراً وقتلناهم كباراً – كأن يكون الولد من أهل الشرك ومن المحاربين

لأهل الإسلام – ثم قال ولا تأتين ببهتان تفترينــــه بــين أيــديكن وأرجلكن ولا تزنين قالت يا رسول الله أتزني الحرة قـــال والله لا تزني الحرة وقالت إن البهتان أمر قبيح ما تأمرنـــا إلا بالرشـــد ومحاسن الأخلاق .

كل الأمور التي أمر بها دين الإسلام وكُلفنا بها إنما هـــى من الرشد ومحاسن الأخلاق ويقــول الــشافعي ﷺ إذا أردت أن تحيا سليماً من الردى ودينك موفور وعرضك صين فلا يــنطقن اللسان بسوءة فكلك سوءات وللناس ألسن وعيناك إن أبدت إليــك معايباً فدعها وقل يا عين للناس أعين .

كونوا على العهد الذي بينكم وبين الله ورسوله وأتموا تلــك البيعة وجددوها مع كل قراءة لتلك الآيات حتى تكونوا من أهــل السعادة في الدنيا وفي الآخرة تكونوا في جنة رب العالمين مــع رسول الله ﷺ.

الإستقلال والقبلة

يقول الله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [[الفيل]]

تلك السورة من كتاب الله توضح إلى أي مدى كان تعظيم بيت الله عز وجل وتقديس الكعبة فقد كانت هى قبلتهم ودينهم حتى وهم على الشرك كانوا يعظمونها رغم إنهم في جاهلية عمياء طاغية، تحكي لنا تلك السورة قصة أبرهه الأشرم الرجل الذي كان طاغية في زمانه بما كان يملك من القوة القاهرة يقود جيشاً جراراً وقد زوده بسلاح رهيب لم تكن تعرفه العرب ولا طاقة لهم به وهو سلاح الفيلة توجه بذلك السلاح إلى بيت الله الحرام لكي يهدمه وقبل أن يصل إلى أسوار مكة استدعى زعيمها وعظيمها جد رسول الله ﷺ عبد المطلب ويقول له أنه جاء ليهدم ذلك البيت ويطمسه وكان قد استولى وهو خارج مكة على أموال عبد المطلب المتمثلة في الإبل والدواب فماذا يقول له ذلك الزعيم يطلب منه أن يرد إليه الإبل التي استولى عليها فيتعجب أبرهه لطلبه ويقول كنت أظن فيك غير ذلك أتسألني أموالك وقد علمت مقصدي بهدم ذلك البيت فيقول له عبد المطلب أما الإبل فإنها لي وأما البيت فله رب يحميه، إلى أي مدى كان إيمانهم بقدسية ذلك البيت وثقتهم في رب البيت بأنه هو الذي

يحميه، وتقدم الجيش ليتم مهمته في هدم البيت أمام أعين وسمع عبد المطلب ومن معه من رجال مكة فلا قبل لهم بذلك الجيش الجرار فيصعدون على الجبال المحيطة بمكة ويتوجه عبد المطلب بالدعاء إلى الله فيقول اللهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا يهزمن صليبهم ومحالهم غدوا محالك أنصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدالك، ويقول اللهم أمنع عنهم حماك اللهم إن عدو البيت من عاداك .

تلك الكلمات إنما يجوز لنا أن نرددها في أيامنا تلك مع وجود الهجمة الشرسة من الذين قالوا علانية إنهم أصحاب وقادة الحملة الصليبية الحديثة الذين دمروا وخربوا أفغانستان ولا يزالون ودخلوا على العراق وبعد أن دمروها أرسوا فيها عوامل الفتنة والشقاق والاختلاف بين أهلها حتى لا تقوم لها قائمة بعد اليوم وكذلك فعلوا من قبل في فلسطين ومن قبلها في لبنان وهم الآن على وشك الدخول إلى السودان تحت ذريعة حماية القلة المضطهدة تحت بند حماية حقوق الإنسان وأين ذلك الإنسان في فلسطين والعراق وأفغانستان وبنفس الطريقة جعلوا الفتنة والشقاق بين الإخوة في السودان حتى يقطعونها إرباً وليس دولتين فقط، وكل ذلك إنما هو نوع من الاحتلال لتلك الأمة فكان حقاً علينا أن نقول تلك الكلمات التي قالها عبد المطلب من قبل إذا اشتد الكرب وأحكمت الحلقة من حولنا نثق بأن نصر الله عز وجل إنما هو قريب ولكن الله عز وجل يمتحن أهل الإيمان –

فجاءت الطير الأبابيل ترميهم بحجـــارة مـــن ســـجيل فـــتجعلهم كعصف مأكول . كان كل ذلك يدل على مدى تعظيم الناس لهـــذا البيت لذلك عندما أراد الله عز وجل أن يرسل مُحمداً ﷺ ليتم بـــه دين الإسلام أراد أن يمتحن الناس الذين سيحملون ذلـــك الـــدين ويتعاملون به هل يمتثلون لأوامر الله وفضله فأمر الله رسوله أن يتوجه في صلاته إلى صخرة بيت المقدس في القدس الـــشريف لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ذلك كان امتحـــان لمن يقدسون البيت الحرام كل هذا التعظيم عندما يقول لهم رسول الله ﷺ إن ذلك الأمر من رب العالمين فهل تستجيبوا أم تمتنعـــوا قالوا آمنا وسلمنا وتوجه رسول الله ومعـــه أهـــل الإيمـــان فـــي صلاتهم إلى حيث أمرهم الله عز وجل إلى بيت المقدس واستمر الحال على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومكث فيها سبعة عشر شهراً .

عن البراء بن عازب ﷺ قال صلى رســـول الله ﷺ فـــي المدينة إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شـــهراً وكـــان يحب أن يُوجه إلى بيت الله الحرام فنزل قول الله عز وجـــل ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [[البقرة:١٤٤]] ثم يقول البراء بن عازب فقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كـــانوا عليهـــا والسفهاء هم اليهود فنزل قول الله عز وجل ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ

مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [[البقرة : ١٤٢]]

عندما ذهب رسول الله ﷺ إلى المدينة قال اليهود مُحمد يتجه إلى قبلتنا وعما قريب يدخل ديننا وفي يوم النصف من شهر شعبان في السنة الثانية من الهجرة بينما كان رسول الله في زيارة لعيادة مريضة وهى أم بشر في بني سلمة وكان ذلك قبل صلاة الظهر فلما جاء وقت الصلاة توجه إلى مسجد بني سلمة وقبل أن يصلي الظهر نزل عليه قول الله عز وجل ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ..... ﴾ فتلاها رسول الله على الناس وسمعها أبو سعيد بن المعلى عند دخوله المسجد فصلى تحية المسجد إلى بيت الله الحرام فكان هو أول من صلى إلى بيت الله الحرام ثم صلى رسول الله ﷺ الظهر إلى بيت الله الحرام إيمان وتسليم وطاعة لرب العالمين .

كذلك يجب على كل مسلم أن يأتمر بما أمر الله وينتهي عما نهى الله أمرهم الله أن يتوجهوا إلى بيت المقدس فانصاعوا رغم تعظيمهم لبيت الله الحرام ثم أمرهم أن يتوجهوا إلى بيت الله الحرام فتوجهوا ليس لقداسة المكان في حد ذاته وإنما طاعة لأمر الله عز وجل، وتلك الطاعة تجسدت في فعل الناس الذين وصلهم الأمر بالتحول يقول عبد الله بن عمر ﷺ بينما الناس يصلون الصبح بقباء أتاهم آت فقال أشهد أن قرآناً نزل على رسول الله

ﷺ يأمره أن يتوجه في صلاته إلى بيــت الله الحــرام فتحــول الرجال مكان النساء وتحول الرجال مكان النساء وهــم ركــوع امتثالاً للأمر حتى تكون قبلتهم إلى بيت الله الحرام .

قال الله عز وجــل ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ تلك الآية إنما هى معجزة من معجزات رســول الله ﷺ ولكن لا يعلم بإعجازها إلا الذين يعلمون لماذا لأنها نزلت قبل أن يتكلم السفهاء من الناس وعندما نزلت فلو أراد هؤلاء النــاس أن يكذبوا القرآن وأن يطعنوا في رسالة مُحمــد ﷺ لامتنعــوا عــن الكلام فيها وفي حديث البراء بن عازب يقول والسفهاء هم اليهود ماذا قالوا قالوا رجع الرجل إلى ملة قومه وعما قريب يرجع إلى دينهم، وقال أهل الشرك رجع إلى قبلتنا وسوف يرجع إلى ديننا، وقال أهل النفاق إن الرجل متردد مضطرب لا يدري إلــى أيــن يتوجه فكانت تلك الآية إعجازاً ودليلاً على صدق مُحمد ﷺ لأنها نزلت قبل أن يتكلموا ولو أرادوا أن يكذبوها ما تكلموا .

يقول الله عزوجــل ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [[البقرة: ١٤٥]] يقول الله عز وجل لرسوله إن أهل الكتاب لن يدخلوا في دين الإسلام لأنهم كفروا به بغياً وحسداً وسوف يعملون بكل وسيلة لكي يردوكم عن تلك القبلة وعن ذلك الدين ثم يحذر الله عز وجل مــن أن نتبــع

أهواءهم حتى لا يضلونا عن السبيل فقد قال الله عز وجل ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [[البقرة:١١٩-١٢٠]]

واليوم إنما يشهد على صدق تلك الآية ما نسمعه من علية القوم من حملة لواء الصليبية ينعتون الإسلام بالفاشية علانية دون استحياء ويقولون إننا لم نأت إلى تلك البلاد لكي نزرع الديمقراطية أو نأتي بحقوق الإنسان أو نغير حكومات مستبدة إنما جئنا لتغيير العقائد وهذا والله ما جاء على ألسنتهم بدون مواربة أو شك أو تجميل، وصدقوا فهم ما يريدون إلا أن يبدلوا علينا ديننا ويردونا عنه إن استطاعوا والله عز وجل يقول ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [[البقرة: ٢١٧]] .

رسول الله ﷺ كان يأمرنا بمخالفة أهل الكتاب في كل شيء فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إن اليهود والنصارى يصبغون فخالفوهم . وكان رسول الله يصوم وهو في مكة قبل أن

يأتي إلى المدينة يوم عاشوراء فلما علم وهو في المدينة أن اليهود يصوموا هذا اليوم قال لأصومن التاسع والعاشر وأمرنـا بـذلك حتى نخالفهم فيما يعملون، فقد كان يحـرص أن تكـون للمـسلم شخصيته المستقلة بغير تقليـد أعمـى لقـوم آخـرين وحتـى لا نستقدم منهم ما يضر ولا ينفع كما أخذنا منهم مثلاً كذبة أبريل وما هى إلا شيء خبيث ولم نأخذ منهم أو نقتبس شيئاً طيباً نافعـاً أو مفيداً إلا أقل القليل وهم يحرصون أن يمنعـوا عنـا العلـوم المفيدة التي قد تزيد من قوتنا بل ويجعلونها محرمة علينا بينمـا أخذنا منهم صبغة الشعر وكل تافه أما أسرار العلوم فتبقى سرية محجوبة كما نرى كيف يقفون أمام دولة مثل إيـران بالمرصـاد حتى لا تنتفع بعلوم الذرة التي تمكنها من توليد طاقة كهربائية قد تؤدي بها إلى التنمية الكبيرة ويقولون إنها تريد أن تطور أسـلحة نووية لتضربنا بها بينما هم يجعلون تلك الأسلحة الفتاكة حكـراً عليهم بل ويمدون اليهود بكل أنواع الأسلحة الفتاكة مثل القنابـل العنقودية التي تزن تسعة أطنان يلوحون بها في وجوهنا بين حين وأخر ليرهبونا بها، بينما إذا أمدونا بعلم بسيط من تلـك العلـوم يتعلمها بعض ضباط القوات المسلحة لدينا في معاهدهم الدراسية نجد الأقاويل تؤكد أن الطائرة التي كانت تقل هؤلاء الضباط بعد أن أنهوا دراستهم تم إسقاطها بفعل فاعل حتى لا يصلوا إلينا بما

تعلموه ثم يدعوا أنها أسقطت بفعل قائد الطائرة الإرهابي لأنه في تحليل الصندوق الأسود سمعوه يذكر الله ويقول توكلنا علـــى الله فما أشدها استهانة بعقولنا وبذلك الدين الذي نتمسك به .

يقول رسول الله ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها يا عائشة إن أهل الكتاب لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على ثلاث قال يحسدوننا على الجمعة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها ويحسدوننا على القبلة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها ويحسدوننا على قولنا خلف الإمام آمين .

وجاء أحد المستشرقين وفضح الذين يحاربوننا فـــي هـــذه الأيام ويقول لهم لن تنتصروا على أهـــل الإســـلام مـــا دامـــوا يتمسكون بهاتين وقال ما داموا يتمسكون بالقرآن ويتوجهون إلى القبلة، قبلتكم ومصحفكم منار للأخوة والسلام وفوق الكل رحمـــن رحيم إله واحد رب الأنام ونحن على يقين أن الله عز وجل كمـــا هزم أبرهه الأشرم ورده مهزوماً مخذولاً فـــإن الله هـــو القـــادر على أن يُتم ذلك الدين ويظهره على كل ملة لأن الله عز وجـــل يقول ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [[التوبة: ٣٢-٣٣]]

فالقبلة التي هدانا الله إليها تقول لنا أن شخصيتنا يجب أن تكون مستقلة ولا نقلد أحداً ولا نأخذ عن أحد لأنه لن يعطينا خيراً وهو اليوم يقول لحكامنا نحن قدوتكم في الحكم يجب أن تنحوا الدين جانباً ومن أراد الدين فلا يخرج به من المسجد، علمانية يُراد أن تُفرض فرضاً وديننا سياسة وعبادة وإذا عرضت عليهم مثلك فلن يقبلوها لذلك يقول الله عز وجل ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ [[البقرة: ١٤٥]] فإذا أردنا ديمقراطية فلننظر في ديننا وإذا أردنا علاقة بين حاكم ومحكوم فعندنا الكنز كله فلا نتسول من شرق أو غرب .

بداية إقامة الدولة

عن عبد الله بن عباس ﷺ يقول وُلد رسـول الله ﷺ يـوم الاثنين وأُنزل عليه القرآن يوم الاثنين وخرج من مكة مهـاجراً إلى المدينة يوم الاثنين الأخير من شهر صفر ودخل المدينة يـوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول وغادر الـدنيا يـوم الاثنـين الثاني عشر من ربيع الأول .

مُحمد رسول الله ﷺ هو الذي اصطفاه الله عز وجل ليكون أول من أنشأ دولة الإسلام في المدينة المنورة ومـا كـان هـذا بالأمر السهل اليسير فإن رسول الله أعد لتلك الدولة حتى قبل أن يدخل المدينة وكان من هذا الإعداد البيعات الثلاث التي عقـدها مع قوم من المدينة فعن عاصم بن عمرو بن قتادة ﷺ قال عندما أراد الله عز وجل أن يُظهر دينه وينصر نبيه هيأ لـه أن يلتقـي بستة من الأنصار عند العقبة وكان ذلك بـإرادة الله فـإن أهـل المدينة يجاورهم فيها اليهود وكان بينهم وبين الأنـصار شـرور فقال عاصم بن عمرو كان بيننا وبين القوم شرور يقصد اليهـود فكنا إذا انتصرنا عليهم قالوا قد أظلنا زمان نبي نقاتلكم معه قتـل عاد وأرم فلما سمعنا برسول الله ﷺ قلنا والله إنـه النبـي الـذي تتوعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه فآمنا به وصدقناه وكفروا بـه بغياً وحسدا . آمن هؤلاء الستة نفر من الأنصار ثم لما كان العام التالي لموسم الحج قد أصبحوا اثني عشر رجلاً منهم أسعد بـن

زرارة وجابر بن عبد الله الأنصاري وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم جميعاً وعبادة بن الصامت هو الذي نقل إلينا وقائع تلك البيعة بينهم وبين رسول الله ﷺ وبداية كتابة الدستور الذي سوف تسير عليه تلك الدولة الناشئة فقد قالوا على ما نبايعك يا رسول الله قال بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فله الجنة ومن غشي من ذلك شيئاً فأخذ بحده في الدنيا فهو كفارة له ومن ستره الله إلى يوم القيامة فأمره إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر .

في ذلك الوقت الذي يسطر فيه رسول الله ذلك الدستور وما فيه من إيمان بالله وما فيه من حض على مكارم الأخلاق والحرص على حقوق العباد ما كان يومها يستطيع أن ينفذ حكماً منها فكانت تلك البيعة وتلك القوانين التي سُطرت تقول إن دولة الإسلام سوف تقوم بإرادة الله عز وجل وتلك البيعة التي بايع بها رسول الله أمة الإسلام كافة إنما تكررت عند فتح مكة وبايع رسول الله بنفس الكلمات النساء والله عز وجل يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [[الممتحنة:١٢]] تلك البيعة إنما كانت تشتمل على الأخلاق الفاضلة كلها وتأمر بها وتنهى

عن القبيح كله حتى في أبسط الأشياء مثل الصراخ على الميت فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوة الجاهلية . وعن ابي موسى الأشعري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ أربعة في أمتي من أمر الجاهلية الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنائحة على الميت إن لم تتب جاءت يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب . وكما قالت أم عطية رضي الله عنها مما أخذ رسول الله علينا ألا ننوح .

فكانت تلك البيعة بمثابة الدستور وكانت قبل الهجرة ثم أنزل الله عز وجل بها قرآنا فهي قائمة ومعمول بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

بعث رسول الله ﷺ مع هؤلاء الناس داعياً وكأنه سفيراً له في تلك المدينة كان مصعب بن عمير ﷺبعثه وليس معه أي عدة ولا أموال إلا ما نزل من كتاب الله عز وجل يحفظه في صدره وما تعلمه من سنة رسول الله ﷺ يدعو الناس بهما بأمر من قائده رسول الله المضطهد وبدعوة تعتبر مرفوضة وليس معه من الأموال أو الهدايا ما يستقطب به الناس ولكنه كان من الكياسة والفطنة والحكمة التي أرادها الله فيه حتى يرسي به دعائم تلك الدولة ويمكن الله لها في الأرض وقد كان مصعب بن عمير مخلصاً بعمله كله لله عز وجل فبعد أن كان من أغنى الناس في مكة قبل أن يسلم وقد ترك كل ما يملك حتى أصبح فقيرا حتى

أن رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة بوقت يــرى مــصعب وهو يدخل من باب المسجد وعليه ثوب مرقوع فبكى رســول الله وقال كيف أنتم إذا غدى أحدكم في حلة وراح في حلة ووضــعت أمامه صحفة ورُفعت أخرى – تبدل الثياب من كثرتهـا وتبــدل أنواع الطعام من كثرته – وسترتم بيوتكم بما تُستر بــه الكعبــة قالوا يا رسول الله نحن يومها في خير نكفل المؤونــة ونتفــرغ للعبادة قال أنتم اليوم خير منكم غداً – ورسول الله ﷺ يشيد بذلك الذي وضع اللبنة الأولى للدولة وهو مصعب بن عميــر عنــدما استشهد في موقعة أُحد يصف لنا خبــاب بــن الأرت ﷺ ذلــك المشهد يقول وهم يدفنونه في التراب قال خبــاب هاجرنــا مــع رسول الله ﷺ نبتغي الأجر من الله فمنا من أينعت له ثمرته فهــو يهدي بها ومنا من غادر الدنيا ولم يأخذ منها شيئاً وكان مصعب بن عمير يوم استشهد في أُحد لم نجد له إلا نمرة إذا غطينا بهــا رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا بها رجلاه بدت رأسه فقال رســول الله غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الأذخر ثم يقــول فــي هــؤلاء البنــاة ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [[الأحــزاب:٢٣]] إني شــهيد علــى هؤلاء يوم القيامة أنهم أحياء عند ربهم يرزقون ثم قــال ائتــوهم وزوروهم وسلموا عليهم فو الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه.

ثم جاءت البيعة الكبرى ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان يبايعون رسول الله ﷺ قالوا علام نبايعك يا رسول الله قام أسعد بن زرارة ﷺ ووضع يديه فوق أيدي القوم يريد أن يمنعهم من البيعة في حضرة المصطفى ما قيل له ارفع يدك كيف تتكلم وتتحدث إنما هى الحرية التي يرجوها الخلق ولن يجدوها إلا في دولة مُحمد ﷺ وفي أمته قال يا قوم إنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وإن إخراجه اليوم مناوئة للعرب وأن تحطمكم السيوف فإن كنتم تستطيعون ذلك فبايعوه وإن لم تستطيعوا ذلك فبينوا فهو أعذر لكم قالوا له امط عنا يمينك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ قال قلنا علام نبايعك يا رسول الله قال بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقوموا في الله لا تخافون لومة لائم وأن تؤوني وتنصروني – هذه البيعة عاملة إلى يوم القيامة وهى من الدستور المحمدي ومن دستور دولة الإسلام الباقية الشامخة بإذن الله عز وجل رغم ما يبدوا من ضعف وما يحيق بها من مخاطر إلا أنه لا يأس ولا قنوط في دين الإسلام – انظر إلى بن الهيثم بن التيهان بعد أن قال البراء بن معرور بايعنا يا رسول الله فإنا أصحاب الحلقة ورثناها كابراً عن كابر – أي إنهم أهل حرب – والله يا رسول الله لنمنعنك مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأولادنا

فبايعنا يا رسول الله يقف أبو الهيثم ويقول له يا رسول الله أرأيت إن أظهرك الله فإن بيننا وبين الرجال حبال – أي بينهم وبين اليهود مواثيق – وإنا قاطعوها فإن أظهرك الله عز وجل ترجع إلى قومك وتدعنا قال رسول الله ﷺ وقد تبسم بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

فكانت بداية دولة الإسلام تلك البيع الثلاث التي بايع بها رسول الله ﷺ أهل المدينة قبل أن يهاجر إليها .

إن الاختيار والانتخاب إنما هو من أمور دين الإسلام فإن رسول الله ﷺ قال لهؤلاء القوم أخرجوا منكم اثني عشر نقيبا أي اختاروا ممثلين لكم فهل يكون الاختيار لأي شخص أم للأصلح منهم يختاروا الشخص المناسب الذي سوف يكون أميراً عليهم فكانت تلك هى بداية إرساء مبدأ الاختيار والانتخاب بين الناس بأمر رسول الله ﷺ ولم يختار هو من بينهم وهو الذي يبني تلك الدولة وهو قائدها وزعيمها ومسطر دستورها الذي تلقاه من رب العالمين في صورة آيات من الذكر الحكيم، وكذلك قال عيسى بن مريم من قبل للحواريين ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [[الصف:١٤]]

بناة الدول إنما هم رجال تجردوا لله عز وجل فعن ابي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ وكان هذا الحديث في نهاية البيعة قال رسول الله إن لله عز وجل عباد ليسوا بأنبياء ولا

شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على قربهم ومجالسهم من الله عز وجل قال أبو مالك فجثا إعرابي على ركبتيه وقال يا رسول الله صفهم لنا حتى نتأسى بهم قال رسول الله وقد تبسم هم أناس من أفتاء الناس ونوازع القبائل لا تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا يجعل الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور يجلسون عليها ويجعل وجوههم نور وثيابهم نور يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ويقول أنس بن مالك ﷺ يوم دخل رسول الله ﷺ المدينة أضاء فيها كل شيء – أصبحت المدينة المنورة قاعدة انطلاق دولة الإسلام – فلما كان اليوم الذي غادر فيه رسول الله الدنيا أظلم في المدينة كل شيء .

كانت إرادة الله عز وجل أن يغادر رسول الله ﷺ الدنيا وهو مؤسس دولة الإسلام لأنه بشر يجري عليه ما يجري على البشر من خلق الله عز وجل فإن كل من عليها فان والذي يبقى هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، ورسول الله ﷺ هو الذي يقول لنا جاءني جبريل فقال لي يا مُحمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجازى به وأحبب من شئت فإنك مفارقه . ورسول الله ﷺ يقول إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قالوا فما جلاؤها يا رسول الله قال تلاوة القرآن وذكر الموت .

ليس للمرء دار بعد الموت يسكنها إلا التي قبل الموت يبنيها وليس البناء هنا بالطوب والأسمنت والحديد إنما هو بناء أقامه مُحمد ﷺعلى أعمدة وأسس من كتاب الله عز وجل ومن سنته ﷺ. فإن مات المسلم على صلاح وفلاح فإن رسول الله ﷺ يقول إنما يُبعث المرء على ما مات عليه .

ليس للمرء دار بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها فمن بناها بخير فقد طاب مسكنه ومن بناها بشر خاب بانيه.

ويقول الله عز وجل ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [[آل عمران: ١٣٣- ١٣٥]]

رسول الله ﷺ خرج مهاجرا ويوم أن خرج أمر علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاه أن ينام على سريره ويضع عليه برده الأخضر وإذا بأهل الشرك كوكبة من فتيانهم الأشداء يحيطون بالدار مدججين بالسيوف ينتظرون خروج مُحمد ﷺ ليجهزوا عليه بضربة رجل واحد وهم يمثلون قبائل العرب حتى يتفرق دمه في القبائل وكان زعيم هذا الجمع هو أبا الحكم أو أبا جهل يمر عليهم ليحمسهم ويقول إن مُحمد يزعم أنكم إن اتبعتموه على دينه كنتم ملوك العرب والعجم – وهو كان يعرف إن أحد أغراض هذا الدين هو إقامة دولة وسيكون قائد تلك الأمة مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام وسوف يملكون الأرض كلها رغم كونه مشرك ومحارب لذلك الدين إلا أنه علمها جيداً – ثم إذا متم كانت لكم جنان مثل جنان الأردن تخلدون فيها وإذا لم تتبعوه في دينه كانت لكم نار تُحشرون فيها . وخرج رسول الله ﷺ على هذا الجمع وأخذ حفنة من التراب وقذفها على وجوههم ورؤوسهم فعميت عنه الأبصار وخرج سالماً مهاجراً إلى المدينة وهو يتلو قول الله عز وجل ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [[يس:٩]] ويقول الله عزوجل ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [[الأنفال: ١٧]]

ويدخل رسول الله ﷺ المدينة وقد علم الناس فيها أنه جاء بالهدى ودين الحق فخرجوا عن بكرة أبيهم في استقباله يحتفون به مرحبين مهللين حتى قالت البنات والجواري نحن جواري بني النجار فيا مرحبا بمُحمدٍ من جار .

وأراد رسول الله ﷺ أن يبني قاعدة تكون دعامة لتلك الدولة فيبني القصر الجمهوري يبني البيت الأبيض يبني الكرملين يبني مبنى البرلمان ويرسي قواعد مبنى مجلس الشورى المكان الذي يقود منه تلك الأمة فكان ذلك البناء هو مسجده العامر ليجمع كل شيء بين جدرانه ويشرع في البناء يده قبل أيدي المؤمنين حتى إنهم قالوا إذا قعدنا والنبي يعمل فذلك منا العمل المضيع أي ذلك هو الخسران فيدعو لهم رسول الله وهم يعملون يقول اللهم لا خير إلا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة، فكان المسجد بمثابة مركز القيادة لدولة مُحمد ﷺ بالنهار وكان روضة يتعلم فيها الصغار ويمرحون ويلعبون وكان ساحة يتمرن فيها الجيش على الفروسية وأعمال القتال فكان رسول الله ينظر إليهم ويقول مهلاً بني أرفدة أو كما قال، فكان المسجد هو مركز كل شيء في تلك الدولة ومُحمد ﷺ قائد فتخرج من هذا المسجد السرايا التي تستطلع الأخبار من حولهم فإن دين الإسلام ليس دين غفلة بل دين يقظة واستعداد ويعد لكل أمر عدته فإن قائده يقول المؤمن

كيس فطن، يبعث السرايا للاستطلاع حتى لا يباغته العدو وذلك القائد الحكيم عندما كان يخرج على رأس جيش ما كان يترك الأمة من وراءه بلا قائد يدير شئونها فما خرج من المدينة مرة إلا ويستخلف قائداً فيها نائباً عنه وأول نائب استخلفه على المدينة كان السائب بن عثمان بن مظعون ﷺ ولما خرج مرة ثانية ترك نائباً عنه هو أبو سلمة بن عبد الأسد ومرة أخرى ترك زيد بن حارثة ومرة أخرى ترك السباع بن عرفطة وفي مرة ترك عثمان بن عفان وخرج مرة وترك عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول وخرج بعدها من المدينة وترك بن أم مكتوم رضي الله عنهم جميعاً .

ومن يطلقون على أنفسهم علمانيين هذه الأيام يقولون إن مُحمداً ﷺ كان نبي ورسول فقط – وهى الأسمى بالنسبة له – ولكنه كان أيضاً مؤسس وقائد الدولة إنما هم أرادوا بقولهم هذا أن يحصروا دور الدين في المسجد فقط وليس خارجه ومسجد رسول الله ﷺ هو الذي كانت منه قيادة دولة الإسلام فقد أرادها رسول الله المدينة الفاضلة التي تكلم عنها أهل الغرب وما بلغوا فيها ما بلغ رسول الله ﷺ فدولة الإسلام تقوم على العلاقة بين الله عز وجل وبين الناس وعلى العلاقة فيما بينهم وعلى العلاقة فيما بينهم وبين من لا يدينون بدينهم، ودولة رسول الله هى دولة تراحم وتكافل بين الناس وقد جعل لها تشريعا وجعل أحد أسس تلك الدولة الإخاء بين الناس والله عزوجل يقول ﴿لِلْفُقَرَاءِ

ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [[الحشر:٨ – ٩]] وتجلت صور هذا الإخاء والتراحم في أمثلة كثيرة نذكر منها عندما آخى رسول الله ﷺ بين واحد من الأنصار وهو سعد بن الربيع وواحدٍ من المهاجرين وهو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما يقول له سعد إن لي زوجتان اختر منهما من شئت فأطلقها حتى إذا انقضت عدتها تتزوجها وهذا مالي فخذ نصفه لك قمة التراحم بينهما والكرم منه فهل انتهز الآخر الفرصة لا والله فإن قائدهم ومعلمهم هو مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام بل قال له بارك الله لك في مالك وزوجاتك دلني على السوق فإني رجل أبيع وأشتري، هو يريد أن يعمل ويكسب بيده ولا يكون عالة على أحد حتى وإن كان أخوه، وصورة أخرى عندما جاء وفد يمثلون الأنصار من أهل المدينة يقولون يا رسول الله أقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين النخل الذي هو عصب الحياة الاقتصادية ومورد الرزق بالنسبة لأهل المدينة فقال المهاجرون لا بل تكفونا المؤنة ونكفيكم العمل أي نعمل عندكم فإذا وجبت الثمرة تعطونا منها أجر العمل، فكانت الأخوة إنما هي علاقة المجتمع ببعضه

مما ترتب عليه بالضرورة شيوع الحب بين أهل هذه الدولة على اختلاف طوائفهم .

رسول الله ﷺ هو الذي يقول لنا إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله عز وجل لا يحب الفحش وإياكم والشح فإن الشح أهلك من قبلكم حملهم على الظلم فظلموا وحملهم على الجور فجاروا وحملهم على القطع فقطعوا . فإن الشحيح يظلم وقبل أن يظلم الناس يظلم نفسه ويجور على حقوقهم ثم هو يقطع كل علاقة ورحم بينه وبين الناس حتى لا يعطيهم مما عنده فهو مضيع لكل علاقة طيبة بينه وبين الناس فكان له الهلاك والوبال .

دولة الإسلام التي أسسها مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام دولة تتعامل بالخلق الحسن والعدل مع من يخالفونها في العقيدة ولننظر إلى رسول الله القائد والقاضي في تلك الدولة يأتيه الأشعث بن قيس ﷺ يطلب منه أن يقضي بينه وبين يهودي وما أدراك واليهود وأفعالهم ومكرهم يقول الأشعث يا رسول الله إن هذا الرجل أغتصب أرضي فيقول له رسول الله بينتك أو يمينه أي عليك أن تقدم الحجة على ملكيتك لها أو الشهود على كلامك ذلك لأن مال غير المسلم له عصمة في دين الإسلام مثل مال المسلم وكذلك دمه وعرضه، ولم يستطع الأشعث أن يقدم أوراق أو يأتي بشهود – ولو كان في أيامنا تلك لكان أتى بشهود الزور وأوراق التزوير بكل سهولة وأثبت أحقيته فيها – قال يا أشعث

بينتك أو يمينه فقال يا رسول الله إذن يحلف وضاع مالي لا حول ولا قوة إلا بالله

إنه يهودي وسوف يحلف ليأخذ الأرض بينما هي في الحقيقة ملك للأشعث ولكنه ما كان معه بينة فلم يحكم له بها رسول الله ﷺ .

وقد ورد في مثل آخر على العدل في دولة الإسلام بين المسلمين وغيرهم أن رجل من الأنصار ادعى أنه من أهل الإسلام وكان له أخوة مسلمين سرق ذلك الرجل دقيقاً ودرعاً ولما رأى أنه سينكشف أمره خبأها في دار رجل يهودي ولما أكتشف الناس السرقة ووجدوها عند اليهودي كاد رسول الله ﷺ أن يثبت التهمة عليه وما كان الأمر كذلك ولكن دولة الإسلام تراعي حقوق الأخرين ألزمت بتحري الدقة والوقوف إلى جانب المخطئ حتى يتم إثبات الخطأ عليه تماماً ولذلك ظهرت براءة الرجل اليهودي وهرب السارق من المدينة حتى لا يُقام عليه الحد.

بعد أن أرسى رسول الله ﷺ قواعد الدولة الإسلامية في المدينة التي هاجر إليها من مكة وهو مطارد ومعه أصحابه إذا به يعود إليها في السنة الثامنة بعد الهجرة وهو فاتحاً منتصراً وهو قائد جيش ورئيس دولة وهو الملك والسلطان ثم يقف أمامه أهل مكة أهل الشرك الذين أذاقوه سوء العذاب وأخرجوه من داره وهم مطأطئ الرؤوس فقال لهم ما تظنون إني فاعل بكم فظنوا

أنهم هالكون لا محالة قالوا وهم في ذلة أخ كريم وبن أخ كـــريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام أرسى فيها قواعد الدولة ولما هم عائداً إلى المدينة لأنه قائد الدولة هل ترك مكـــة بغيـــر أمير ينوب عنه فيها ويقوم بأمور الحكم إنما نصب عليهم أميـــرا ترك لهم قائدا هو عتاب بن أسيد ﷺ وقد كان وقتها شاباً تجـــاوز العشرين بقليل ولكنه كان عنده من الكفاءة والحكمة والوعي مـــا يمكنه من أن يتولى أمور الناس وأن يكون ممثلاً لرســـول الله ﷺ وقد قال له رسول الله أتدري يا عتاب على من استعملناك علـــى أهل الله ولو نعلم لهم خير منك لاستعملناه عليهم، وذلك يدل على حرصه على انتقاء أفضل الناس لتولي أمور الناس ثم مـــن بعـــد رسول الله ﷺ أقره الصديق ﷺ أيضاً على ولاية مكة حتـــى إذا كان يوم وفاته وهو على فراش الموت ينازع سكراته يقول للناس من حوله أصبت في عملي الذي استعملني عليه رســـول الله ﷺ بردين معقدين وإني أتركهما لكيسان – هذا الرجل وهو في ذلـــك المنصب أميراً لمكة بكل ما فيها من خيرات يموت ولم يحـــصل من وظيفته تلك إلا على ثوبين وهو يتركهما صدقة لرجل فقيـــر اسمه كيسان – ثم قال فلا يقول أحد أخذ مني عتاب بن أسيد كذا أو كذا فقد استعملني رسول الله ورزقني كل يوم درهمـــين فـــلا أشبع الله عز وجل بطناً لا يشبعها درهمان .

كذلك كان رسول الله ﷺ يبعث بالرسل وكأنهم سفراء إلى ملوك وزعماء الدول المجاورة يحملون رسائل منه ولما كان يفتح الله عليه بفتح يرسل الولاة عليها فقد كان معاذ بن جبل ﷺ حاكما على جزء من اليمن وكان يوم أن بعثه يوصيه ويقول له يا معاذ اتقي دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، ولما فتح الجزء الثاني من اليمن بعث علي بن أبي طالب ﷺ حاكماً عليها، ويرسل قاضياً مع وفد نجران يقضي بينهم في الخصومات هو أبو عبيدة بن الجراح ﷺ كما جعل على البحرين بن حزام .

إن الذي يتعامل بهذا الأسلوب إنما هو قائد وزعيم وأكمل ما فيه أنه نبي ورسول وليس فيها مجادلة وعندما يأتي أناس يقولون أن الإسلام لا يخرج خارج المسجد فإنهم قد عطلوا الإسلام كله لأن الإسلام هو روح ومادة، دين ودولة، عقيدة وشريعة، سياسة وعبادة، دنيا وآخرة ودولة الإسلام تقوم على صلاح الدنيا وصلاح الآخرة بينما دولة الشيوعية أو دولة العلمانية تقوم على صلاح الدنيا فقط فإذا أردت دنيا بغير دين كان الخسران المبين في كليهما لأن الذي يحمي ويصون الدولة هو الدين فإن الضمائر تخاف من رب العالمين إذا كانت مؤمنة ولكن الناس لا تخاف القانون الوضعي حتى وإن اتبعوه مجبرين أو إلى حين إنما الناس تخاف الله رب العالمين، لذلك علي ﷺ يقول هب أن البعث لم تأتك نذره ورسل الله لم يُبعثوا ونار الله لم

تُوقد ألم يكن منك حياء من الله الذي أنعم عليك وأمدك بكـــل مـــا ترى .

هذه دولة الإسلام دولة رسول الله ﷺ التي أرادها الله عـــز وجل لكي يقيم بها أمور الناس في الدنيا وأن يصلح بها أمر الدنيا والدين وأن يجعل منها مدينة فاضلة وأن يجعـــل الآخـــرة جنـــة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين فهل تبيع دنيا فانيـــة بدار خالدة أبدية لا فناء فيها لا يهرمون فيها ولا يمرضون فيهـــا أبداً إنما عرقهم فيها المسك هم في شباب دائم لا هرم فيه ويقول قائل :

يا ويح نفسي والذكرى مؤرقة
إني ذكرت اليوم ما لم أنسه ألئانا
اليوم ذكرت صوت بلال حين أعلنها
للنـــاس نـــوراً وإخلاصـــاً وإيمـــاناً
سقيا لعهد نبي كان مسجده في السلم
روضـــة وفي الهيجـــاء مـــيداناً
عهـــد النبـــوة لـــولا فـــضل نـــسبتنا
لـــديننا الحـــق كنـــت اليـــوم تنعانـــا

الإنكار على الحاكم

يقول رسول الله ﷺ إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمكم بعذاب من عنده، ويقول كذلك أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله، ويقول كذلك لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وإلا ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يُستجاب له .

إن رسول الله ﷺ ما أراد أن يكون ظلماً وجوراً وكذلك لم يرد أن يكون قبولاً لذلك الظلم ولكن هناك حدود وضوابط فإن الأمر ليس بالهوى فإنها موازين فعن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقوموا في الله لا تخافون لومة لائم وعلى ألا تنازعوا الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً – ذلك ما بايعهم عليه رسول الله وتلك بنود الدستور وأم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ سيكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون – إن الأمير إنما هو بشر قد يخطئ ويصيب– فمن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع – الإنكار له مراتب ودرجات أولاً باللسان ثم باليد ثم بالقلب وذلك أضعف الإيمان – فقالت يا رسول الله هل ذلك على الأمراء الذي يظلم مرة ويعدل مرة الذي له حسنات وسيئات قالت يا رسول الله

أنقاتلهم أنخرج عليهم قال لا ما صلوا، وحذيفة بن اليمان ﷺ وهو أحد أصحاب رسول الله ﷺ وكان أميراً جاء إليه رجل يقول له يا صاحب رسول الله ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال له إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر حسن وليس من السنة أن تحتقر .

وبن غنم ﷺ ذهب إليه بعض من الناس قالوا له قول رسول الله ﷺ إن الله يعذب يوم القيامة من يعذبون الناس قال كذلك قال رسول الله ﷺ من كان عنده نصيحة لسلطان فلا يحمله عليها علانية ولكن يطلبه فإن قبلها قبلها وإلا فقد أدى الذي عليه.

الإنكار مطلوب والظلم مرفوض والرفق واللين من أسس دين الإسلام فإن الله عز وجل ضرب لنا مثلاً بمن هو أشد كفراً وشركاً الذي أدعى الألوهية ما بالك بالتعامل معه يقول الله عز وجل ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [[طه: ٤٢-٤٤]] رغم إنه من أكثر من طغى في الأرض وتكبر من أشد الفراعنة ظلماً وجوراً إلا أن الله عز وجل أمر نبيه أن يكون الإنكار عليه باللين، وإذا كان الإنكار يؤدي إلى ضرر أعظم وفساد أكبر فلا إنكار فمن قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان الإنكار يؤدي إلى مظلمة أكبر فليمتنع الإنكار وإذا كان الإنكار يؤدي إلى زوال الدولة حتى تكون لقمة سائغة لأفواه أعداء متربصين بها فإن

الإنكار هنا مرفوض والله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [[الأنعام: ١٠٨]] ولا تجد أبداً حاكماً أياً كان يرضى عنه الناس جميعاً بل تجد منهم راغباً فيه وتجد منهم ساخطاً عليه حتى رسول الله ﷺ ولم يكن هناك من هو أعدل منه بين الناس ولا أرحم وأرفق منه بهم فإنه كما ورد في البخاري ومسلم أنه كان يقسم بين الناس زاداً فقال له رجل هذه القسمة ما أريد بها وجه الله أنت ظالم فاعدل في قسمتك فقال له رسول الله ﷺ ويحك إن لم أعدل فمن يعدل .

وكذلك نجد من هو من العشرة المبشرين بالجنة ووعده بها رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان والياً على مدينة من المدن في خلافة عمر رضي الله عنه نجد الساخطين عليه يحشدون وينطلقون في مسيرة إلى مدينة رسول الله ﷺ ويدخلون على أمير المؤمنين يشكون إليه سعد قالوا يا أمير المؤمنين إن سعد لا يخرج في السرية – يتهمونه بالجبن وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وهو الذي فتح إيران ونشر فيها الإسلام – ثم قالوا ولا يقسم بالسوية – يتهمونه بالظلم والجور بينهم – وقالوا ولا يحسن الصلاة – أي لا يؤدي الصلاة كما يجب وهو من المبشرين بالجنة وتلك الثلاث إنما هى تهم خطيرة وعظيمة – فيستدعيه عمر رضي الله عنه رغم علمه به التام وبخلقه وعدله وشجاعته وورعه

ويعرف تاريخه كله ومع ذلك يستدعيه ويقول له إن القوم يقولون فيك كذا وكذا فقدم ما يبرأ ساحته من تلك التهم فهو رجل الكل يعرف شجاعته وعدله أما في الثالثة وهى الصلاة فقال يا أمير المؤمنين إني أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أحزم عنها وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة فدعا على هؤلاء الذين اتهموه بالباطل وخرجوا عليه فمنهم من فقد بصره ومنهم من عجز ومنهم من فقد سمعه فأصبحوا يتسولون الناس في الطرقات ويقولون إني ممن أصابهم دعوة سعد .

كل البشر يخطئ ويصيب ودين الإسلام ليس دين جحود ليس فيه إنكار لإحسان ورسول الله ﷺ هو الذي يقول لنا وطنوا أنفسكم على أن تقولوا للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت وهو الذي ضرب لنا المثل لما كانت غزوة بدر وسيق الأسرى إليه مكبلين بالأغلال يتذكر نعمة واحدة من رجل ما كان مسلماً وهو المطعم بن عدي تذكر له رسول الله ﷺ يوم أن عاد من الطائف إلى مكة ولم يدخلها إلا في جوار المطعم بن عدي فما نسيها له فقال لو كان المطعم بن عدي حياً لتركت له هؤلاء، وكذلك يوم فتح مكة فإن واحداً من أصحاب رسول الله وهو حاطب بن أبي بلتعة يرسل رسالة إلى أهل مكة يقول لهم إن مُحمداً توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو توجه إليكم وحده لغلبكم تلك رسالة في وقت الحرب والمعركة وهى بكل المقاييس جريمة عظمى قد يترتب عليها فساد عملية الفتح ولكن رسول الله ﷺ

وهو الكيس الفطن بعث علي بن أبي طالب ﷺ والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو في أثر امرأة كانت تحمل تلك الرسالة فأتوا بالرسالة منها فإذا بها من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين إذن اكتملت أركان الجريمة على حاطب فيقول عمر ﷺ دعني أقتله يا رسول الله فينظر رسول الله إلى حاطب ثم يقول لعمر لا إنه شهد معنا بدر وما أدراك لعل الله عز وجل أطلع إلى أهل بدر فقال لهم افعلوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم .

هناك موازين إذا أردت أن تزن الناس فانظر إلى الحسنات والسيئات فإن الله عز وجل سوف يحاسب الناس كل الناس بتلك الموازين يوم القيامة فإذا كانت الحسنات أكثر من السيئات دخل الجنة وإن كان العكس دخل النار، والشافعي ﷺ يقول أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب أو أعاب وأغض الطرف عن سباب قومي وشر الناس من يهوى السباب .

إن الإنكار على الحاكم من دين الإسلام والإسلام يحض على العدل وإن الإنكار له ضوابط حتى لا يؤدي إلى انهيار الدولة ودولة بعد دولة تنهار الأمة كلها ويلتهمها الأعداء وليس هناك حاكما منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها سواء كان مسلماً أو كافراً إلا والذي نصبه على الناس الله عز وجل وليس أحد سواه حتى وإن كان مسلماً فاسقاً يرتكب المعاصي فإن الله عز وجل يقول ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [[آل عمران: ٢٦]]

وإذا أنكرت على الحاكم الذي يحكمك فانظر إلى نفسك وإلى عملك أولاً وإلى عمل وفعل من حولك ممن يحكمهم هذا الحاكم فهل هم ملائكة مطهرون من الذنوب بل إن فيهم كل أنواع الذنوب والمعاصي، إن الله عز وجل يقول لنبيه داود أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فإذا كان الناس على الطاعة جعلت الملوك عليهم نعمة ورحمة وإذا كان الناس على المعصية جعلت الملوك عليهم نقمة، فإذا أن أردنا أن يحكمنا حاكم عادل فلنعدل فيما بيننا وإذا أردنا أن يحكمنا الرحيم فلنتراحم فيما بيننا وإذا أردنا أن يحكمنا الصالح فيجب علينا أن نصلح من أنفسنا أولاً والله عز وجل يقول ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [[الأعراف: ٩٦-٩٩]]

ويقول الله عز وجل ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [[النحل: ١١٢]] وحذيفة بن اليمان وهو من أصحاب رسول الله ﷺ يحذرنا ويقول ما خرج قوم قط على سلطان لله ليذلوه إلا أذلهم الله، كما يقول أبو بكر الصديق ﷺ في حديث رواه عن رسول الله ﷺ قال من أكرم سلطان الله أكرمه الله عز وجل ومن أهان سلطان الله أهانه الله

عز وجل . وقد جعلوه سلطان الله لأنه كما قلنا ليس سلطاناً بإرادته إنما بإرادة الله عز وجل، ويقول لنا رسول الله ﷺ إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه . أي إنه رجل مبعوث من عند قوم وهو له مكانة عندهم ليس ملك أو سلطان أو رئيس .

الفتنة إنما هى تعم ولا تخص فهى تأكل الأخضر واليابس وتأتي على الظالم وعلى العادل وعلى المظلوم أيضاً فسوف يزداد ظلماً فإن الله عز وجل يقول ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [[الأنفال :٢٥]]

ويقال إمام عادل خير من مطر وابل وإمام غشوم ظالم جائر خير من فتنة تدوم، فإن ظلمه قد يقع على بعض الناس أو كثير منهم ولكن باقي الأمة في مأمن من تلك الفتنة ليس معنى ذلك أن نقبل بالظلم ولكن هناك مراجعة وترجيح بين الإمام الغشوم الظالم والفتنة التي ليس لها نهاية ولا نزكي الظالم أبداً ولا نرتضيه فقد بدأنا الحديث بأن رسول الله ﷺ قال إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمكم بعذاب من عنده، ولكن هناك موازين ومقاييس وحقوق وأمور يجب أن تؤخذ بالاعتبار وكذلك هناك ترتيب وتنظيم وخطة عمل واضحة ومحددة حتى تأتي النتائج الإيجابية ونرفع الظلم عن الناس بغير أن نضر الناس كافة فلا نحصل في النهاية إلا على الفتنة التي نهى عنها الله ورسوله وقد يكون ظلماً أخف من ظلم فهل نتبع المقاييس الدقيقة في ذلك .

الحجاج بن يوسف الثقفي كان رجلاً في منتهى الظلم وليس ظلم في أقوات الناس بل إنه كان ظلماً في قطع الرؤوس وأول ما تولى الأمر نظر إلى الناس في خطبة التولية وقال أرى رؤوساً قد أينعت وطاب قطافها، فماذا بعد ذلك القول من ظلم وقد كان يطلق عليه السفاح ذلك السفاح في يوم من الأيام كان يتفقد الرعية بالليل فوجد رجلاً رافعاً يديه إلى السماء ويقول يا رب أرحنا من الحجاج فيمسكه من خلفه وينظر الرجل فإذا به الحجاج فعلم أنها القاضية فقد ضُبط متلبساً كما يقولون ليس فرية أو رسالة من أمن الدولة إليه فقال له الحجاج دعني أعلمك قال علمني يا أمير وهو يعلم أن بعد التعليم سوف يُجهز عليه فقال له الحجاج إذا دعوت الله عز وجل فقل اللهم أرحنا من الحجاج وأبدلنا خيراً منه، سبحان الله هو ظالم ولكنك ما تدري من الذي سيخلفه وقد يكون أشد ظلماً يجوز أن يخلفه مخمور فيؤدي بالدولة كلها إلى الهلاك ويجوز أن يخلفه عادل فيقيم العدل فهي في علم الله عز وجل ولا يصح أن تبني حكمك في أمر يخص عامة الناس ولست وحدك المتحمل العاقبة أن تبني حكمك على الاحتمال فعلينا أن نتقي الفتن ما ظهر منها وما بطن .

بشرية الرسول

ولد رسول الله ﷺ في عام الفيل كما قال عبد الله بن عباس ﷺ في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاثة وخمسين قبل الهجرة الموافق عشرون من ابريل سنة خمسمائة وواحد وسبعين ميلادية، والده عبد الله بن عبد المطلب ووالدته آمنة بنت وهب، ورسول الله ﷺ قال إنه ولد من زواج صحيح بين هذا الرجل وتلك المرأة فيقول ولدت من نكاح من لدن آدم حتى ولدني أبواي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لنا ولد رسولكم من نكاح كنكاح أهل الإسلام – أي من زواج صحيح كالزواج الذي شرعه الله عز وجل في دين الإسلام ذلك الدين الحنيف الذي يتجاوب مع فطرة الإنسان ويتعامل معها، ولد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام كأي مولود ورغم ما أحاط بميلاده من أشارات إلا إنها لا تخرجه عن كونه بشر فعن خالد بن معدان ﷺ قال قال أصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله صف لنا نفسك فقال أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي حين ولدتني كأنما خرج منها نور أضاء لها قصور بصرى بالشام وأنا قرشي وأنا أعربكم واسترضعت في بني سعد بن بكر .

ذلك المولود فرح به الجميع ولكن أشدهم فرحاً كان جده عبد المطلب الذي قال الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب

الأردان قد سادت في المهد على الغلمان أعيذه برب البيت ذي الأركان، أنت الذي سميت في القرآن في كتب ثابتة المثاني أحمد منطوقة بكل لسان

قال الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ما نظر إليه إلا بهذه الكيفية وهو صبي يلعب مع الغلمان، وعندما شب عمل في رعي الغنم بأجر لأهل مكة ولما امتد به العمر عمل بالتجارة يبيع ويشتري يجري عليه كل ما يجري على البشر وعندما نزل عليه الوحي ما أخرجه من بشريته والله عز وجل قال فيه لأهل قريش ولأهل مكة وللعالم أجمع قال ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [[التوبة: ١٢٨]] يقول الله إنه رسول من أنفسكم من الناس كلها من نسل ولد آدم وقد وصفه بصفتان من صفاته عز وجل بأنه رءوف رحيم، والذين ينكرون الرسالة ويحاربون رسول الله جاءوه بطلبات فوق طاقته كعادة أهل العناد في كل عصر وتلك الطلبات أنزل الله عليه بها قرآناً إذ يقول ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [[الإسراء: ٩٠-٩٣]] هو

بشر بكل المقاييس يتزوج النساء وينجب الأولاد والبنات ويموت من أولاده من مات وكان له أحفاد هو في كل ذلك بشراً رسولاً، وعبد الله بن مسعود ﷺ يصف رسول الله ﷺ قال كان رسول الله يقم بالبيت ويعلف البعير ويحلب الشاة ويرقع ثوبه ويخصف نعله وكان ينقلب إلى السوق فيشتري حاجته كان يسلم على الصغير والكبير على الحر والعبد .

كان ذلك هو مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام البشر الذي وصفه أنس بن مالك ﷺ فقال كان رسول الله ﷺ إذا استقبل الرجل فصافحه لا يحول بصره عن وجهه ولا ينزع يده من يد مصافحه حتى ينزع المصافح وما رؤي رسول الله مقدماً ركبتيه أمام جليس له قط .

كان بشر له أخلاق سامية وكان كذلك له هيبة واحترام ولكن تلك الهيبة ما أخرجته من صفاته البشرية وقالت واحدة من النساء دخل علينا رسول الله ﷺ فارتعدت من هيبته فقال يا مسكينة عليك بالسكينة، وقد رأته عجوز في طرقات المدينة فارتعدت فقال لها لا تراع إنما أنا بن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .

وهو الذي من رحمته يقول لنا عنه سلمان الفارسي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إنما أنا ولد من ولد آدم أغضب كما تغضبون فمن سببته أو لطمته فسأجعلها له دعاءً يوم القيامة، وذلك إقراراً منه بأنه يجري عليه ما يجري على البشر.

عندما شاهدوا كيف يتعامل النصارى مع القساوسة أراد واحداً منهم أن يتعامل معه بنفس الطريقة فقال لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فأنا عبد الله ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله، والله عز وجل أوحى إليه أن يقول ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [[الكهف: ١١٠]]

رسول الله الذي أنزل عليه التشريع كان يصلي وينسى ويسهو في صلاته وكان يقول بعد الصلاة إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني .

وهو أيضاً بشر يجوع ويشبع وأكثر أيامه كان يجوع فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ علينا فقال هل عندكم من طعام قلت لا يا رسول الله قال فإني صائم وهي التي تصف بيته عندما سألها عن ذلك عروة بن الزبير ﷺ قال لها ما عيشكم يا أماه وهي خالته قالت يا بن أختي كنا نرى الهلال ثم الهلال ثم الهلال – أي ثلاثة أهلة في شهرين – وما كان يوقد في بيت من بيوت رسول الله ناراً . أي ما كان فيها طحين حتى يُخبز بالنار ولا ما يتم طهوه – قال فما كان معاشكم قالت الأسودين التمر والماء .

وعبد الله بن عباس ﷺ يقول ما شبع آل مُحمد عليه الصلاة والسلام من خبز شعير قط وما خبز لهم مرققا، وهو الذي قبل أن

يغادر الدنيا اقترض وثق شعير من تاجر يهودي بعد أن رهن درعه عنده وغادر الدنيا ودرعه مرهون عند أبي الشحم اليهودي.

ورسول الله ﷺ كان يمرض ويصاب في الحرب ويجرح كما في غزوة أُحد وقد نصب له أهل الشرك كميناً وقع فيه فأصيب في وجهه وكُسرت رباعيته كما أنه كان يصح ويمرض مثل كل البشر وقالت أم المؤمنين عائشة وقد أصابها صداع قالت يا رسول الله وارأساه فقال لها بل أنا يا عائشة وارأساه أي هو كذلك يشكو الصداع، ودخل عليه عبد الله بن مسعود ﷺ يعوده في مرضه فوجده في شدة الوجع والألم فقال له يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً أذلك لأن لك أجرين فقال نعم إني أوعك كما يوعك رجلين منكم، وهو في آخر أيامه قبل أن يتوفاه الله عز وجل يمرض وترتفع درجة حرارته فيقول لأم المؤمنين عائشة أهرقوا عليَ سبع قرب من آبار شتى فأجلسوه في مخضب لحفصة أي إناء وجاءوا بقرب الماء وأفرغوها عليه وهو في شدة الألم فتأتي فاطمة رضي الله عنها تقول بعد ما شاهدته في تلك الحالة وا كرب أبتاه فيقول لها لا كرب على أبيك بعد اليوم يا مُحمد عش ما شئت فإنك ميت قالها جبريل له وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجازى به، والله عز وجل يقول في حقه ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [[الأنبياء: ٣٤]]

رسول الله ﷺ بدأ حياته بشراً كأي من ولد آدم وغادر الدنيا بشر كأي من ولد آدم، ورسول الله ﷺ يقول حياتي خير لكم ومماتي خير لكم أما حياتي فإني أشرع لكم الشرع وأسن لكم السنن وأما مماتي فإن أعمالكم تُعرض عليّ فما رأيت خير حمدت الله عز وجل وما رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم، وغادر رسول الله ﷺ الدنيا يوم الاثنين في شهر ربيع الأول .

وإن كان رسول الله ﷺ قائد هذه الأمة ومؤسس دولة الإسلام فيها وحاكما لها هو من البشر وليس من الملائكة فإنه لن يكون هناك حاكماً لدولة مُحمد إلا بشراً يخطئ ويصيب وإن الله عز وجل يقول في حقه ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [[الأعراف: ١٨٨]] وكذلك كل بشر وكل حاكم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يعلم الغيب وإنه كذلك لا يملك لغيره نفعا ولا ضرا .

ونرى أن الغرب يحارب الدولة الدينية لماذا هم عندهم غير عندنا ودينهم غير ديننا فقد حاربوا الدولة الدينية أيام الثورة الفرنسية ولقد قامت الثورات في أوروبا ضد حكم أصحاب الدين من القساوسة والرهبان لماذا لأن الأمر كان عندهم استغلال للدين في غير مواضعه وجعلوه سيوفاً على رقاب العباد وجعلوا في

الدين ما لم ينزل الله به من سلطان فانحرفوا به وحرفوه ومن أمثلة ذلك أنهم جعلوا ما أحله القساوسة في الأرض أحله الله في السماء بداية يحل القسيس في الأرض ثم الله عز وجل يستجيب له ويحل في السماء ما أحله القسيس في الأرض وما حرمه القسيس في الأرض حرمه الله في السماء كما أنهم عملوا ما يُعرف بصكوك الغفران يكتبونها لمن أراد أن يُغفر له ذنبه مقابل ما يقدمه لهم من عطايا فكأنها تباع وتُشترى، أما نحن نعرف أنه إذا أخطأ الواحد من الناس يتوجه إلى الله عز وجل ويدعوه أن يغفر ذنبه لا يتوجه إلى شيخ جامع ولا رئيس دولة فإن الله عز وجل يقول ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [[البقرة: ١٨٦]] لأن دين الإسلام ليس فيه كهنوت إنما دين فيه قال الله عز وجل وقال رسول الله ﷺ ويحكم به بشر .

ومعاذ بن جبل ﷺ عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن حاكماً عليها قال له يا معاذ بما تحكم بين الناس إذا عُرض عليك قضاء قال بكتاب الله عز وجل قال فإن لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فإن لم تجد قال أجتهد ولا آلو ،لذلك دولة الإسلام دولة دينية مدنية أما اللفظ الذي يقال هذه الأيام بالدولة المدنية إنما يُراد به ألا تكون للدولة هوية إسلامية ولا مرجعية دينية ولا تكون

شريعة الإسلام هى مصدر التشريع فإن الخطب جلــل وعظــيم والكرب جسيم ويجب علينا أن نحكم عقولنا ونفهم ما يُراد بــذلك الدين وتلك الدولة فإن الحكام مهما طال بهــم الوقــت زائلــون فلنحرص على أن من يحل المحل يقودنا بلا إلـــه إلا الله مُحمــد رسول الله نحيا عليها ونموت في ســبيلها فــإن الإســلام ديننــا والقرآن دستورنا ومُحمد عليه الصلاة والسلام قائدنا وكــل قائــد يأتي من بعده لابد أن يحكمنا بتلك الشهادة وبهذا الدستور المنزل من عند الله عز وجل .

الصحابة والحكم

غادر رسول الله صلى ﷺ الدنيا في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر بيع الأول الموافق الثامن من شهر يونيه سنة ستمائة اثنين وثلاثين من الميلاد وقبل أن يغادر الدنيا كما يقول عقبة بن عامر ﷺ قال صلى رسول الله على شهداء أُحد بعد ثمان سنين – قبل أن يتوفاه الله تذكر شهداء أُحد فهم لم يذهبوا من فكره ذهب في زيارتهم يدعوا لهم – كالمودع للأحياء والأموات ثم قال أيها الناس أنا بينكم فرط وإن موعدكم الحوض وإني أنظر إليه من مقامي هذا وإني لا أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوها .

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول بينما رسول الله ﷺ في شدة الألم ومعه خميصة يضعها على وجهه فإذا اغتم رفعها وقال أيها الناس لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد – ينهانا رسول الله أن نجعل من قبره مسجدا .

وأبو سعيد الخدري ﷺ قال خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه ثم ارتقى المنبر وقال أيها الناس إن عبداً خيره الله عز وجل أن يعطيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى الصديق ﷺ وقال يا رسول الله نفديك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا من أبي بكر ثم قال رسول الله سدوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبا بكر، ثم يخرج ثلاثة أيام قبل موته على

الناس ويقول أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهـذا ظهـري فليستقض منه، أيها الناس من كنت شـتمت لـه عرضـاً فهـذا عرضي فليستقض منه، أيها الناس من كنت أخذت منه مالاً فهذا مالي فليستقض منه – إنما يريد أن يبرئ ساحته قبل الموت أمام كل الناس – ويقول للناس الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم .

قُبض رسول الله ﷺ فأظلمت المدينة كما جاء عن أنس بن مالك ﷺ قال لما دخل رسول الله المدينة أضاء فيها كـل شـيء وعندما غادر الدنيا أظلم فيها كل شيء، قبضه الله عز وجل إليه ولما شاع الخبر في الناس كادت أن تذهب العقول لقد ترك هـذه الأمة وتلك الدولة حتى إنِ عمر بن الخطاب ﷺ وهـو الحكـيم القوي قال إن ناساً من المنافقين تزعم أن مُحمداً قد مـات ومـا مات فإنه ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى عليه السلام وسـوف يرجع والله ليرجع رسول الله فيقطع أيدي رجال وأرجلهم قـالوا أنه مات .

رسول الله ﷺ وهو مسجي في داره وعليه برده علي بـن أبي طالب ﷺ يغسله وقبل أن تمس يده جسده يشم رائحة المـسك تفوح منه فيقول ما أطيبك يا رسول الله حياً وميتاً، والصديق مـا كان بالمدينة وقت الوفاة وعندما حضر قالوا مُحمد قد مات فدخل عليه وكشف عن وجهه وقال والذي نفسي بيده لقد مت يا رسول الله لقد ذقت الموتة التي كتبها الله عز وجل عليك والله لا يجمـع الله عليك موتتين أبداً ثم خرج على الناس بكل علم وحكمة وثبات

وقال أيها الناس من كان يعبد مُحمداً فإن مُحمد قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت والله عز وجل يقــول ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [[آل عمران: ١٤٤]] هذا الموقف وذلك القول من أبي بكر إنما أعاد إلى النــاس صوابها وقال عمر ﷺ كأني لم أسمع تلك الآية إلا عندما تلاهـا أبا بكر وكأنها لم تنزل إلا اليوم .

خلت الدولة من الحاكم البشر من الزعيم والقائد وأصحاب رسول الله ﷺ لم يأتهم أمر من قائدهم الذي ترك الدنيا بمن يخلفه من بعده اللهم إلا من بعض الإشارات وهم من حولهم الدول فــي تلك العصور ممالك كبيرة ولهــا ملــوك وقياصــرة ولا تخلــوا أطماعهم ولا يخفون عداوتهم لتلك الدولة الإسلامية الناشئة ولكن رسول الله ﷺ تركهم بدون أن يفرض عليهم خليفة له حتى يبــين لهم ولنا وللبشرية كلها من بعده أن الأمر في دين الإسلام إنما هو بالديمقراطية التي يتشدقون بها اليوم التي ينبغــي فيهــا اختيــار الحاكم ولكن بمعايير وأسس محددة بينما اليوم لا تستطيع أمــة أو دولة ما أن ترقى إلى ما تعاملت به دولــة الإســلام وأصــحاب رسول الله كانوا يعلمونها بالفطرة من كثرة مــا مارســها فــيهم رسول الله القائد والمعلم والزعيم وبالفعل تعلم منه الأنصار ذلــك الدرس فاجتمعوا بعد وفاته في سقيفة بني ساعدة واختاروا فيمــا

بينهم سعد بن عبادة ﷺ وهو رجل ليس عليه غبار وهو من أصحاب رسول الله ﷺ الأخيار وشهد له رسول الله أنه سوف يلبس ويُكسى من ثياب الجنة ولكن هناك من هو أحق وأجدر فانطلق عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح والصديق رضي الله عنهم إلى سقيفة بني ساعدة إلى ذلك المؤتمر الذي أقيم لتنصيب الحاكم لدولة الإسلام فيقول الصديق لأبي عبيدة مد يدك أبايعك وتلك هى التزكية والاختيار فإن رسول الله قال في حقك أنت أمين هذه الأمة عندما قال لأبعثن عليهم أمين حق فإذا بعمر يأخذ بيد الصديق ويقول إني أبايعك وكل ذلك حتى يُعرض المرشحون للخلافة على الناس ولا يتم فرض واحد بعينه على الناس لأن طائفة منهم قد زكوه واختاروه رغم أنه من اتقى الناس وعندما يرى الناس هؤلاء الثلاثة تذكروا فضل أبي بكر فهو أول من آمن مع رسول الله ﷺ الذي يقول ما عرضت هذا الأمر أي الإسلام على أحد إلا وكانت له كبوة وتردد إلا أبا بكر ما تردد فيه حين عرضته عليه، ولو عددنا مواقف الصديق ﷺ من دين الإسلام ونصرته لرسول الله ما كفى المقال فهو بحق أحد الدعائم التي قام عليها دين الإسلام وانتشر وذلك من فضل الله عز وجل عليه ويكفيه شرفاً أن الله عز وجل أخرجه من معاتبة أمة الإسلام كلها لعدم نصرة مُحمد فإن الله عز وجل يقول ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا

﴿ فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[[التوبة: ٤٠]] وهو العالم الحكيم فقد كان يفتي في الدين في حياة رسول الله ﷺ فعن جبير بن مطعم ﷺ قال أتت امرأة إلى رسول الله فأمرها أن ترجع قالت أرأيت يا رسول الله إن رجعت فلم أجدك قال فأتي أبا بكر، كما أن من أشارات رسول الله ﷺ لمكانة وفضل أبي بكر أن جعله أميراً للحج فكان أول أمير للحج من قبل رسول الله وهو الذي اختاره ليكون إماماً بالناس في الصلاة في حياته وذلك عندما كان في شأن له خارج المدينة فقال يا بلال إذا لم آت فأمر أبا بكر فليصلي بالناس وهو الذي يقول لا ينبغي لقوم فيهم أبا بكر أن يؤمهم غيره، وعن عبد الله بن زمعة ﷺ قال خرجت من عند رسول الله فوجدت عمر في المسجد ولم أجد أبا بكر فقلت يا عمر قم صلي بالناس وكان رجلاً جهوري الصوت فلما سمعه رسول الله قال أين أبا بكر يأبى الله ذلك والمسلمون، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله وهو في مرضه مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامك لا يُسمع الناس – أي أن صوته ضعيف وبه رقة يبكي وهو يقرأ القرآن– فلو أمرت عمر فكررها عليهم رسول الله مروا أبا بكر فليصلي بالناس .

من أجل كل ذلك وأكثر عندما فاضل الناس وقارنوا بين كل رجل منهم وكلهم من أكفأ وأصلح وأخلص الناس لدين الإسلام ولتولي خلافة رسول الله ﷺ وقيادة تلك الدولة لهذا كانت بيعة السقيفة وكأنها ترشيح لعدد من الأكفاء حتى يختار منهم الناس من يكون الإجماع عليه بأنه هو أفضلهم هو أصلح الصالحين وفي اليوم التالي لهذا الحدث يجتمع الناس كل الناس وكأنهم يخرجون إلى استفتاء وتصويت وانتخاب للتأكد من اختيار الناس ويجمعون وبأكبر عدد منهم على اختيار الصديق ﷺ وأرضاه وكان الاختيار بالإجماع لكل ما له من صفات مما يجعله أفضل من غيره لهذا المقام، وعندما استقر بهم الأمر وبايعوا الصديق بهذا الإجماع وقف فيهم خطيباً فماذا قال هو يعلم أنه بشر والعلمانيين في وقتنا هذا يقولون نريدها دولة مدنية أي لا تقوم على أي أساس من الدين من أي دين كان ولنجعل الدين في الصدور أو في المساجد أو حتى في الكنائس لا دخل للدين في الدولة وهم يخلطون الأمر على بعض الناس بهذا المصطلح لأن الكثير من الناس كما هو مشاع ومعروف في وقت سابق أن المضاد لكلمة مدنية هى كلمة دولة عسكرية أي يحكمها رجال الجيش والعسكر كما كان الحال بعد ثورة عام اثنين وخمسين ولذلك تجد من الناس من ينجذب لدعوتهم بدون أن يعرف المغزى والمعنى مما يقصدون بتلك الدولة المدنية كما يعرفها أهل الشيوعية الذين يطلقون اليوم على أنفسهم المثقفين وفي

بعض الأحيان العلمانيين حتى يتخلصوا من مصطلح الشيوعية الذي أصبح سيئ السمعة واندثرت قوته وانهارت أركان دولته وأصبح في طي النسيان بينما الأفكار التي يروجون لها ما هي إلا امتداد لهذا الفكر فالدولة المدنية تعني انتزاع الدين من الدولة والاحتكام في كل شئون الدولة والحكم للقوانين الوضعية التي هى من صنع البشر ولا يكون لها أي مرجع من دين أو شرع، إنما يريدون أن ينزعوا عن دولة مصر هويتها الإسلامية دولة ليس لدين الإسلام فيها رأي أو حكم ولا للشريعة الإسلامية فيها نصيب يريدون أن يعودوا بنا إلى الوراء وإلى تخلف الجاهلية قبل أن يرسي الله عز وجل قواعد هذا الدين العظيم ببعثة مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فإن الله عز وجل يقول ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [[المائدة: ٣]] أتم الله للناس ذلك الدين حتى يكون حكماً بينهم وشريعة تنظم أمور حياتهم ووسيلة لتقدم الأمم ورقي الشعوب ليس كما يشيع أعداء الدين بأن الدين يؤدي بالضرورة إلى التخلف والجهل وما أجهلهم فهؤلاء ما قرءوا تاريخ الأمم والشعوب وما حال الناس قبل هذا الدين وكيف كان الحكم فيهم وإلى أي مصير كانوا وكيف أصبح حالهم ومآلهم من بعده ولكن ذلك بشرط أن يأخذ الناس بما أمرهم الله به ونهاهم عنه وأن يحكموا بما أنزل الله في كتابه العزيز وأن يهتدوا بسنة نبيه ورسوله مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

إن غاية ما يهدفون إليه أن يمحى من ذلك الدستور الذي يحكمنا أن دين هذه الدولة هو دين الإسلام وأن كل ما يُسن فيها من قوانين مصدره الشريعة الإسلامية وفي ذلك الخراب كله والهوان كله والاستبداد كله والهزيمة أمام كل عدو يتربص بنا ولا يريد لنا الخير أبداً .

وقف الصديق ﷺ في الناس خطيباً وهو يعلم أنه حاكم بشر ليس بكاهن ولا إله وما ادعى أن الوحي يتنزل عليه فقال أيها الناس وُليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا أعمهم البلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم - تلك الكلمات إنما هى بمثابة الدستور وما يتفرع منه من قوانين تحكم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتلك كانت مقدمة الخطبة فقد جاء عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال خطب أبو بكر الصديق ﷺ فقال أيها الناس ما كنت حريصاً على الإمارة في يوم ولا ليلة وما كنت راغباً فيها وما سألتها سراً ولا علانية ولكني خشيت الفتنة - فإن الحاكم في دين الإسلام هو الذي لا يسعى إلى السلطة ويحرص عليها ويبذل في سبيلها كل غال ونفيس ويقدم نفسه على أنه أفضل الناس ولكن يتقدم عندما تخلو الساحة من الحاكم ثم على الناس أن

تختار الأصلح والأعلم والأكفأ تختار الذي يقترب بصفاته من صفات رجل مثل الصديق ﷺ لا يتركون الأمر للسفهاء وضعاف الدين حتى يختاروا سفيهاً منهم أو جاهلاً ليس عنده حكمة وكياسة ويعرف كيف يزن الأمور ولا للمتعجل المتسرع وكل هؤلاء وغيرهم موجودون على الساحة ولهم مؤيدين ومن شأن ذلك أن يورد الأمة موارد الهلاك .

اختار الناس الصديق للخلافة والحكم ولأنه بشر وما من بشر إلا وتجد من يطعن عليه فلن تجد واحداً في الدنيا كلها وقد أجمع عليه كل الناس فيقف أبو سفيان ويقول للناس أين الضعيفان أين علي والعباس - بينما علي بن أبي طالب رجل حكيم يعمل لصالح الأمة ولصالح الدين ليس من أجل شهوة السلطة والنفوذ فهو الذي تولى الرد فوأد الفتنة في مهدها - فقال علي ﷺ يا أبا سفيان طالما حاربت الإسلام وأهله فلم تضره شيئا إني وجدت أبا بكر أهلاً لها لقد أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس وإني حاضر غير غائب وإني صحيح غير مريض ولو شاء أن يقدمني لقدمني فرضينا لدنيانا من ارتضاه رسول الله لديننا .

لقد حرص علي ﷺ على وأد الفتنة مبكرا ففي كل زمان منافقين ومثلهم في زماننا فنجد بذور النفاق ألقيت في الأرض فأثمرت نجد المادح بالأمس القريب معترض اليوم ويسب ويطعن أين كنت وقتها فلطالما ملئت الدنيا كلاماً ولم يمنعك احد فإما أنك

كنت منافقاً أيامها وإما انك منافقاً اليوم فاختر واحدة من هـــاتين فلا ثالث لهما .

بعض من الناس يقولون لا سياسة في الدين ولا دين فـــي السياسة أليس كل الذي قلناه سياسة إن الإسلام دين وسياسة عقيدة وشريعة تحكم وتقود دين ودولة كلاهما يحمي الآخر ولولا ذلـــك ما استمر وما وصل إلينا ذلك الدين، والذي يريد أن يفصل الدين عن الدولة إنما يريد الهدم وليس البناء، قد قال قائل :

لا دنيـــا لمـــن لم يحـــي دينـــاً

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

غادر رسول الله ﷺ الدنيا لم يترك لنا حاكما بعينـــه ومـــا سمى لنا أميرا من بعده ولكنه ترك للناس حرية الاختيار بعد مـــا علمهم ورباهم وأدبهم فقد علمهم كيف يختاروا ومـــن يختـــاروا ولماذا يختاروا خطوطاً عريضة وأسس راسخة إذا عملنا بها كان حسن الاختيار وإن لم نعمل بها كان سوء الاختيار وكنـــا لقمـــة سائغة لأفواه المتربصين من كل مكان .

الديمقراطية صناعة إسلامية

من معاني الديمقراطية أنها حكم الشعب بالشعب والأمر فيها يرجع إلى صناديق الاقتراع وحسب عدد الأصوات ودين الإسلام إنما كان أول من تعامل بها في أيام المصطفى عليه الصلاة والسلام ولكن قبله كان يحكم الناس بل قل يتحكم في الناس القياصرة والملوك الأكاسرة يخلف بعضهم بعضاً بالتوريث أو أن يمتطي الواحد منهم سطوة الحكم بالقوة والجبروت بينما دين الإسلام تعامل أصحاب رسول الله فيه بما تعلموه من رسول الله ﷺ وبما استنبطوه من سنته وما وجدوه في كتاب الله عز وجل فكان الحكم في دين الإسلام على غير ما اعتاد الناس في هذا الزمان وتلك الأماكن لم يسبق له مثيل عندهم وما سمعوا به من قبل في أياً من الممالك التي وجدت من قبلهم فلن تجد له مثيل إلا في دين الإسلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فإن تولية الحاكم في الإسلام لا يُرشح لها أحد ولا يدعو لنفسه فيها أحد فعن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن سألتها وُكلت إليها وإن لم تسألها أُعنت عليها .

وجاء أبو ذر ﷺ وهو من خيار الصحابة وقال يا رسول الله ألا تستعملني – أي تجعلني أميرا أو والياً – فقال يا أبا ذر إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها

وأدى ما عليه فيها إنها أمانة يا أبا ذر لا تـــأمرن علـــى اثنـــين ولا تلين مال يتيم . لماذا قال رسول الله له ذلك إن رسول الله ﷺ يعلم أن أبا ذر رجل تقي ورع وبه الرحمة والشفقة ولكنه لـــيس لديه الإمكانيات والملكات التي تجعله أميراً على الناس وأن يقود الناس هو لا يستطيع أن يلي أمر اثنين هل لعيب فيـــه لا ولكـــن لرحمة فيه يأتيه الواحد من اثنين فيتكلم معه بمعسول الكلام فيلين له برحمته وهو كذلك في مال اليتيم إذا كان قيماً عليـــه فـــسيأتيه اليتيم يبك ويطلب منه مالاً ومن شفقته سيعطي له المـــال حتـــى لا يبقى لليتيم مالاً لذلك قال له رسول الله ﷺ هذا الكلام يريد أن يعلمنا أن التقوى والورع ليست كل مؤهلات الحاكم .

إذن في دين الإسلام من يطلبها لا يُمكن منها بينمـــا الـــذي يُمكن منها من يعلم الناس أنه يستطيع حملها وأن يقوم بهـــا كمـــا كان الترشيح للصديق من مجموعة من اجتمع فـــي ثقيفـــة بنـــي ساعدة وهم أهل الحل والعقد في الدولة وقتها أهل الحكمة والعقل الذين يزنون الأمور لتكون في موضعها علموا أن الصديق أهـــلاً لها ورغم ذلك لم ينتهي الأمر على ذلك ولا تتم البيعة بـــذلك ولا يكون رئيساً أو حاكما وأميراً حتى تكون بيعة الناس جميعاً العامة منهم والخاصة بيعة الشعب كله فكان أول من سن سنة أن الشعب يختار حاكمه إنما هو دين الإسلام وأهله من أصحاب رسول الله ﷺ بما تعلموه من ذلك الدين فجمعوا الناس في اليوم التالي وقالوا لهم أتقبلوا الصديق حاكما وأميراً عليكم فبايعه الناس ما تخلـــف

منهم أحد، ثم بعد أن بايعه الناس هو يريد أن يجعلهم في حل من تلك البيعة حتى يتأكد تماماً من اختيارهم فيخرج عليهم ثلاثة أيام ويقول أيها الناس إني قد اقلتكم بيعتكم أي رددتها عليكم مرة أخرى فيقوم علي بن أبي طالب يقول له والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله فمن ذا الذي يؤخرك .

اختار لهم رسول الله من هو أعدلهم وأتقاهم وأعلمهم بحدود الله فلنحرص فيمن نختار أن يكون على ما اختار رسول الله ﷺ للناس من بعده، ثم ترك لهم حرية الاختيار فيمن ينطبق عليه تلك الشروط وما فرضه عليهم فرضا حتى لا يقول الناس وإلى يوم القيامة فلان الذي يحكمنا الآن لم يسميه لنا رسول الله ﷺ.

الصديق ﷺ وهو على فراش الموت ينظر إلى حال الدولة وقد اتسعت أرجاءها يحاول أن يختار خليفة له فهل كان اختياره فرض وإلزام لا بل هو ترشيح وتزكية له فجعل الصحابة وهم كذلك أهل الحل والعقد والعلم والفقه والدين يدخلون عليه واحدا بعد الآخر فيسأل كل منهم ما تقول في عمر فأجمعوا عليه جميعاً فكان الترشيح والتزكية وعلم الناس أن الصديق يرشح عمر ما ولاه عليهم فدخل عليه من دخل وقال له يا خليفة رسول الله ما تقول لربك إذا سألك عن عمر وقد رشحته لنا وأنت تعلم غلظته فقال أجلسوني فلما أجلسوه قال أبالله تخوفوني خاب من تزود من أمركم بظلم إذا سألني ربي أقول اخترت لهم خير أهلك – قال

اخترت لهم ما قال عينت لهم أو جعلت عليهم اختار لهم خير الخلق الذي إذا سلك فجاً سلك الشيطان فجاً غيره اختار لهم عمر الذي عندما أسلم بعد تسعة وثلاثين رجلاً وامرأة نزل قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [[الأنفال: ٦٤]] اختار لهم عمر الذي قال فيه عبد الله بن مسعود ﷺ كان إسلام عمر فتحاً وكانت هجرته نصرا وكانت إمارته رحمة وما صلينا عند البيت حتى أسلم عمر فقاتلهم حتى صلينا .

وبعد أن اختار ورشح عمر أمر عثمان بن عفان ﷺ أن يكتب كتاباً قال فيه هذا ما عهد به بن أبي قحافة وهو في أخر أيامه بالدنيا خارجاً منها وأول أيامه بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن عدل فذلك علمي به وظني فيه وإن بدل فالخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم أغلق الكتاب، ثم خرج عثمان ﷺ على الناس على الشعب وقال أيها الناس هل تبايعون لمن في هذا الكتاب – والكتاب مغلق ولا يعلمون الاسم بداخله فقال الناس بايعنا لمن في هذا الخطاب – إلى أي درجة من السمو كان اختيار الشعب لحاكمه .

لقد كانت الموافقة أولاً من أهل الحل والعقد على ترشيح وتزكية عمر الذي ما طلبها منهم أبداً وما قال للناس انتخبوني ثم كان بعد ذلك البيعة من كل أفراد الشعب قالوا بايعنا لمن في هذا

الكتاب فكان هو عمر بن الخطـــاب ﷺ يحكـــم النـــاس بالعـــدل والرحمة حتى أن علي بن أبي طالب ﷺ يزكي حكـــم الـــصديق وعمر فيقول والذي نفسي بيده إن الله عز وجل جعل أبـــا بكـــر وعمر حجة على الولاة من بعدهما والله لقد سبقا ســـبقاً عظيمـــاً وأتعبا من وراءهما تعباً شديدا فذكرهم حزن للأمة وطعن علـــى الأئمة .

ثم نمر الأيام وعمر ﷺ يقتله عدله فإن سبب موته شـــهيداً إنما هو عدله ولولا أنه كان عادلاً ما قُتل وهو على فراش الموت يتذكر أمة الإسلام ويخشى أن تنهار من بعد موته الفجائي فيقول لمن حوله إن أتركُكم فقد تركَكم من هو خير مني رســـول الله ﷺ وأن أرشح لكم فقد استخلف من هو خير منـــي يعنـــي الـــصديق فجعل ستة أسماء للناس حتى يختاروا منها اسماً وكلهم من أكفـــأ وأتقى وأعلم الناس منهم علي وعثمان والزبير رضي الله عـــنهم جميعاً .

عثمان بن عفان ﷺ هو زوج ابنتي رســـول الله ﷺ وهـــو الذي قال في حقه لو أن لي أربعين بنتاً لزوجت عثمان واحدة بعد الأخرى، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال كنت حارساً علـــى باب رسول الله فاستفتح الباب فقال لي رسول الله افـــتح وبـــشره بالجنة فكان الصديق ﷺ ثم استفتح الباب مرة ثانيـــة فقـــال لـــي رسول الله افتح وبشره بالجنة فكان عمر ﷺ ثم استفتح الباب فقال لي افتح وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فكان عثمان ﷺ لـــذلك

اختار أهل الحل والعقد عثمان بن عفان ثم عرضوا هذا الاختيار على كل الناس فكانت الموافقة والبيعة من كل الناس وبإرادة كل الشعب قمة الديمقراطية .

تولى عثمان بن عفان ﷺ أمر المؤمنين وما سعى إليها ولكنه وجد نفسه فيها وتمر السنين ويبلي عثمان في الخلافة بلاء حسناً وتزداد رقعة الدولة الإسلامية حتى تظهر الفتنة التي أشعلها بن السوداء اليهودي الذي دخل الإسلام حتى يهدم فيه من الداخل حقداً على ما وصلت إليه الدولة الإسلامية في عهد عثمان من اتساع فأرادوا أن يفتنوها ويفرقوا بين أهلها بالفتنة حتى تمكنوا من عثمان ﷺ كما تنبأ بذلك رسول الله ﷺ في حديثه إليه حيث قال يا عثمان لعل الله عز وجل أن يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه – أي أرادوا أن يخلعوك من قيادة الدولة فتنهار الأمة – فلا تفعل . خرج الناس على عثمان وهو الذي كان من أتقى الناس وذلك بفعل وتحريك أيادي خارجية تريد أن تهدم الأمة فقد قال له رسول الله ﷺ يا عثمان تُقتل وأنت مظلوم وتقطر قطرة من دمك على وسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وقد حدث دخلت عليه الفئة الباغية وهو يقرأ في المصحف فضربوه فإذا بقطرة من دمه تنزل على تلك الكلمة من سورة البقرة وهي في مصحفه الذي كان يقرأ فيه إلى وقتنا هذا وعندما استشهد عثمان ﷺ أسرع الناس إلى علي بن أبي طالب ﷺ يقولون له أنت لها أنت لها فهل استغل الأمر وقال إن الشعب يريدني إنما

قال ارجعوا إلى أهل الحل والعقد في الدولة ارجعوا إلى أهل بدر بقية الموجودين على قيد الحياة ممن شهدوا غزوة بدر لأنهم كانوا من اتقى وأفضل الناس وقتها وهم بمثابة أهل الترشيح فاختاروه للترشيح وكانت البيعة من الناس ولكن معاوية بن أبي سفيان على أثر خلاف دب بينه وبين علي عندما طلب معاوية من علي أن يقتص ممن قتلوا عثمان وكان علي يريد أن يؤجل الأمر حتى تستقر الأوضاع وعلي إنما هو فقيه وهو باب من أبواب العلم الذي قال عنه ذلك هو رسول الله ﷺ حيث قال أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتي بابه . وهو الشجاع الذي عُرف في الحروب بالأسد الجسور وبينما كان معاوية يرى أن الأوضاع لن تستقيم في الدولة إلا بالقصاص من قتلة عثمان ﷺ فكان الخلاف والاختلاف وانحياز جماعة من الناس إلى جانب علي وأخرى إلى جانب معاوية واستمرت الفتنة تنسج خيوطها حتى نالت من علي ﷺ وهو على فراش الموت يقول لمن حوله إذا ظفرتم بالرجل أي الذي قتله فإنما هى ضربة بضربة ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المُثلى ولو بكلب عقور، هو أراد بتلك الوصية ألا يكون هناك إسراف في القتل وينشغل الناس بقتل بعضهم بعضا وتزيد الفتنة وتنهار تلك الأمة ويأتي الناس كلهم إلى الحسن بن علي أربعين ألفاً منهم يلتفون حول بيته يقولون له أنت لها أنت لها وكيف لا وهو سيد شباب أهل الجنة كما قال فيه رسول الله ﷺ فينظر الحسن إلى مصلحة الدولة

وصلاح الدين فإن هؤلاء الرجال من الرعيل الأول مـا كانـت الدنيا والمناصب هى همهم فينظر إلى أتباعه وأعوانه ومريديـه وينظر إلى معاوية ومن معه من الناس ويتذكر قول رسـول الله ﷺ عندما نظر إليه وقال ابني هذا سيد ولعل الله عـز وجـل أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فـصالح معاويـة ﷺ وترك له ولاية أمر المسلمين ثم خطب في الناس وقال أيها الناس إن الله عز وجل هداكم بأولنا وحقن دمائكم بآخرنـا وإن أكـيس الكيس التقي وإن أعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر حـق لـي تركته لله عز وجل ولأمة مُحمد عليه الصلاة والـسلام ولحقـن دمائكم ثم نظر إلى معاوية وتلا قول الله عـز وجـل ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [[الأنبياء: ١١١]]

لذلك ما كان تولي معاوية للخلافة عنوة أو قـصراً إنمـا تنازل له عنها صاحب الحق فيها ثم كانت الموافقة والبيعة مـن كل الناس .

إن دين الإسلام يحكم الناس بالترشيح من أهل الحل والعقد ثم تكون البيعة وصناديق الاقتراع والاختيار مـن كـل الـشعب بإرادة لا تزوير فيها، والحاكم لا يقدم نفسه ولا يطلب المنـصب إنما يختاره ويرشحه أهل العلم والفقه والدين ثم يعرضوه علـى الناس .

وذلك النموذج الديمقراطي في دين الإسلام نجعلـه للـذين يتشدقون اليوم بالأنظمة والنمـاذج فـي دول الـشرق والغـرب

ويقولون نأخذ من هؤلاء لا بل من هؤلاء والذي تريدونه إنما هو موجود في دينكم وبين أيديكم ولكن بسبب جحودكم بهذا الدين وما تخفي صدوركم وثقافتكم التى تدعونها لم تصل إلى أن تستنبط هذا النموذج الأمثل من دين الإسلام فإن الديمقراطية صناعة إسلامية فإذا أردنا أن ننصب حاكما فلنرجع إلى المنبع ونستقي منه وفي تاريخ دولة الإسلام خير شاهد على ذلك لأن الناس عندما جنبوا تلك الأسس الديمقراطية في حكم الدولة ماذا حدث لهم فبعد انتهاء ولاية معاوية ﷺ أصبح الحكم حكم ملوك وسلاطين جلب الاستبداد ولا يُحسب ذلك على دين الإسلام أبداً إنما يُحسب على من لم يلتزموا ما أمرهم به دين الإسلام فكان من هؤلاء الملوك والسلاطين الصالح والطالح ومنهم من رفع راية دولة الإسلام عالية خفاقة من أقصى الأرض إلى أقصاها وحكم البلاد والعباد بما أنزل الله عز وجل وبسنة رسول الله ﷺ ومنهم من أخذهم حب الدنيا فضربهم الوهن في مقتل حتى تقلصت الدولة الإسلامية وجاء المستعمر الغربي بالقوانين الوضعية والنماذج الغربية في الحكم .

إن اختيار الحاكم أمر جلل عظيم والله عز وجل سوف يسأل كل منا عن اختياره فليحذر الجميع ويعملوا عقولهم وقلوبهم حتى يكون الاختيار لمن هو أهل لها .

الديمقراطية وأحد

قال علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاه الناس من جهه التماثل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء وإن يكن لهم من نسب يفخرون به فالطين والماء وما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء .

كل الناس إنما هم سواسية كأسنان المشط ولكن هناك ناس لها فضل إن أكرمكم عند الله أتقاكم كما قال الله عز وجل والتقوى لا تأتي إلا بالعلم .

تعلم العلم يا فتى تحوز فخر النبوة فالله قال ليحيى خذ الكتاب بقوة، وخير العلم أن تدرس سيرة رسول الله ﷺ وتغوص فيها فإن سيرته إنما هى تعاليم في ذلك الدين كما أن الأوائل من أهل الإسلام كانوا يحرصون على تعليم تلك السيرة لأبنائهم كما نعلم نحن لأبنائنا السورة من القرآن وذلك لأن السيرة إنما تجمع دين الإسلام كله فهي فيها أسباب النزول وفيها شرحاً له وفيها مسائل الفقه كلها، والله عز وجل جعل مُحمداً عليه الصلاة والسلام وأصحابه يخوضون أغوار المعارك ولو شاء الله بقدرته أن ينصر رسوله ويظهر دينه بغير حرب ولا قتال لفعل وما ذلك على الله بعزيز أليس الله هو الذي صعد به إلى السماوات العلى وهو الذي أخذه من مكة إلى بيت المقدس وعاد به قبل أن تشرق الشمس فقد كان الله عز وجل قادراً أن يهزم أعداؤه بكلمة كن

فيكون ولكن كانت إرادة الله عز وجل بأن يمر رسول الله بكل ما مر به إنما هو تعليماً لنا وأخذاً للموعظة والدرس من غزوة مثل غزوة أُحد تلك الغزوة التي خرج إليها رسول الله ﷺ في يوم السبت النصف من شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة تلك الغزوة التي أعد لها أهل الشرك كل العدة فإذا بهم بعد هزيمتهم في غزوة بدر يجمعون أموال عام كامل حتى يجهزوا جيشاً لها والله عز وجل يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [[الأنفال: ٣٦]] تلك الآية نزلت في تلك النفقات التي جمعها أهل الشرك لغزوة أُحد سطرت في كتاب الله عز وجل وهى ماثلة كما وجدناها أمامنا عندما جمع أهل الكفر في أيامنا كل أموالهم وعتادهم لغزو ديارنا أليست تلك الآية هى العاملة ولا زالوا ينفقون تلك الأموال والعتاد على مدى كل تلك السنوات ولم يحرزوا نصراً حتى الآن وإذا نظرنا إلى الأزمات الاقتصادية التي يمر بها العالم وتكاد تطيح باقتصاد تلك الدول الغنية ما نجد إلا تفسير تلك الآية وعملها فيهم حتى يومنا هذا .

ورسول الله ﷺ كان قائد أمة وزعيم دولة وقائد جيش لا يُؤخذ على حين غرة فقد كان قدوة لكل قائد من بعده فإنه كان يبث العيون حتى يستطلع أخبار أعداؤه وهو الذي مؤيد بالوحي وجاءته الأخبار بأن أهل الشرك تحركوا إلى المدينة وكان هذا الخبر يوم الجمعة فجمع الناس في مسجده في مجلس الشورى

أو مجلس الأمة أو مجلس الشعب جمع الناس أمامه فماذا قال لهم هل قال لهم أنا ربكم الأعلى كما قال فرعون وما أهديكم إلا سبيل الرشاد إنما عرض على الناس الأمر جيش أهل الشرك قد وصل إلى أُحد فماذا نصنع ثم عرض عليهم وجهة نظره بذلك الأسلوب قال والله رأيت خير ورأيت كأن في ذباب سيفي ثلمة ورأيت أن هناك بقر يُذبح ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فعلينا أن ننتظر الأعداء فيها – هو لم يفرض على الناس رأياً معيناً إنما جاء بتلك الكلمات من منام رآه قال لقد رأيت أن سيفي هذا أصيب ولكن تلك الإصابة في طرفه – عبد الله بن ابي بن سلول يشاركه الرأي ويقول له يا رسول الله لا تخرج إليهم فإننا والله ما خرجنا إلى عدو إلا نال منا وما دخلها علينا عدو إلا نلنا منه – رسول الله ﷺ الذي علم العالم كله-كيف تكون الديمقراطية والشورى بين الناس والذي تأتي أمريكا وغيرها لتعلمنا وانظر إلى أحمد شوقي كيف وصف حال الأمم في أيام رسول الله ﷺ وكان وصفه حكيماً يقول :

أتيت يا مُحمد والناس فوضى

لا تمر بهم إلاعلى صنم قد هام في صنم

مسيطر الفرس يبغي في رعيته

وقيصر الروم من كبر أصم عمي

يعذبان عباد الله في شبه

ويذبحان كما ضحيت بالغنم

كيف كانوا يتعاملون مع رعاياهم مع شعوبهم كما نجد صور وأمثلة لها في أيامنا

بينما وقف رسول الله المعلم بعد أن قال لهم تلك الكلمات يستطلع آراءهم وهو واقف على المنبر ويطلب كل عضو من أعضاء الجماعة الإسلامية أن يتكلم فيؤذن له وقف حمزة أسد الله ﷺ يقول له أخرج بنا إليهم يا رسول الله حتى لا يظنوا أننا جبناء نخافهم ولم يكتف بذلك رسول الله وقف أياس بن أوس ﷺ وقال يا رسول الله أخرج بنا فإنا نرجو أن نكون البقر المذبوح ثم يقف أبو خيثمة ﷺ ويقول يا رسول الله لقد رأيت ابني خيثمة – وكان قد استشهد في بدر – في نومي في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ويقول إلحق بنا يا أبي فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً يا رسول الله لا تحرمنا الجنة ثم يقف عمرو بن الجموح ﷺ وكان أعرج القدم يقول أخرج بنا يا رسول الله لعلي أن أنال الشهادة فوالذي بعثك بالحق إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة بينما يقول له أولاده نحن نكفيك يا أبانا فإن لك عذرك – ويقول رسول الله في حديث معناه إني رأيته يطأ بعرجته في الجنة – ثم يقف النعمان بن مالك ﷺ يقول يا رسول الله أخرج بنا إلى عدونا فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة فقال رسول الله وبما تدخلها يا نعمان قال أدخلها بأني أحب الله ورسوله ثم يقف غيرهم وغيرهم وبعد أن سمع كل هذه الكلمات وذلك الإصرار على الخروج كان قرار الخروج ودخل إلى بيته

وارتدى عدة الحرب ولبس لأمته والناس في الخارج يتـــشاورون فيما بينهم فقالوا لقد استكرهنا رسول الله على الخروج – انظـــر إلى تلك الكلمة الشعب يقول لقد استكرهنا الحـــاكم ومـــن يكـــون الحاكم إنما هو مُحمد رسول الله ﷺ فكيف يأتي حاكم مـــن بعـــده ويقول ليس لكم كلمة من بعدي وإنما هو رأيي وحكمي ولكن تلك كانت هى الديمقراطية التي علمها دين الإسلام للعالم كله قبل أن تكون أمريكا أو أوروبا – وخرج عليهم رسول الله وقد ارتـــدى عدة الحرب فقالوا لقد استكرهناك يا رسول الله فقال رسول الله ما ينبغي لنبي لبس لئمته أن يضعها حتى يحكم الله عز وجـــل بينـــه وبين عدوه وقد دعوتكم إلى هذا الأمر من قبـــل فـــأبيتم فعلـــيكم بتقوى الله – لأن تقوى الله هى المنجية من كل شر وهى المرشدة إلى كل خير – والصبر عند البأس وانظروا ما أمـــركم الله بـــه فافعلوه .

إذا تعاملت بهذه الثلاثة في دنياك فأنـــت الفـــائز، خـــرج رسول الله بجيشه بعد أن أوصاهم بتلك الثلاثة وعندما وصل إلى أُحد وجد جبلاً يسمى جبل عينين فجعل عليه الرماة خمسين رامياً وأعطاهم الأوامر انضحوا عنا الخيل بالنبل لا يأتون من خلفنا إن كانت لنا أو علينا لا تبرحوا أماكنكم سواء انتصرنا أو رأيتمونـــا نُقتل وإن رأيتمونا نغنم فلا تـــشاركونا ثـــم وقـــف فـــي جنـــوده وأصحابه وهو القائد فيجعل جائزة ليس مثل جوائز أيامنـــا هـــذه التي تقوم على أكل أموال الناس بالباطل فالجائزة التـــي جعلهـــا

رسول الله ﷺ أن جاء بسيفه وقال للناس من يأخذ هـذا الـسيف بحقه قالوا وما حقه يا رسول الله قال أن يضرب في المـشركين حتى ينثني فقال أبو دجانة ﷺ أن آخذه بحقه يا رسول الله فقال له رسول الله لعلك تقاتل به في الكيون في مؤخرة الصفوف يريد أن يحمسه فأخذ السيف وانطلق يضرب به في المشركين وهو يقول أنا الذي عاهدني خليلي ألا أكون مدى الدهر في الكيون أضـرب بسيف الله والرسول، واشتدت المعركة ورسول الله القائد في قلبها فقد كان من أشجع الناس ليس قائدا يجلس في مركز القيادة بعيدا عن القتال كما كان يصفه علي بن أبي طالب ﷺ يقول كان مُحمد عليه الصلاة والسلام أشجع الناس يوم أُحد وعندما أشاع النـاس أن رسول الله قد قتل قال علي نظرت في القتلى فلم أجده وأعلـم أنه ليس بفرار فقد فزع أهل المدينة في أحد الأيام على صـوت عال فإذا برسول الله يأتيهم من عند الصوت على فـرس عـري لأبي طلحة وهو يقول للناس لا تراعوا فما وجدناه إلا بحرا ثـم يقول علي فحملت على القوم فإذا برسول الله داخلهم فـي وسـط المعركة، كان ذلك درساً من تلك الغزوة وهي كلها دروس وعبر وعلينا ونحن في أيامنا تلك أن نأخذ الدروس والعلم والعبرة مـن رسول الله ﷺ فإنه هو القدوة التي تقودنا إلى جنة رب العـالمين وهو الذي مهد لنا الطريق المستقيم الذي إذا سـرنا فيـه تجنبنـا الحفر التي تهوي بنا في الجحيم .

قال رسول الله ﷺ الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تقصم ظهره والحب في الله يقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد عنكم الشيطان كبعد مشرق الشمس إلى مغربها، ويقول أيضاً من غدا إلى مسجد يريد أن يتعلم علماً أو يعلمه كان له كأجر من حج حجة تامة تامة، ورسول الله في هذا الحديث بدأ بالذي يريد أن يتعلم قبل الذي يُعلم لأن الذي يُعلم قد يأخذ أجره ثناءً من الناس أو دعاءً له، وإن من بعض المفاهيم التي وقع فيها بعض الناس بالخطأ أن غزوة أُحد كانت هزيمة لجيش الإسلام وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فرسول الله ﷺ ما هُزم في معركة قط إنما كل معاركه خرج منها منتصراً بإذن الله عز وجل ورسول الله هو قائد المؤمنين فكيف يهزم والله عز وجل يقول ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [[الروم: ٤٧]] وإذا كان هذا الإدعاء يأتي من أعداء الدين فنقول إنهم يريدون أن يشوهوا الصورة وينالوا منه ولكن المشكلة أن يخرج هذا الكلام من علماء منتشرون على الفضائيات يتطاول الواحد فيهم ويقول انهزم أهل الإسلام في أُحد وما جاءوا بتلك الكلمة إلا من وسط المعركة فإن معركة أُحد كانت على ثلاثة فصول فصل كان فيه انتصاراً ظاهراً بيناً وفصل كان فيه هزيمة ثم كانت النتيجة النهائية في الفصل الثالث وهو النصر المبين لذلك تأتي النتيجة النهائية هي المعبرة عن مجمل فصول المعركة والذي يقول ويجزم بهذا النصر إنما هم من شهدوا تلك المعركة وعايشوها ومنهم عبد الله

بن عباس ﷺ حبر الأمة ومترجم القرآن قال عن أُحد ما نصر الله عز وجل في موطن كما نصر في أُحد ثم يقول وبيني وبينكم كتاب الله عز وجل الذي يقول ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [[آل عمران: ١٥٢]] خرج رسول الله إلى المعركة وكان أولها انتصاراً حتى أن الزبير بن العوام ﷺ يقسم ويقول قد رأيت خدم سوق هند بنت عتبة وصواحبها يولون الأدبار فراراً من أرض المعركة، وتلك هى التي كانت تحمس وتشجع جنود أهل الشرك في المعركة، وفي منتصف المعركة وكما قلنا أن رسول الله أمر كتيبة من الرماة أن يثبتوا في أماكنهم وكانوا بقيادة عبد الله بن جبير ﷺ عندما خالفوا تلك الأوامر بدافع حب الدنيا ونزلوا لجمع الغنائم أصبح ظهر الجيش مكشوفاً للأعداء وحدث ما حدث وأشاع المشركين أن مُحمداً قد قتل وحتى إن كان قتل فإن الله عز وجل يقول ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [[آل عمران: ١٤٤]] كانت هذه اللحظة التي ذكرت على أنها هزيمة وما كانت إلا تعليماً لأمة الإسلام من بعده في كل زمان ومكان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

وتهذيباً وعبرة وموعظة ودرساً لن ننساه أبداً فإن الكثـــرة ولـــت الأدبار والقلة هى التي ثبتت في أرض المعركة وحولت الهزيمة إلى نصر وأنس بن النضر ﷺ وهو رجل ما كان له من ذكر قبل أُحد ماذا صنع عندما وجد صحابة رسول الله قد انطلقوا فـــراراً من أرض المعركة فيسألهم فيقولون مات مُحمد فماذا كانت إجابته قال إن كان مات مُحمد فموتوا على ما مات عليه وأخـــذ ســـيفه وقال اللهم أني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء ثم ينطلق إلـــى أرض المعركة، ورسول الله ﷺ صامداً ثابتاً في وسطها وحوله عدد قليل من الرجال ومنهم امرأة واحدة وقد كان بهم الانتصار وأبو طلحة الأنصاري يقول يا رسول الله بأبي أنت وأمي لا يـــصيبك ســـهم نحري دون نحرك إني جلد يا رسول الله فوجهني في حوائجـــك ومرني بما شئت، ويقول سعد بن أبي وقاص رضـــي الله عنـــه جمع لي رسول الله ﷺ يوم أُحد أبي وأمي كان يعطيه السهم مـــن غير نصل ويقول أرمي فداك أبي وأمي، وطلحة بن عبيد الله وأم عمارة نسيبة الخزرجية رضي الله عنهم بتلك القلة كان الانتصار الذي تحقق في آخر صفحة من صفحات تلك المعركـــة وســـقط شهداء كما هو في كل معركة يسقط شهداء الله عز وجل يختارهم لجنته .

والدليل الثاني من دلائل الانتصار أن أم المؤمنين عائـــشة رضي الله عنها تقول خرجنا يوم أُحد ننظر ما صنع رســـول الله ﷺ فإذا بجمل عليه وسقين فعندما اقترب الجمل فإذا بامرأة عمرو

بن الجموح الذي سقط شهيداً في المعركة فسألتها ماذا صنع رسول الله قالت دفع الله عن رسوله واتخذ من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال . تلك كانت النتيجة النهائية للمعركة ثم سألاها عن الوسقين فقالت هذا زوجي عمرو بن الجموح وهذا أخي، فكان قول تلك المرأة الحكيمة إنما يحكي لنا قصة انتصار المسلمين في معركة أحد ثم إن الذي ينتصر هو الذي يثبت في أرض المعركة ولا يغادرها فإن الذي ثبت في ساحة القتال بعد نهاية المعركة هو رسول الله ﷺ ومعه كل أهل الإسلام والذي فر بيقين هو المهزوم وهم أهل الشرك إذ جمع أبو سفيان جنوده وانطلق بهم إلى مكة وكان ينادي بأعلى صوته ويقول أعلو هبل فيقول رسول الله لعمر أجبه يا عمر فيقول الله أعلى وأجل ثم يقول أبو سفيان لنا العزة ولا عزة لكم فيقول رسول الله أجبه يا عمر فيقول لأنه ﷺ كان صوته جهورياً عالياً يسمع كل الناس كما وصفته أم المؤمنين عائشة فقالت كان عمر إذا تكلم أسمع وإذا ضرب أوجع وإذا مشى أسرع فكان جهوري الصوت لذلك أمره رسول الله أن يتولى الرد على أبي سفيان فقال الله مولانا ولا مولى لكم فيرد الآخر ويقول يوماً بيوم والحرب سيجال فيرد عليه ويقول ليسو سواءً قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، إذن رسول الله ﷺ لم يغادر أرض المعركة بيقين بل مكث فيها وإلى أي وقت فقد قلنا إن امرأة عمرو بن الجموح كانت تنقل الشهداء من أرض

المعركة إلى البقيع ليتم دفنهم بأمر رسول الله الذي قال ردوا القتلى إلى مصارعهم وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ يقول جمع رسول الله ﷺ بين الرجلين من شهداء أُحد في اللحد الواحد ويسأل أيهم أكثر قرآناً فيقدمه على أخيه ودفنهم في دمائهم ولم يُغسلوا وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ما من جريح يجرح في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يدمي اللون لون الدم والريح ريح المسك، وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله فمنا من وقع أجره على الله ومنا من قضى نحبه ولم يأكل ثمرتها كان مصعب بن عمير ﷺ ممن استشهد يوم أُحد ولم يترك إلا نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه كُشفت رجلاه وإذا غطينا رجلاه كشف رأسه فقال رسول الله غطوا بها وجهه واجمعوا نبات اسمه الأذخر غطوا به ما ظهر من رجلاه، كل ذلك إنما يتم في أرض المعركة فكم استغرق هذا من وقت دليل على أن الذي ثبت في أرض المعركة إنما هو رسول الله ﷺ بيقين والذي فر منها هارباً هو جيش أهل الشرك والكفر فمن يكون المنتصر ؟

في مسند أحمد بن حنبل ﷺ حديث رواه رفاعة بن رافع الزرقي ﷺ قال لما انكشف المشركون يوم أُحد قال لنا رسول الله استوا حتى أثني على ربي فصففنا صفوفاً وهو في أُحد ثم قال اللهم لك الحمد كله اللهم لا باسط لما قبضت ولا قابض لما بسطت ولا ما نع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا هادي لمن

أضللت ولا مضل لمن هديت اللهم نسألك من فضلك وجودك ورزقك اللهم نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم نسألك العون يوم العيلة والأمن يوم الخوف اللهم نعوذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم غضبك وعقابك يا رب العالمين .

كل ذلك تم في أرض المعركة فمن يكون المنتصر إنما هو مُحمد ﷺ بيقين، ثم يقول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرج في أثر القوم فإن رأيتهم امتطوا الإبل وجنبوا الخيل فهم يتجهون إلى مكة وإن رأيتهم جنبوا الإبل وامتطوا الخيل فهم يتجهون إلى المدينة والذي نفسي بيده لأناجزنهم فيها .

ثم يأتي آت ويقول وهم في أرض المعركة يا رسول الله إن أبا سفيان قد جمع الناس من أهل الشرك والكفر ليعيدوا الكرة عليكم فهل ترك رسول الله موضعه وانطلق ما فعل بنص آيات القرآن الكريم ولكنه انتظرهم ثلاثة أيام وليال يوقد النار ويقول يا أبا سفيان ها أنا هنا يا جيش الكفر أنا أنتظركم ويقول الله عزوجل فيها ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [[آل عمران:١٧٢-١٧٤]] .

وبعد الثلاثة أيام يعود رسول الله ﷺ بجيشه المنتصر إلى المدينة ويقول علي لفاطمة زوجته رضي الله عنهما وهو يناولها السيف الذي كان يحارب به والله لقد بليت في نصر أحمد ومرضاة رب بالعباد عليم .

تلك هى الحقائق كما وردت في كتاب الله عز وجل وفي السنة الصحيحة ومن يقول غير ذلك في غزوة أُحد فهو واحداً من اثنين إما أن يريد الطعن في دين الإسلام وإما أن علمه ضحل يسير ما كان عليه أن يتجرأ على الرواية قبل أن يرجع إلى الصحاح من الكتب وإلى كتاب الله عز وجل وكذلك ما جاء في كتب التاريخ الموثقة مثل البداية والنهاية لأبن كثير فإن رسول الله انتصر في أُحد وما كانت هزيمة أبداً ولكن الانكسار كان في أوسطها ونتائج الحروب والأعمال لا تُحسب إلا بخاتمتها، كما أنصف تلك الغزوة في أيامنا هذه رجل منصف وهو اللواء الركن محمود شيت خطاب قال إن خسائر غزوة أُحد سبعين شهيداً وعدد القوات في جيش رسول الله كان سبعمائة رجل فكانت الخسارة عشرة في المائة وتلك الخسارة أمام جيش مثل جيش أهل الشرك الذي يتكون من ثلاثة آلاف مقاتل شيء لا يُذكر ولا تعتبر خسارة مطلقاً وإنما كانت هى انتصار .

أنا وليهم في الدنيا والآخرة

يقول الله عز وجل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [[الأحزاب:٤١-٤٢]] ويقول ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [[الرعد : ٢٨]]

وعن رسول الله ﷺ فيما روى عن رب العزة في حديث قدسي قال يا بن آدم إذا ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منه وإن تقربت إليّ شبراً تقربت إليك ذراعاً وإن تقربت إليّ ذراعاً تقربت إليك باعاً وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولاً .

ذلك قول الله عز وجل في هذا الحديث القدسي وخير ذكر الله هو مُدارسة العلم وفي دين الإسلام طلب العلم فريضة ومُدارسته تسبيح والبحث فيه جهاد، وأول ما نزل من القرآن اقرأ فأمة مُحمد ﷺ كان يجب أن تكون أمة رائدة وسائدة تكون أعلم أهل الأرض تعمل بما أمرهم الله وبما أمرها رسوله .

والمال في دين الإسلام له قدر عظيم لأنه تقوم به أسباب الحياة فلم يترك دين الإسلام أمر يخص المال إلا وشرع فيه شرائع وكان من ضمن ذلك أن ولي الأمر أمين على أموال الأمة كما علمنا رسول الله ﷺ عن طريق أوامره ونواهيه وما كان رسول الله فقيراً ولكنه كان ينفق ماله كله في سبيل الله عز وجل وقد مر في يوم من الأيام على جبل أُحد وهو جبل شاهق وكان

معه أحد أصحابه فقال له لو أن لي أُحداً ذهباً لأنفقته في ثلاث – أي ينفقه كله في سبيل الله في ثلاثة أيام – ورسول الله ﷺ نحر في يوم من الأيام مائة من الإبل ووزعها في سبيل الله وكان رغم ذلك في بيته يقضي الأيام بغير طعام فعن عروة بن الزبير ﷺ قال كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحكي عن الطعام والشراب في بيت رسول الله ﷺ وعروة هو بن أختها أسماء قالت كنا نرى الهلال ثم نرى الهلال ثم نرى الهلال وما يُوقد في أبيات رسول الله ناراً – أي أنه يمر الشهرين ويدخل الشهر الثالث ولا يتم إشعال النار التي يتم طهو الطعام عليها فما كان عندهم من شيء يستدعي أن يُوقد له النار – فقال لها عروة متعجباً فما كان طعامكم يا أماه قالت الأسودان التمر والماء . هذا هو زاد رسول الله ﷺ وكذلك قالت في رواية أخرى ما شبع آل بيت رسول الله ﷺ من طعام مأدوم قط – أي من طعام داخله إدام مثل السمن، ورسول الله عندما توفاه الله عز وجل مات ودرعه مرهون عند يهودي كان قد اقترض منه وسق من شعير طعاماً لأهله ولماذا اقترض من يهودي ولم يقترض من أصحابه مثل أبي بكر أو عمر أو عثمان الذي كان من أغنى أغنياء المدينة وأي منهم عنده من المال والزاد الكثير ولكنه اقترض من اليهودي حتى يضمن أن ذلك اليهودي سوف يطالبه بالسداد أما الصديق أو عمر أو عثمان ما كان أي منهم ليطالبه بالسداد فكانت تلك حكمته من الاقتراض من اليهودي .

ثم يأتي من بعده الصديق ﷺ الذي كان من أغنياء قريش عندما توفاه الله عز وجل لم يكن يملك شيئاً من المال حتى أنهم لم يجدوا له الكفن فقال لهم كفنوني في ثوبي القديم هذا فإن الحي أولى بالجديد ما أراد أن يكفن في ثياب جديدة وذلك لأن رسول الله ﷺ قال من كسى مسلماً ثوباً كان في رحمة الله ما دام عليه من ذلك الثوب خيط .

ثم كان من بعد الصديق عمر بن الخطاب ﷺ يجمع الناس يخطب فيهم ويقول أيها الناس اقرأوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله واعلموا أنه لن يباعد من رزق ولن يقدم من أجل أن يقول المرء صدقاً فإن الصدق منجاة، وهو الذي يقول أنني ما بلغت ما بلغت إلا بثلاث الحكم بما أنزل الله والأخذ بالقوة وأداء الأمانة – تلك الثلاثة هى التي أقامت تلك الدولة المترامية الأطراف في عهده الحكم بما أنزل الله والأخذ بقوة على يد كل ظالم وأداء الأمانة، والأمانة في الحكم عدل وتوزيع الأموال بين الناس بالحق ومراعاة شئون الرعية أمانة والعمل على راحتهم امانة – ثم يقول واعلموا أني في مالكم هذا كوالي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت فبالمعروف ثم سن السنة لكل الولاة من بعده وقد كان في عام المجاعة والناس لا تجد الطعام كان يأكل مما يأكل الناس وكان يربط حجراً على بطنه وعندما كانت تكركر يحدثها ويقول لها كركري كما تكركري لن تأكلي حتى يأكل المسلمون حتى يشبع أهل الإسلام من الرعية وجاءه

رجل اسمه عتبة بن فرقد ﷺ بنوع من الحلوى وقال له يا أمير المؤمنين اطعم هذه فيقول له أو هذا يطعم كل أهل الإسلام قال لا قال إذن لا أطعمها ثم يقول له وقد كان والياً على أذربيجان التي على حدود روسيا فقد كانت وقتها حدود دولة الإسلام في عهد عمر ﷺ فقال له يعلمه ويعلم من بعده قال يا عتبة إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك أطعم أهل الإسلام مما تطعم منه ولا تلبس الحرير – أي لا تتميز على عامة الشعب الذي تحكمه لا في الطعام ولا في اللباس كأنه يأتيه أفخر الأنواع من أوروبا وغيرها كما نسمع هذه الأيام وكذلك لا ترتدي من الملابس ما يميزك عنهم مثل الحرير، ذلك كان نهج عمر وتلك كانت شريعته، وكذلك كان عثمان بن عفان ﷺ الذي كان من أكثر الناس ثراءً وعندما أصبح حاكماً وأميراً للمسلمين كان يأكل الخسف من الطعام حتى لا يتميز على خلق الله، وهؤلاء إنما هم سادوا العباد وقادوا البلاد إلى الرفعة والخير كله هؤلاء باعوا الدنيا واشتروا الآخرة فكانت لهم النجاة .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ ثلاثة أقسم عليهن لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له وأسهم الإسلام ثلاثة الصلاة والصوم والزكاة ولا يتولى الله عبداً في الدنيا فيوليه غيره في الآخرة ولا يحب عبداً قوماً في الدنيا إلا جعله الله معهم في الآخرة .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وسأله متى الساعة فقال له وما أعددت لها قال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله عز وجل ورسوله فقال له أنت مع من أحببت – لأن حبك لله عز وجل ورسوله يجعلك تستقيم على أوامر الله وسنة رسوله لأن الإنسان إذا أحب يكون مع من أحب فإذا كنت ترتكب المعاصي والآثام ثم تقول أنك تحب الله عز وجل فإن الأمر هنا لا يستقيم ويكون متناقضاً، ثم قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والرابعة لو حلفت عليها أرجو ألا آثم لا يستر الله عبداً في الدنيا إلا ستره في الآخرة .

ورسول الله ﷺ دخل على أسماء بنت عميس رضي الله عنها بعد أن جاءه خبر مقتل جعفر زوجها ﷺ تقول أسماء في حديثها دخل عليّ رسول الله وقد دهنت بني وطيبتهم فقال لي أين ولدي جعفر محمد وعبد الله فعندما جيء بهم فشمهم رسول الله وقبلهم ثم زرفت عيناه فقلت يا رسول الله أجاءك شيء قال أصيب جعفر فأخذت أبكي واجتمع عليّ النساء ثم أمر أن يُصنع لنا الطعام وأمهلنا ثلاثة ثم دخل علينا وقال لا تبكوا على أخي جعفر بعد اليوم أي بعد ثلاثة أيام، وكما روى عبد الله بن جعفر قال لما دخل علينا رسول الله ﷺ جيء بنا فبدأنا بالتسمية وقال يا محمد أنت شبيهي أما أنت يا عبد الله شبيهي في الخلق والخُلق ثم جاءت أمنا تشكو لرسول الله ضعفنا فقال العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة .

ونخلص من تلك الرواية أن الأم جاءت تشكو لرسول الله ضعف هؤلاء الصغار فقال لها أتخافين عليهم من الفقر وأنا وليهم في الدنيا والآخرة من هذه الكلمة كانت ولاية رسول الله ﷺ لأنه كان زعيم تلك الأمة وقائدها وحاكمها كانت ولايته على أهل الديار من الضعفاء والمساكين الذين قد لا يجدون ما يأكلون أو يلبسون مما يدل على أن ولي الأمر في دولة الإسلام متكفل بكل أهل الإسلام يلزمه بذلك موقعه الذي يشغله وقد أمر رسول الله ﷺ بذلك في حديث له قال من ترك مالاً فلورثته ومن ترك ديناً وضياعاً فإليّ وعليّ، ومعنى ذلك أن الحاكم مأموراً إذا مات واحداً من أهل الإسلام وهو في نطاق حكم هذا الحاكم وترك مالاً يعود هذا المال لورثته لا تأخذ الدولة منه شيئاً تحت أي مسمى من المسميات وإلا كان ذلك منافياً لشريعة الإسلام ومخالفاً لما أمر به رسول الله ﷺ، أما إذا ترك المتوفي ديناً عليه أو ضياعاً والضياع المقصود بها الأطفال الذين لا عائل لهم ولا مورد رزق لهم فإن الدولة تتكفل بقضاء ذلك الدين عنه وتتولى أمر الأطفال الأيتام في كل شئونهم حتى لا يكونوا عرضة للضياع يهيمون على وجوههم في الطرقات تلك هى شريعة الإسلام وما أتينا بها من أنفسنا إنما من حديث رسول الله ﷺ لأرملة جعفر عندما قال أنا وليهم في الدنيا والآخرة والله عز وجل يقول ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي

كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [[الأحزاب: ٦]] معنى ذلـــك أن النبي هو المتكفل بكل المؤمنين الذين لا يستطيعون تدبر أحوالهم أما إذا كان هناك من أرحام عندهم القدرة فـــإن بعـــضهم أولـــى ببعض.

تلك الأحكام هى التي كانت تطبق في دولة الإسلام كمـــا في يوم من الأيام دخل عمر بن الخطاب ﷺ المسجد لـــيلاً قبـــل صلاة الفجر وبصحبته عبد الرحمن بن عوف رضـــي الله عنـــه وإذا بصبي يبكي عند النساء فقال عمـــر يـــا صـــاحبة الـــصبي أخفضي صوته أي أرضعيه حتى يكف عن البكاء فلا يزال الطفل يبكي فكررها مرتين وفي الثالثة أجابته المرأة وقالت وهى لا تعلم أنه عمر أمير المؤمنين لقد أرهقتني هذه الليلة فتعجب عمر مـــن ذلك وسألها لماذا لا ترضعيه فأجابـــت لأن عمـــر لا يعطـــي إلا للفطم أي أن عمر لا يقدم عطاءً من بيت المال للرضيع حتى يتم فطامه فأرادت أمه أن تعجل بفطامه قبل موعده لأنها لا تجد مـــا تنفقه لرعاية الطفل إذن كان القانون في دولة مُحمد أن كل مولود إذا بلغ عمره سنتان وأربعة أشهر يستحق عطاءً من الدولة يقول عبد الرحمن بن عوف ﷺ فصلى بنا أمير المـــؤمنين الفجـــر ولا نكاد نستبين قراءته من بكاءه – ومن هو عمر لقد كان جباراً في الجاهلية من أقسى الناس ولكن الإسلام محى كل ذلك منه ووضع مكانها الرحمة والشفقة والحنان – ثم بعد ما صلى قال يا بؤســـاً

لك يا عمر كم قتلت من أطفال المسلمين حمل نفسه المسؤلية عن الأطفال الذين لم يجعل لهم عطاء قبل الفطام ثـم نـادى علـى صاحب بيت المال وزير المالية وقال له أصدر قانوناً يفرض لكل مولود في دولة مُحمد عطاء فكان لكل مولود في دولة الإسـلام عطاء من بيت مال المسلمين حتى لا يكون فيها محتاج يقف على الطرقات يسأل الناس وما فعل ذلك عمر إلا لأنـه سـار علـى تخطيط وهدي رسول الله ﷺ، وكذلك كان عمر يتفقد الرعية يوماً فوجد رجل كهل كبير في السن يمد يده للسؤال فسأل من حولـه لماذا يمد هذا يده للناس يطلب المعونة وهذا أمر غير موجود في دولة مُحمد فقالوا له إنه يهودي يا أميـر المـؤمنين فاسـتدعى صاحب بيت المال في الحال وقال له أنظر هذا وأمثاله فاجعـل لهم عطاءً من بيت مال المسلمين لأنه كان من رعايا تلك الدولـة ومسئول منها حتى تكون دولة الإسلام لا يوجد فيها مـن يـسأل الناس ويطلب منهم الإحسان، هذا هو دين الإسلام وتلـك دولتـه وكانت هذه هى سياسة الدولة الإسلامية كما أسسها وعلمها لنـا مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وفي المقابل ماذا كان الأمر من الرعية ففي عهـد عمـر أيضاً كان واحداً من الصحابة هو حكيم بن حـزام ﷺ يعـرض عليه أمير المؤمنين أن يكون له عطاءً من بيـت المـال فيـأبى الرجل ويرفض ذلك العطاء لماذا لأن حكيم بن حزام يقول سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثـم

قال لي يا حكيم إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بطيب نفس بارك الله له فيه ومن أخذه بإشراق نفس لم يبارك الله له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع وهنا استجاب هذا الصحابي لرسول الله وقال والله لا أسأل بعدك أحد يا رسول الله أبداً، لذلك كان يرفض أن يأخذ من عمر أمير المؤمنين العطاء رغم حاجته إلى المال لأنه أقسم ووعد رسول الله ألا يأخذ عطية من أحد بعده . فكان ذلك هو الدرس الذي يعلمنا إياه رسول الله ﷺ فإنه لم يرد السائل مهما سأله ولكنه بين له أن الأخذ يكون على قدر الحاجة وليس فيما يفوقها حتى يبارك الله فيه ولا يأخذ هذا المال الذي فيه شيء من الحلاوة والنعيم بشراهه نفس وبطمع فيه وليس لحاجته إليه وقد يكون هناك من هو أحوج منك لهذا العطاء فتكون قد منعته عنه ولأن رسول الله الكريم السخي كان لا يرد سائلاً فقد سمع رجل من أغنياء العرب من أهل الثروة سمع أن رسول الله وصلت إليه أعطية أو ملابس فقال لولده أدخل على رسول الله ﷺ واطلب منه شيئاً من هذا الذي يوزعه فقال له يا والدي أأدخل على رسول الله قال أدخل عليه إنه ليس من الجبارين .

إن دولة مُحمد ﷺ الدولة الإسلامية كل إنسان فيها له زاده وكسوته وما يعينه على قضاء حوائجه وعلى تربية أولاده وعلى سداد دينه وكان ذلك من أوامر وتعاليم رسول الله ﷺ وسلم وفي حديث لعلي بن أبي طالب ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ إن الله فرض على أغنياء أمة مُحمد في أموالهم ما يسع فقراءهم – أي

ما يكفي حاجة الفقراء منهم – ولن يجوع الفقراء ولن يعـــروا إلا بما يصنع أغنياءهم ألا إن الله محاسبهم حساباً شـــديداً ومعـــذبهم عذاباً أليماً . إذا كانت الدولة لا تستطيع أن تفي بحاجـــة النـــاس جميعهم فإن على أغنياء الأمة أن يقوموا به فإذا بخـــل الأغنيـــاء تجد الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة بـــسبب بخـــل الـــذين يكنزون أموالهم من الذهب والفضة ولا ينفقونها فـــي ســـبيل الله وهؤلاء كأنما يأكلون في بطونهم ناراً لأنهم يأكلون حقوق العبـــاد في أموالهم التي جعل الله فيها حق لهؤلاء الفقراء والله عز وجل يقول ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [[آل عمران: ١٨٠]] الله عز وجل هو صاحب كل تلـــك الخزائن والأموال وهو الذي بإرادته يعطي الغني ويمنع الفقيـــر ليمتحن الغني بما أعطاه ويمتحن الفقير بما منعه ليرى ما يـــصنع الغني بما أعطاه من مال ويرى كيف يصبر الفقير وكيف يكـــون على الإيمان والتقوى ويعلم أن عاقبته في الآخـــرة ليكـــون مـــن أصحاب الجنة إن أراد الله به خيراً .

إن رسول الله ﷺ كان أجود الناس كما قال عبـــد الله بـــن عباس ﷺ فقال كان رسول الله أجود الناس وكان أجود ما يكـــون في رمضان حين يلقاه جبريل يدارسه القرآن كـــان رســـول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

إن كل تلك الدروس عن رسول الله ﷺ ما كانت لتوضـــع في كتب الفقه إلا لكي يتعلمها الناس ويعملوا بها لأننا لو طبقناها جميعاً كان المجتمع كله الذي نعيش فيه فـــي منتهـــى الـــسعادة لا مكان فيه للحقد أو الحسد أو الكراهية لأنه مجتمع لـــيس فيـــه فقير أو محروم أو مسكين أو محتاج .

الحاكم المسلم والمعارضة

عندما بعث الله عز وجل مُحمد ﷺ بالرسالة السماوية لكي يتم دين الإسلام في الأرض في هذا الوقت كانت الممالك في شرق الأرض وغربها إنما كانت ممالك تقوم على الاستبداد والظلم والجبروت والقهر وبالمعنى المتعارف عليه في أيامنا ممالك ديكتاتورية يحكمها فراعنة يستبدون بالرأي وكأنهم يقولون مثلما قال فرعون من قبل ما علمت لكم من إله غيري وما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ثم يوردهم المهالك، ثم كانت دولة الإسلام دولة مُحمد ﷺ الذي هو حاكمها إنما جاءت بالكمال كله في وسط كل تلك الظلمات فقد كان القائد الذي ينزل عليه الوحي فإنه قبل أن يكون حاكماً كان نبياً ورسولاً من رب العالمين ولكنه ما قال للناس إن رأيي مستمد من الوحي ولا معارضة لي بل إنه كان يشاورهم في أمور كثيرة .

دخل رسول الله ﷺ المدينة وهو نبي ورسول ثم كان حاكماً لدولة الإسلام فيها وكان يوم أن دخلها يوافق اليوم الذي أعد أهلها التاج وجهزوا العرش لكي يعتليه حاكماً من أهل المدينة وهو عبد الله بن أبي بن سلول ليكون ملكاً عليهم ولكن لم يتم هذا الأمر لذلك عندما كان مُحمد ﷺ حاكماً لدولة الإسلام كان عبد الله بن أبي بن سلول هو زعيم المعارضين والقرآن ينعته بأنه زعيم المنافقين يقول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ

أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾
فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن
يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ
فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [[المائدة : ٥١-٥٣]] تحكي تلك الآيات بعد نصر رسول الله وهو الحاكم وقائد الجيش على بني قينقاع وتم أسرهم جاءه عبد الله بن أبي بن سلول وأخذ بردائه يتوسل إليه حتى كاد أن يخنقه فيقول له ويحك أرسلني أتركني انظر كيف كانت المعاملة والشدة وكيف كان الرأي والمعارضة فقال لرسول الله لن أرسلك حتى تُحسن في مواليي حتى تُحسن في اليهود الأسرى فإنهم كانوا أولياء لي ويؤازرونني ويمنعون عني والله لقد منعوني الأحمر والأسود وإني إمرئ أخشى الدوائر أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع تحصدهم في غداة – قمة المعارضة وكذلك معها عنف – فتركهم رسول الله ﷺ له . بينما على الجانب الآخر نجد عبادة بن الصامت ﷺ وقد كان قبل الإسلام حليفاً لليهود ولكنه جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله إني أبرأ من اليهود إني أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، والذي يعنينا من ذلك أن واحداً من القوم زعيماً لمجموعة كانت تعارض وتنافق وكانت تعارض من إنما تعارض سيد الأولين والآخرين الذي يتنزل عليه الوحي من رب العالمين وهذا الرجل رسول الله أحسن إليه ولكن

هناك من الناس إن أحسنت إليه الدهر كله لن يميل إليك إنما هــو الجحود والنكران وإنما الكفر يملأ صدورهم ذلك الرجــل تمــر الأيام والسنين وفي غزوة بني المصطلق أيضاً رسول الله الحاكم المسلم وقائد الجيش عند عودته مــن بنــي المــصطلق حــدثت مشاجرة عادية بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار على سقي الماء من يسقي أولاً فتشابكت الأيدي ويعلــم بــذلك زعــيم المعارضة والمعارضون إنما يتحينون الفرص ويختارون الأوقات العصيبة لكي يظهروا ويعلوا صوتهم عندما علم بها عبد الله بــن أبي بن سلول وهو من الأنصار فقال للمهاجرين إن مثلنا ومثلهم كمثل القائل سمن كلبك يأكلك لئن رجعنا إلى المدينـــة ليخــرجن الأعز منها الأذل ثم ينظر إلى الناس ويقول انظروا إلى هــؤلاء الذين أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم لــئن كففــتم عــنهم ليتركون بلادكم ويتحولون إلى غيرها، انظر إلى تلــك الكلمــات قمة المعارضة والتقليب للناس والله عز وجل يقول فيها ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [[المنافقون: ٧ –٨]] وصلت تلك الكلمات إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وفــيهم عمر بن الخطاب ﷺ فكيف كان يريــد ان يتعامــل مــع تلــك المعارضة التي تؤلب الناس وتبتغي الفتنة بين أفراد الجيش إنمــا هى خيانة عظمى فقال يا رسول الله دعنــي أقطــع رأس هــذا

المنافق فبماذا يجيبه القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو رسول من رب العالمين قال يا عمر لا يتحـدث النـاس أن مُحمـداً يقتـل أصحابه ثم توجه إلى القوم بكل هدوء وحكمة وطمأنينة وقال أيها الناس دعوها فإنها منتنة .

ذلك هو مُحمد ﷺ الذي كان يعارضه كثير بخلاف عبد الله بن أبي بن سلول فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قـسم رسـول اللهﷺ قسمة فقال ذو الحويصرة يا مُحمد أعدل – رجل من عامة الناس يقول لرسول الله تلك الكلمة والتي معناها أنه ظالم فمـاذا قال له رسول الله – فقال رسول الله ويلك من يعدل إن لم أعـدل خبت وخسرت فيقول عمر إإذن لي يا رسول الله فأفصل رأسـه فقال له لا ياعمر إن له أصحاباً تحقرون صلاتهم إلى صـلاتكم وتحقرون صيامهم إلى صـيامكم يقـرأون القـرآن لا يجـاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية مـنهم رجل أسود له عضادة كثدي المرأة يخرج حين الفتنة على فرقـة من الناس، وقال أبو سعيد الخدري فوالله لقد وجدناه فـي القتلـى الذين قتلهم علي بن ابي طالب كما وصفه رسول الله ﷺ رجـل أسود له عضادة كثدي المرأة خرج حين الفتنة .

رسول الله ﷺ حرص على أن يربي الأمة من بعده علـى تقبل المعارضة وعدم البطش بها وكان ممن تعلموا منه الـدرس عن ظهر قلب عمر بن الخطاب وهو الذي كان موقفه عنيفاً مـن

المعارضين لرسول الله إلا أنه عندما ملك زمام الأمور وأصبح حاكماً لتلك الدولة وقف وسط الناس خطيباً وبعد ان نصحهم وأخذ منهم وأعطاهم قال أيها الناس إذا رأيتم بي اعوجاجاً فقوموني – أي إذا رأيتم أن عمر خرج عن الطريق الذي رسمه رسول الله ﷺ عن الطريق المستقيم فقوموني – فوقف له رجل من عامة الناس ما جاء ذكر اسمه في كتب السيرة وقال له والله يا عمر لو أعوججت لقومناك بسيوفنا فماذا قال عمر هل قال اعتقلوه وألقوه في السجون بل قال الحمد لله الذي جعل في أمة مُحمد من يقوم إعوجاج عمر بسيفه، ولم تكن تلك الأولى والأخيرة في عهد عمر إنما جاء عن النعمان بن بشر ﷺ يقول بينما عمر في مجلس يضم المهاجرين والأنصار قال لهم أرأيتم لو أنني ترخصت في بعض الأمور ما كنتم فاعلين بي فوقف له البشير بن سعد ﷺ وقال يا أمير المؤمنين لو ترخصت في بعض الأمور لعدلناك تعديل القدح – أي كما نعدل السهم المعوج عند الحداد يطرقه على السندان وقد يحتاج إلى إحماءه بالنار – فقال عمر إذن أنتم أمة مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ومرة أخرى يكررها عمر ﷺ فيقول لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه وهو الذي كان من أعظم رؤس الفكر في دولة مُحمد ﷺ يريد أن يستوثق من نفسه يخشى أن يكون تنكب الطريق فيقول له يا محمد ما تقول

فيّ فيقول له يا أمير المؤمنين ما أراك إلا كما تحب وما يحب لك من يحب الخير رأيتك قوياً في جمع المال عفيفاً عنه عادلاً في قسمه ولو انحرفت يا عمر لعدلناك كما يعدل السهم في الثقاب فقال عمر الحمد لله الذي جعلني في أمة إذا انحرفت عدلوني كما يعدل السهم في الثقاب، ومرة أخرى وفي يوم جمعة ومن آخر الصفوف المتراصة أمام خطبة لعمر أمير المؤمنين تقف امرأة وتقول يا عمر ليس لك في ذلك الأمر شيئاً تعني الأمر الذي يقضي فيه أمير المؤمنين فقال عمر كل الناس أفقه منك يا عمر أصابت امرأة وأخطأ عمر .

إن دولة مُحمد ﷺ إنما جاءت بالكمال كله ولا تغرنكم تلك الصيحات التي تأتي من خارج الأمة تدعي أنها من علمتنا ولا زالت تعلمنا بل نحن الذين علمناهم ولكن للأسف الشديد رغم أن هذا هو ديننا إلا أننا قد غفلنا عن كثير منه، معاوية بن أبي سفيان ﷺ كان حاكماً لدولة الإسلام يقف على المنبر يوم الجمعة ثم بعد أن يختم الجمعة يقول أيها الناس المال مالنا والفيئ فيئنا من شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه فلم يرد عليه أحد وفي الجمعة التي بعدها يكرر نفس الكلام فلم يرد عليه أحد وفي الجمعة الثالثة يكررها فيقف له رجل من عامة الناس يقول له لا يا معاوية المال مال الله والفيئ فيئ الله فمن منعنا فضل الله خاصمناه

بسيوفنا فيأمر معاوية رجال الشرطة ليأتوا بهذا الرجل ويدخله مقصورته والناس كل الناس تقول هلك الرجل هلك الرجلُ فقد عارض من عارض حاكم أكبر دولة في هذا الزمان ومملكته كانت لا تغرب عنها الشمس لذلك أشفق الناس عليه فاجتمعوا حول المقصورة وهي حجرة داخل المسجد فهالهم ما رأوا فقد رأوا معاوية يُجلس ذلك الرجل إلى جواره يا سبحان الله ثم يسمعون معاوية يقول له أحييتني أحياك الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول سيكون عليكم أمراء يقولون ولا يرد عليهم يتقاحمون في النار تقاحم القردة فعندما لم يرد عليّ أحد ظننت أني من أهل النار .

وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ يرد عليه رجل ويغلظ له في القول وهو أمير المؤمنين فيقول له عمر بن عبد العزيز لقد أردت أن تستفزني بالشيطان لأنال منك اليوم ما تناله مني غدا .

هكذا كان تعامل الحاكم مع رعيته ومع معارضيه في دولة مُحمد ﷺ ولكن لهذه الأمور حدود فإذا كانت حريتك أن تقول ما شئت وتفعل ما شئت وذلك بنص الآيات في كتاب الله عندما كان المعارض حتى من أهل الشرك وليس مسلماً فإن الله عز وجل يقول ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم

بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [[يونس : ٤١]] وكذلك يقـــول الله عز وجل في آية أخرى ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [[سبأ : ٢٤]]

أما الذين يحاولون أن يصدروا لنا أفكاراً وهم منها بـــراء من يدعون أنهم قمة الديمقراطية وإنما هـــم قمـــة الديكتاتوريـــة لا معارضة فيها يقول في أحد الأيام من ليس معنا فهـــو ضـــدنا ورب العالمين عز وجل لم يقلها للمشرك، فكما أن الحريـــة لهـــا حدود كذلك المعارضة لها حدود فكما أنك حـــر أن تمـــشي فـــي طريق ما ولكنك لست حر أن تمنع الآخرين من السير في طريق غيره وأنت حر في أن تسمع التلفاز أو المذياع ولكـــن لا تجبـــر الآخرين على سماعه عن طريق رفعك لصوته .

لذلك إذا كانت المعارضة تؤدي وتدفع بالوطن إلى فـــساد أكبر وإلى تكالب الأعداء عليه فإنه هنا قد خـــرج عـــن إطـــاره الصحيح لأن الله عز وجـــل يقـــول ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [[الحجرات٩-١٠]]

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال قال رســـول الله ﷺ مثـــل القائم على حدود الله والجافي عنها كمثل قوم استهموا على سفينة

فكان منهم أعلاها وكان منهم أسفلها فقال الذين في أسفلها لو اننا خرقنا خرقاً حتى نشرب الماء ولا نؤذي إخواننا فإن هم تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجـوا جميعـاً . الذين في أسفل السفينة نيتهم حسنة ولكنهم لو ثقبوا هـذا الثقـب لغرقت السفينة بهم جميعاً .

وعمر بن الخطاب ﷺ يقول من صفات الحاكم لا يـصلح لهذا الأمر إلا الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف الجواد في غير سرف الممسك في غير بخل الذي لايصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع .

فإذا كان الغرب يريد أن يعلمنا كيف نعارض وكيف نكون مع الديمقراطية فليأت هو ليتعلم من مُحمد عليه الصلاة والـسلام المدرسة في الحكم والمعارضة .

الإسلام المواطنة وقبول الآخر

إن دين الإسلام فيه الكثير من الشرائع التي تـنظم حيـاة الناس في الوطن وتعطيهم كل الحقوق والتي لا توجد ولم تنـزل في أي دين آخر فقد قبلت الآخر في كنفها بكل مـودة ورحمـة وشفقة ولم تظلمه شيئاً من حقه ولم تعتدي عليه فإن دين الإسلام يراعي حقوق جميع الناس الموجودين داخل هذا الوطن وذلك منذ بداية تكوين الدولة الإسلامية وحتى عنـدما كانـت فـي قمتهـا وتمكنها في الأرض والله عز وجل يقول ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [[الحج: ٤١]].وفي دولـة الإسـلام الأمـر بـالرفق بالضعيف في أوقات المعارك والحرب والنزال فمـا بالـك فـي أوقات السلم تكون المودة أعظم، والصديق ﷺ عندما خرج يودع جيش اسامة بن زيد وكان أول جيش يخرج مـن المدينـة بعـد رسول الله ﷺ الذي علمه تلك المبـادئ فـي الحـرب فأوصـاه الصديق وقال لا تقتلوا صبياً ولا امرأة ولا شيخاً فانياً ولا تحرقوا شجراً مثمراً ولا تذبحوا بقرة ولا شاة إلا لمأكله وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم لـه – أي ستجدون أقواماً دخلوا الكنائس أو المعابد ما تعرضوا للجيش وما شاركوا في قتال وما حملوا سلاحاً فكانت وصية خليفة رسول الله

لهم أن دعوهم وما تفرغوا له من العبادة يهوداً كانوا أو نصارى أو مجوساً .

وخالد بن الوليد ﷺ وهو في جيش من جيـوش الـصديق وكان يفتح الحيرة وهى بها نصارى أعطاه الصديق كتاب يسلمه إلى أهلها فعندما فتح الحيرة أعطاهم ذلك الكتاب وفيه أنهم أحرار في أنفسهم وأموالهم وعبادتهم واقامة شـرائعهم فـي كنائـسهم وتجديد ما تهدم منها ويبنوا جديـداً ولهـم دق نواقيـسهم إيـذاناً لصلاتهم ولهم أن يخرجوا بصلبانهم . وذلك في الفتوح الأولـى، وياتي عمر ﷺ وهو القوي الذي إذا سلك فجاً سلك الشيطان غيره كيف كان يتعامل مع الآخر وكيف كان المواطن يأخذ حقـه فـي حكومة عمر الإسلامية وليست المدنية كما يدعون هذه الأيام فإنها ضامنة لحقوق الأقليات وتراعي مصالحهم فوالله لا تجـد اليـوم حاكماً في قوة عمر ﷺ في مراعاة حقوق المواطنة وتقبل الآخـر فإن عمر هو الذي وجد واحداً من رعيته شيخاً كبيراً يسأل الناس في الطريق أي يتسول وما كان ذلك الأمر ليحـدث فـي دولـة يحكمها عمر لأن دولة الإسلام تقوم علـى التكافـل الإجتمـاعي والفقير فيها له حقوقه المؤداة إليه بدون ان يطلبها فكيـف بهـذا يتسول وعندما سأل من حوله قالوا يا أمير المؤمنين إنه يهـودي فأمر على الفور بإحضار وزير المالية ويـصدر إليـه الأوامـر وكأنها قانون بأن قال له انظر هذا وأمثاله أي كل من هـم مثلـه على ملة أخرى فاجعل لهم عطاءً من بيت مال المسلمين، وكذلك

عمر عندما ذهب فاتحاً إلى الشام ليستلم مفـاتيح المـدن وجـد مرضى من النصارى قد أصابهم الجزام فجعل لهم رواتب وقسم عليهم الطعام، وكذلك وهو يتفقد أحوال الرعية في الـشام كمـا يروي لنا حكيم بن حزام ﷺ قال رأى عمر رضي الله عنه وهـو يمر بالشام جماعة من الأقباط وقد أوقفوا في الشمس – هم فقـط أوقفوهم في الشمس لم يُضربوا أو يُحبسوا – فسأل عنهم فقالوا يا أمير المؤمنين أوقفوا في الجزية أي لأنهم لم يدفعوا الجزية قـال وما يقولون قالوا هم يعتذرون أنهم لا يجدوا ما يدفعوه – فما قال لهم أجبروهم على الدفع وإلا دخلوا الإسلام أو افعلوا بهـم كـذا وكذا بل صدرت الأوامر – فقال لهم حلوهم فإني سمعت رسـول الله ﷺ وسلم يقول إن الله عز وجل يعذب يـوم القيامـة الـذين يعذبون الناس في الدنيا، تلك المواطنة وقبول الآخر، وكذلك جاءه يهودي يشتكي إليه من يشتكي إليه علي بن أبي طالـب ﷺ زوج فاطمة سيدة نساء الجنة يأتي يهودي ويشتكيه إلى عمر فماذا يقول عمر لعلي يقول له أجلس يا أبا حفص بجوار خصمك وعلي كان من الوزراء في الدولة ومن أهل الشورى ومن علية القوم إيمانـاً وإسلاماً ولكنها قضية ومواطنة وحقوق عباد ما قيـل لـه أنـت يهودي لا يحق لك أن تطلب حقاً ولا أن تنال عدلاً، قـال عمـر أجلس يا أبا حفص بجوار خصمك فتغير وجه علي بن أبي طالب ولما انتهت الجلسة وانصرف من فيها عمر ﷺ يسأل علي ويقول يا علي وجدتك تغيرت عندما طلبت منك أن تجلس إلـى جـوار

خصمك فقال علي والله يا أمير المؤمنين ما تغيرت من أجل ذلك إنما تغيرت لأنك لم تسوي بيني وبينه فقد نـــاديتني بكنيتـــي أبـــا حفص وناديته باسمه فخشيت أن يظن اليهودي أن العدل ضـــاع عند المسلمين

هذه هى حقوق المواطنين في دولة مُحمد ﷺ وتلـك هـــى المواطنة التي يتحدثون عنها ليل نهار .

إن دعوات الغرب إلى حقوق الأقليات والمواطنة وغيرها من المفردات التي يراد بها إثارة الفتنة وتأجيج الصراعات بـــين أهل الدولة الواحدة إنما الغرض منه تفتيت تلك الدول الإســـلامية كما حدث في السودان من تقسيم إلى دولتين ولكن يظهر النفـــاق واضحاً لو طبقنا نفس دعواهم على دولة فلسطين فنجد الـــرفض كل الرفض لتقسيم الدولة التي هى أساساً حقاً أصيلاً لأصـــحابها نجد الرفض من الغرب لأقامة تلك الدولة الفلسطينية رغـــم مـــا يعانيه أهلها من كل أنواع التعصب والعنصرية وإهدار الحقـــوق فأين المواطنة التي يتحدثون عنها لا وجود لها فـــلا نجـــد مـــثلاً أعظم تجسيداً من ذلك ليظهر الفارق بين حق المواطنـــة وقبـــول الآخر في دين الإسلام والذي ليس له وجود في أي ملة أخرى .

وعمرو بن العاص ﷺ ينطلق إلى مصر فاتحاً والتي كان فيها قبط ونصارى فإن النصرانية كانت واردة إلى مصر وليست نابعة منها كما أن الإسلام كان وارداً إلى مصر وليس نابعاً منها ولكن فتح عمرو بن العاص كان فتح تحريـــر لمـــصر ولأقبـــاط

مصر النصارى الذي ذاقوا العذاب المهين على أيدي الأباطرة والملوك من الدولة الرومانية فإن دقلديانوس الروماني سنة مائتان وأربعة وثمانين كانت أكبرالمحن على النصرانية وكان اكثرهم قتلى على يد الرومان حتى أنهم أطلقوا على عصر دقلديانوس عصر الشهداء وأرخوا التاريخ القبطي بنهاية حكمه، وكذلك ماذا صنع جستنيان الروماني فيهم فقد قتل منهم مائة ألف في الأسكندرية وحدها وكان يقذف بهم في حلبات الوحوش الضارية طعاماً لهم، وفي سنة خمسمائة وخمسة وستين ميلادية كان هرقل الذي دخل عمرو بن العاص ﷺ إلى مصر في عهده وجد الأب بنيامين محبوساً ثلاثة عشر سنة معلق وقد وضع تحته الشموع حتى تذيب جسده مع الوقت ببطأ فيطلق سراحه عمرو بن العاص برحمة من دين الإسلام ومراعاة لحق الآخر في المواطنة ثم أمر أن يُستقبل استقبالاً لا مثيل له في الأسكندرية تكريماً له وكذلك وجدوا في إحدى القرى مجموعة من القساوسة وقد حبسوا أنفسهم في أحد معابد الفراعنة في الصحراء لسنوات طويلة والدخان الأسود في أسقف تلك المعابد واضحاً إلى اليوم هرباً من بطش الرومان بالقساوسة النصارى في مصر. فكانت دولة الإسلام هى دولة الخلاص من الظلم الذي كان جاثماً ومستقراً في مصر .

وعمر بن الخطاب ﷺ كتب كتاباً لأهل إلياء وهى فلسطين وجاء فيه هذا ما أعطاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهل إلياء أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم

سقيمها وبريئها لا تُسكن كنائسهم ولا يهدم منها شيء ولا يُؤخذ من حيزها ولا يُكرهون على ترك دينهم ولا يُضار واحداً منهم ذلك العهد وتلك القوانين تحمي كل حقوق المواطنة وتقبل الآخر وأعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر بتمامه وهى نفسها التي أعطاها محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية فكأنك تقول أن تلك هى القواعد المعمول بها في أمة مُحمد ﷺ في كل زمان ومكان .

وفي عهد أمير المؤمنين عمر نجد تلك الرواية التي يعرفها كل الناس عندما ضرب بن الحاكم واحداً من الرعية من عامة الشعب وكان نصرانياً وكيف استرد حقه ونال مظلمته عند أمير المؤمنين من بن الحاكم عمرو بن العاص .

وفي نفس العهد يبني عمرو بن العاص مدينة الفسطاط والتي لم تكن موجودة من قبل فقد بناها في الصحراء خارج القاهرة ولكنها امتزجت اليوم ويبني عمرو بن العاص مسجده بجوار بيت لسيدة قبطية وهى لاتريد أن تُدخل بيتها في المسجد فيهدم عمرو بن العاص بيتها ويدخله في المسجد والذي هو موجود إلى الآن وهذا الفعل يحدث مثله في كل مكان وزمان ومن أي بشر وفي أي بلد تحت بند المنفعة العامة ولكن في دولة الإسلام لابد أن يكون الأمر مختلف حتى يستقيم العدل في أركان الدولة تلك المرأة وصلت إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تشكو إليه ما فعل والي مصر فبماذا يكون حكم رئيس الدولة الإسلامية بعد أن تم بناء المسجد وهدم البيت فقد أصدر أوامره

بأن يتم هدم الجزء الذي كان داراً للمرأة من المسجد وتعويضها عما تلف منه ويعيد بناء البيت لها كما كان فكان ذلك هو عدل الإسلام .

وكما أن عمرو بن العاص بنى مدينة الفسطاط وفيها المسجد الكبير وكانت في الصحراء لم يغتصب مدينة موجودة بالفعل بل أنشأها جديدة وقام أيضاً في نفس المدينة ببناء كنيسة أبو سرحة التي لا تزال قائمة إلى اليوم وفي نفس مكانها الذي بناها فيه عمرو بن العاص ﷺ لأن الله عز وجل يقول ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [[الممتحنة: ٨-٩]] تلك الآيات وضعت القواعد والأسس البينة والواضحة للتعامل مع الآخر بدون أي لبس أو تأويل حتى يأمن كل من هو على غير دين الإسلام على نفسه وماله وعرضه وعلى كل حقوقه في شريعة الإسلام وذلك ليس عن طريق سن قانون أو دستور وإنما بنص آيات الله عز وجل التي هى أقوى وألزم من كل قوانين البشر ودساتيرهم، وحتى الجدال والنقاش في أمور الدين قد حدد لها الله عز وجل في دين الإسلام قواعد لا تخرج عنها حتى تستقيم العلاقة بينهم في المجتمع الواحد ولا يكون هناك رفض أو إقصاء أو تعصب أو غصب وإجبار في الدين بأي شكل من

الأشكال لأن الله عز وجل يقول ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [[العنكبوت: ٤٦]] فإن الله عز وجل أراد أن يعيش أهل المجتمع الواحد والوطن الواحد في تكامل وامتزاج ومشاركة حتى تستقيم الأمور في هذا الوطن ويكون كتلة واحدة لتذدهر الدولة وترتقي بكل أفرادها وفئاتها وقد كان علي بن أبي طالب ﷺ يعمل أجيراً عند يهودي واليهودي قاس القلب كان يعطيه عن ملء القربة بالماء تمرة واحدة ولم يقتصر الأمر على العمل فيما بينهم وإنما إلى كافة نواحي المعاملات الإقتصادية التي تقوم عليها حياة البشر مثل البيع والشراء والتوكيل والهبة والعارية والقرض وحتى الصدقة تهب له ويهب لك وتستعير منه وتعيره فإن رسول الله ﷺ في أحد الغزوات استعار الدروع الحربية من مشرك هو صفوان بن أمية، كما أنه اقترض طعاماً لأهله من تاجر يهودي ورهن عنده درعه حتى توفاه الله ودرعه مرهونة عند هذا التاجر، وأبو الدرداء ﷺ جاءه قوم يسألونه عن كبش ذُبح لكنيسة يقال لها جرجس وأُهدى إليهم منه أنأكل منه أم لا فقال يا عجبا إنهم أهل كتاب نأكل طعامهم ويأكلون طعامنا حتى لو ذبحوا باسم المسيح أو عزير فإن رسول الله ﷺ قال سموا أنتم الله وكلوا، وعبد الله بن عمر رضي الله عنه كان إذا ذبح شاة يقول إبدأوا بجارنا اليهودي .

أما إذا سمعنا أصواتاً تخرج علينا اليوم لا تراعي الله عز وجل فيما تقول وتريد أن تنحي دين الإسلام جانباً فنقول لهـم إن الخير كل الخير والمواطنة كل المواطنة وقبـول الآخـر بكـل ترحيب وبكل حقوقه عدلاً لا شائبة فيه إنما يكفله دين الإسلام إذا أقاموه أما إذا حاولتم أن تنحوه فإنها لا مواطنة ولا قبول للآخـر ولا شيء من ذلك إنما هو الهلاك كله لأن القوانين التي يـضعها البشر لا تحكم الضمائر والقلوب بل تحكم الظواهر فقط وتبقـى النار تحت الرماد .

رسول الله والمواطنة وقبول الآخر

من الأصوات التي تخرج علينا هذه الأيام ما يطلقون على الواحد منهم تنويري وهو شيوعي سابق أو مفكراً أو علماني أو مثقف وكلها مسميات يحاولون بها أن يتخفوا من كلمة الشيوعي والذي يدل عليهم إنما هو ما ينادون به مثل حقوق المواطنة وقبول الآخر ولكي نحصل على تلك الحقوق يجب أن تكون الدولة مدنية لا مكان للدين فيها إلا في المساجد .

إن رسول الله ﷺ عندما هاجر إلى المدينة هاجر إليها لكي يؤسس الدولة الإسلامية وبحكم أنه كان مرسلاً من رب العالمين ليبلغ رسالته للبشرية جميعاً كان هو القائد والحاكم ورئيس تلك الجمهورية فكيف كان حال المواطن في دولته كان في قمة السعادة يأخذ حقه غير مهضوم ولا منقوص ولم تقتصر تلك الدولة أو تشترط على أن من يستوطنها أن يدين بدين الإسلام حتماً بل إن المجتمع الذي تأسست فيه الدولة الإسلامية وانتشر الإسلام منها إلى سائر الأرض كان مجتمع يضم كل الأديان السماوية وحتى كل الملل والعقائد الأخرى وصاحب أي عقيدة غير الإسلام هو من يطلقون عليه الآن كلمة الآخر فكيف كان الحال في هذا المجتمع في ظل تلك الدولة الإسلامية فإذا قلنا كانت مواطنة بكل ما تحمله من معاني فالذي أرسى قواعدها إنما هو مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام وإذا قلنا قبول الآخر فلن

تجد ملة او عقيدة أو شريعة من الشرائع قبلت الآخر كما قبله دين الإسلام وبما ألزم به أهله من شرائع وسنن وأوامر ونواهي من رب العالمين تجعل من تلك المواطنة وهذا القبول للآخر ديناً يؤمن الناس به فكيف كان ذلك، إن رسول الله ﷺ أول ما تكلم في أهل المدينة قال أيها الناس وفي لغة الخطاب عندما يكون توجيه الكلام أيها الناس يكون الخطاب للناس كافة وليس لأهل الإسلام فقط فقال أيها الناس أفشوا السلام وألينوا الكلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام فكانت تلك الكلمات البسيطة التي لا يختلف عليها أي إنسان بأنها تجلب الخير والمودة والرحمة وتشيع الأمن والطمأنينة بين الناس في أي مجتمع كان وهى الأركان التى بنى عليها رسول الله ﷺ دولته في مدينة يختلط فيها المؤمن والمشرك والمنافق إلى جانب أهل الكتاب فكانت القاعدة الثانية أن كل الناس فيها لهم ما لنا وعليهم ما علينا إلا من ظلم .

رسول الله ﷺ الذي سن لنا سنن الهدى إذا كان ذلك تعامله مع أهل الشرك وهم أشد نكاية من غيرهم وإذا كان هذا تعامله مع أهل النفاق وما أخطرهم وإذا كان هذا تعامله مع اليهود وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [[المائدة: ٨٢]] رسول الله ﷺ وسلم الذي بُعث بالرحمة كلها شأن جميع الأنبياء جعلهم الله رحمة للبشر وكان هو الرحمة بذاتها ففي يوم بدر كيف تعامل مع المشرك المحارب بعد أن انتصر كان هناك أسرى وكان من ضمنهم سهيل بن عمرو

خطيب أهل الشرك أو بمثابة الجهاز الإعلامي لهم المسؤل عن الفضائيات فكان يسب مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ويطعن في دين الإسلام وتلك كانت صنعته جاء به عمر بن الخطاب ﷺ أسيراً إلى رسول الله وقال له يا رسول الله مرني أن أنزع ثنيتيه فلا يقوم فيك خطيباً – كانت مهنته الخطابة والكلام فإن كسرت أسنانه أصبح أهتم فلا يستطيع أن يسب رسول الله ويطعن في دين الإسلام فماذا كانت اجابة رسول الله وكيف تعامل مع اسير الحرب المشرك – قال يا عمر أخشى أن أمثل به فيمثل الله بي ولو كنت نبياً .

وسمرة بن جندب ﷺ يقول ما وقفنا موقفاً قط إلا ورسول الله يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المُثلى .

وفي بدر أيضاً والأسرى أمامه يذكر رسول الله معروف وجميل صنعه معه رجل مشرك وهو في مكة هو المطعم بن عدي الذي مات مشركاً وما أسلم فماذا يقول في حقه يقول لو كان المطعم بن عدي حياً لتركت له هؤلاء وهو يشير إلى الأسرى، وكذلك يوم أُحد وقد أصيب وشج وجهه وكُسرت رباعيته وسال الدم منه قالوا له يا رسول الله أدعو على المشركين ولو دعا عليهم فإنه القصاص لأنهم حاربوه وأصابوه وأهانوه ولكنه قال أنه ما بُعث لعاناً إنما بُعث رحمة للعالمين اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون، اللهم صل وسلم وبارك عليك يا رسول الله

وكذلك تجلت رحمته يوم فتح مكة ووقف أمامه أهلها من المشركين وهم أذلة ولكنهم عنده مواطنون في دولته فقال ما تظنون إني فاعل بكم قالوا أخ كريم وبن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء، ما أطلقهم لأنهم من أهل الإيمان والإسلام ولكنهم كانوا على شركهم .

ومن الأسس التي تقوم عليها دولة الإسلام كما علمها لنا وشدد عليها رسول الله ﷺ الأمانة فإن الناس جاءوا إليه وقالوا يا رسول الله إن اليهود يقولون ليس علينا في الأميين سبيل فقال كذبت يهود كل أمر من أمور الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع إلا الأمانة فإنها مؤداة لكل بر وفاجر، أي إلى كل مسلم وغير مسلم حتى ولو كان كافراً أي إلى كل مواطن في تلك الدولة بصرف النظر عن دينه أو حتى سلوكه وإن كان منافقاً أو يهودياً وهو يستحل مال كل من ليس يهودياً أو حتى إن كان فاجراً فإن الأمانة لهم مؤداة .

ويتوجه رسول الله إلى الكعبة فيفتح له بابها عثمان بن طلحة يصلي فيها ويأخذ مفتاحها وعندما خرج يقول له علي والعباس رضي الله عنهما يا رسول الله هاك المفتاح اجمع لنا السقاية واجمع لنا السدانة فيقول رسول الله أين عثمان بن طلحة وأين شيبة بن عثمان بن طلحة فيرد إليهم المفتاح وكانوا على شركهم وقال إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . كان هنا أداء الأمانة

والحكم بالعدل بين الناس ولم يقل بين المسلمين بل بين كل البشر بأمر من الله عز وجل فهو الذي قال عــز وجــل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [[النــساء: ٥٨]] ثم قال رســول الله ﷺ لعلــي والعباس رضي الله عنهما إنه يوم وفاء وبر ثــم يعطــي مفتــاح الكعبة لشيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو مشرك ثم بعــد ذلــك شيبة هذا وهو لا يزال على شركه يخرج مع رسول الله ﷺ يــوم حنين وكان يضمر في نفسه أن يغتال رسول الله ويقول اليوم آخذ بثأري من مُحمد وعلمها رسول الله بفراسته أنه ما جاء إلا ليقتله فوضع يده الشريفة على صدره ودعا له ويرويها شيبة ويقول قبل أن يضع رسول الله ﷺ يده على صدري ما كان أحد أشد كرهــاً عندي منه فما رفع يده إلا وهو أحب خلق الله إليّ، هكذا كان فعل رسول الله ﷺ مع المواطن المشرك رحمة به وهو الــذي يقــول اتركوهم وما يدينون، والله عز وجل يقــول ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [[الكافرون]]

ولنرى أيضاً كيف تعامل رســول الله ﷺ مــع الطــابور الخامس في الدولة مع الجاسوس الذي هو عين للعدو ولكــن مــا كان عليه دليل قاطع وهو رأس المنافقين عبد الله بن أبــي بــن سلول ومات على نفاقه وهو صاحب حديث الإفك الذي رمى بــه

أم المؤمنين عائشة ﷺ ذلك الرجل عندما مات شيع رسول الله ﷺ جنازته وعندما أرادوا أن يدخلوه في حفرته نزع قميصه وفرشه في الحفرة رجاءً أن يخفف الله عز وجل من عذابه وأراد أن يصلي عليه جذبه عمر ﷺ وقال اتصلي على هذا المنافق يا رسول الله فنزل قول الله عز وجل ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [[التوبة: ٨٤]] كما جاء أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا مرنا يا رسول الله نقتل المنافقين وهم الطابور الخامس الذين يفسدون في الأمة وهم عيون العدو فماذا كانت إجابة مشرع المواطنة والذي يقبل الآخر على شركه وكفره ونفاقه قال لا يتحدث الناس أن مُحمداً يقتل أصحابه، رغم أن جبريل عليه السلام أخبره بأسمائهم جميعاً وهو لم يشأ أن يعلنها لأصحابه حتى لا يوغر الصدور ضدهم فيؤذوهم ولكنه أسر بأسمائهم إلى أحد أصحابه وأمنه عليها وهو حزيفة بن اليمان ﷺ وكان أصحاب رسول الله ﷺ يأتونه يقولون له هل أنا من هذه الأسماء .

ذلك كان نهج رسول الله ﷺ في معاملة المواطن في دولته من أهل الشرك والنفاق فكيف يكون تعامله مع أهل الكتاب وكيف يكون تقبله لهم ففي يوم من الأيام دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ في بيته وأم المؤمنين عائشة داخل البيت فقالوا السام عليك يا أبا القاسم ومن يسمع تلك الكلمة قد يعتقد أنها السلام عليك أما هم فكانوا يقولون السام عليك ومعناها الموت

عليك وأم المؤمنين عائشة كانت عالمة متعلمة ولديها فطنة وذكاء فردت عليهم وقالت بل عليكم السام واللعنة – انظر إلى رسول الله ﷺ وقد سبوه وأضمروا له الكراهية وأعلنوها – قال يا عائشة إن الله عز وجل يكره الفاحش البذئ قالت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا قال وألم تسمعي ما قلت إنني قلت لهم وعليكم، قمة الأخلاق الحميدة وقمة من يعطي للمواطن حقه ويقبل الآخر، والله عز وجل يقول ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [[المجادلة ٨]] .

وعندما انتصر رسول الله ﷺ على اليهود في موقعة خيبر فأخطأ بعض جنود الجيش وضربوا نساء اليهود وسبوا بعضهم وأكلوا من ثمارهم فجاء زعيم اليهود كنانة بن الربيع وهو المهزوم يقول يا مُحمد هل يحل لكم أن تسبوا نساءنا وتضربوا صبياننا وتأكلوا ثمرنا فيأمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن يؤذن للصلاة حتى يجتمع كل أفراد الجيش من كل مكان فقال رسول الله ﷺ لا يجلسن أحدكم متكئاً على أريكته ويقول إن الله عز وجل لم يحرم إلا ما جاء في القرآن ألا إني أمرت ونهيت عن أشياء مثل ما في القرآن وأكثر إنه لا يحل لكم أن تسبوا نساء أهل الكتاب ولا تضربوا صبيانهم ولا تأكلوا ثمرهم ما أدوا ما عليهم .

وفي آخر أيام رسول الله في الدنيا يقترض طعاماً من تاجر يهودي هو ابو الشحم الذي كان لديه تجارة وأموال في المدينة يعمل ويكسب ويأمن على نفسه وماله وهو بين أهل الإسلام وفي ظل حكم الدولة الإسلامية ما أُممت تجارته وما أخذت منه أمواله بل كان قوة اقتصادية يبيع ويشتري الطعام من أهل الإسلام وليس هذا وفقط بل إن أبا الشحم هذا عندما أرسل إليه رسول الله ﷺ ليقترض منه وسق شعير لم يلبي طلبه بل قال إن مُحمداً يريد أن يجتاح مالي ولما علم بها رسول الله ﷺ قال كذب أبو الشحم إني لأمين في الأرض أمين في السماء ولو أقرضني لأديت ثم أرسل إليه بدرعه رهناً في وسق شعير ومات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في وسق شعير، والله عز وجل في محكم التنزيل في سورة المائدة أخر ما نزل من سور القرآن يقول ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [[المائدة: ٥]] أحل الله عز وجل لنا طعامهم وأحل لهم طعامنا كما أحل لنا أن نتزوج منهم وحرم علينا أن نزني بنساءهم، ورسول الله ﷺ كان يحضر ولائم طعام لأهل الكتاب وكان يجالسهم ويواسيهم في مصائبهم وكان يعود مرضاهم، ومرت أمامه جنازة ليهودي فقام من مجلسه فقال له أصحابه إنه يهودي فقال لهم أليست نفساً، كما جاءه وفد من

نصارى نجران في صلاة العصر في مسجده وعليهم ملابس القساوسة والرهبان ستون رجلاً منهم العاقب ومنهم السيد ومنهم أبو حارثة وهم في المسجد حان وقت صلاتهم فقاموا وصلوا صلواتهم في مسجد رسول الله ﷺ متجهين إلى قبلتهم جهة المشرق وبعد أن انتهوا وعظهم وأراد أن يستميلهم إلى عقيدته ودينه فرفضوا فما أجبرهم أو أكرههم عليها ورجعوا إلى ديارهم وهم نصارى ولكنهم قالوا أبعث معنا قاضياً يقضي بينهم لأن النصرانية لا قضاء فيها ولا شريعة لذلك الحكم فيها بالقوانين التي تُسن في البلاد التي يعيشون فيها فقال رسول الله ﷺ لأبعثن معكم أمين فبعث عليهم أبو عبيدة بن الجراح ﷺ أمين هذه الأمة يقضي بينهم .

يقول الله عز وجل ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [[آل عمران: ٦٤]]

إن دين الإسلام هو دين العدل كله جميع أهل الوطن الواحد فيه سواء لا يفرق بينهم في الحقوق والواجبات على أساس من العقيدة او الجنس أو اللون .

يقول رسول الله ﷺ من آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه . ويقول رسول الله ﷺ من

ظلم معاهداً أو انتقصه شيئاً من حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخـذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة .

يا من كنت شيوعياً في يوم من الأيام وتطالب أن تكـون الدولة مدنية فإن حقوق المواطنة لم يحصل عليها مـواطن كمـا حصل عليها وكفلها له دين الإسلام فإن دين الإسلام يقبل الآخـر بكل المطاعن فيه ولا يرفضه ولكن هل يقبل الآخر الإسلام وهل يتعامل معه كما يجب هذا هو السؤال وعليك الإجابة يا شـيوعي أو يا تنويري أو يا مفكر ومثقف أجب عليه يا من تحارب ديـن الإسلام وتريد أن تطفئ نوره ونور الإسلام لن ينطفئ لأنه مستمد من نور رب العالمين .

سباب المسلم فسوق

يقول رسول الله ﷺ في حديث له : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، ويقول في حديث آخر ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر خرق ستر الله عز وجل، أي لا يقول مسلم لأخيه كلمة فيها سباب أو شتم وإلا رفع الله عنهما ستره، والسباب من الأمور التي نهى عنها رسول الله ﷺ وحرم أن تكون بين المتخاصمين في هذه الأمة فقد جاء جابر بن سليم ﷺ إلى رسول الله ﷺ وكان أول مرة يراه فلم يكن يعرفه فقال جابر رأيت رجل لا يستر الناس عنه لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه أي ينصاع له الناس فقلت من هذا الذي يتكلم قالوا هذا مُحمد فقلت عليك السلام فقال لي رسول الله لا تقل عليك السلام فإنها تحية الميت ولكن قل السلام عليك فإنها تحية الحي فقلت السلام عليك يا رسول الله أأنت رسول الله قال نعم أنا رسول الله الذي إذا اصابك ضر دعوته فكشفه عنك وإذا أصابك عام جدب دعوته فأنبتها لك وإذا كنت بأرض فلاة وضلت راحلتك دعوته ردها عليك فآمن جابر بن سليم ودخل في الإسلام وقال يا رسول الله اعهد إليّ قال لا تسبن أحداً ويقول جابر فوالله ما سببت أحداً بعدها أبداً حراً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاةً، وذلك وفاءً منه للعهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ ثم قال لي رسول الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك ووجهك له

منبسط – أوصاه بأن يلقى أخاه بوجه بشوش فعند ذلـك يـذهب الغل والحقد والضغائن بين الناس ولا يكون هناك داع للـشتم أو السب ولا فحشاً في القول – ثم قال رسول الله وإن أحد شـتمك وعيرك بما لا يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإن وبال ذلك عليه – أي لا ترد السباب والشتم وإن عيرك بما ليس فيك فلا تعيـره بما تعلم أنه فيه من نقائص حتى لو كنت محقاً فيما تقول فيه وإن فعلت ذلك تحمل هو الوزر والعقوبة من الله عز وجل فإن رسول الله ﷺ يقول المستبان على البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم، أي تقع العقوبة على من يبدأ بالسب، ويقـول رسـول الله ﷺ لـيس المؤمن بلعان ولا طعان ولا فاحش ولا بذئ . فإذا ارتكب أحـد أي من تلك الأربعة فقد خرج من الإيمان بنص حديث رسول الله ﷺ ليس المؤمن من يلعن الناس ويطعن في الأنساب ويفتري على الناس الكذب ويرميهم بالبهتان ولا يخرج من فمه إلا كل فـاحش من القول لأن اللسان الذي تعود على ذكر الله عز وجل لابـد أن يكون طاهراً نقياً فإنه لا يجتمع الشيئ ونقيضه في آن واحـد أو في مكان واحد، وقد قال لنا رسول الله أن من يبدأ بالسب والشتم هو من يتحمل الوزر والمظلوم يرد على قدر ظلمه فإذا اعتـدى تحول الوزر عليه وقد بين لنا الله عز وجل أن منزلة الذي يـرد الشتم أقل من منزلة الحليم الصبور إذ يقول الله عز وجـل ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [[الأعراف: ٦٥-٦٨]] قالوا له أنت سفيه لأنه قال لهم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وقالوا له أنت من الكاذبين وهو ما كان كاذباً ولا سفيهاً بل أنكر عليهم تلك الصفات فيه وحدد صفته بأنه ناصح أمين .

في أحد الأيام رأى قوم من أهل الشرك في مكة رسول الله ﷺ فقالوا له متى تموت ونرتاح منك فنزل قول الله عز وجل ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [[الأنبياء: ٣٤-٣٦]] تطاولوا على رسول الله ﷺ بالشتم والطعن فيه فقابلها بالحلم كله ويقول لأصحابه انظروا كيف يصرف الله عني شتم قريش يقولون مزمما وأنا أحمد، كان يقابل الإساءة بالحلم حتى مع أهل النفاق فقد كان في أحد الأيام يقسم على الناس أعطيات وإذا برجل من المنافقين وليس من أهل الإيمان يقول له والله يا مُحمد إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله – كأنه يتهمه بعدم العدل بينهم – فقال له ويحك من يعدل إن لم أعدل أيأمنني الله على دينكم ولا تأمنوني على أموالكم والله لا يحل لي من مالكم ولا هذه الوبرة، وأراد خالد بن الوليد ﷺ أن

يفصل رأسه بالسيف فيقول له رسول الله ﷺ دعه لعله يـصلي . إنما هذه كانت من الكمالات .

وفي أحد الأيام رجل من التابعين هو الشعبي سبه رجـل من الناس فقال له إن كنت صادقاً غفر الله لي وإن كنـت كاذبـاً غفر الله لك، هذا يشتمه وهذا يدعو له بالمغفرة من الله، وأبـا ذر ﷺ شتمه واحداً من الناس سفيه فقال له يا أخي لا تغـرق فـي شتمنا ودع للصلح موضعاً فإنا لا نكافئ من عصا الله فينا – أي لا تفرط في الشتم وحاول أن تترك موضعاً للصلح فأنت عصيت الله فيّ وأنا سوف أطيع الله فيك ولا أرد شتمك لي، والصديق ﷺ قال له رجل يوماً لأسبنك سباباً يدخل معك قبرك فقال له يـدخل معك أنت قبرك لا معي لأنني لن أرد عليك سبابك، وعمرو بـن العاص ﷺ قال له رجل يوماً لأتفرغن لك قال إذن وقعـت فـي الشغل فقال والله لئن قلت لي كلمة لأقولن لك عشرة قال عمـرو بن العاص وأنت إن قلت لي عشرة فلن أقول لك واحدة، وعلـي بن أبي طالب ﷺ يقول حلمك على السفيه يُكثر أنصارك عليـه، والشافعي ﷺ يقول :

إذا نطـق الـسفيه فـلا تجبـه
فخـير مـن إجابتـه الـسكوت
يزيـد سـفاهة فأزيـد حلمـاً
كعـود زاده الإحـراق طيـب

أي إذا سبك أو شتمك رجل سفيه فلا تـرد عليـه حتـى لا تتحول لسفيه مثله وكلما زاد من شتمه ولم ترد عليـه شـبهك بعود البخور كلما احترق زادت رائحة الطيب المنبعثة منه .

وإن من صفات الحكيم الحليم أنه إذا أُعطي شـكر – إذا جاءته نعمة من الله شكره عليها وكذلك إذا أدى إليه أحد معروف شكره عليه – وإذا قدرغفر – هو عنده القدرة على أخـذ حقـه ممن سبه ولكنه يتحكم في نفسه ويغفر للمسيئ له – وإذا غضب فتر – أي إذا تملك منه الغضب من انسان كظم هذا الغيظ فتنزل عليه رحمة وسكينة وطمأنينة من الله عز وجل .

جاء ناس إلى رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله ألا تلعـن المشركين فقال لهم إنما بُعثت رحمة ولم أُبعث لعاناً، فكان رسول الله هو الرحمة المهداة عليه أفضل الصلاة والسلام، وذات يـوم كان معه رجل في سفر فاشتدت الريح حتى نازعته رداءه فلعـن الرجل الريح ما لعن انساناً أو صاحباً وإنما فقط لعن الريح فقـال له رسول الله ﷺ لا تلعنها فإنها مسخرة وإن من لعن شيئاً إن لـم يكن له أهل رجعت اللعنة عليه، أي من لعن شيئاً ليس أهلاً للعنة فإن اللعنة تعود على اللاعن .

ومرة اخرى كانوا في سفر ولعنت امـرأة البعيـر فقـال رسول الله ﷺ لا يصحبنا جمل ملعون، فإذا كان الأمر كذلك فـي الريح والحيوان فإن لعن الإنسان أعظم حرمة وأشـد، ورسـول الله ﷺ يقول من لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فغُلقت دونهـا

أبواب السماء فتهبط إلى الأرض فتغلق دونها فتأخذ يميناً وشمالاً فإن لم تجد مساغاً ترجع على الذي لعن إن كان لها أهلاً فإن لم يكن لها أهلاً رجعت على قائلها، إن الشتم والسب واللعن وكل بذاءة مردودة على فاعلها، وعبادة بن الصامت ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بما يشرف به البنيان وترتفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال أن تحلم على من جهل عليك وتعفو عن من ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك، وعقبة بن عامرﷺ قال قابلت رسول الله ﷺ فابتدأته قائلاً ما نجاة المؤمن يا رسول الله فقال لي أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ثم في مرة أخرى قابلته فابتدأني وقال يا عقبة اعلمك خير ثلاث سور أُنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس يا عقبة لا تنساهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن قال عقبة فما نسيتهن منذ قالها رسول الله ﷺ ثم قابلت بعدها رسول الله ﷺ فقلت له يا رسول الله أخبرني عن فواضل الأعمال قال أن تعفو عن من ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك .

ورسول الله ﷺ يقول قال الله عز وجل يا بن آدم إذا غضبت فاذكرني فإذا ذكرتني لا أهلكك فيمن هلك – إذا حدث لك ما يثير غضبك فالتمس العلاج وما هو العلاج ان تذكر الله عز وجل ورسول الله ﷺ يقول إن الغضب جمرة من نار في قلب المؤمن وإنما الشيطان خُلق من النار فإذا غضب أحدكم فليتوضأ

فإنما تطفئ النار بالماء، وعبد الله بن عباس ﷺ يقول ما من شيء أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ كظمها عبد لا يكظمها إلا لله إلا ملاء الله قلبه إيماناً - وذلك هو جزاءً ومكافأة عظيمة من الله للعبد الذي يكظم غضبه لا لشيء إلا لله عز وجل .

ويقول رسول الله ﷺ إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة ينادي مناد أين أولوا الفضل فيقوم ناس وهم قليل فينطلقون إلى الجنة سراعاً فتتلقاهم الملائكة يسألونهم من أنتم فيقولون نحن أولوا الفضل تقول الملائكة وما فضلكم يقولون كنا إذا أوذينا صبرنا وإذا أُسيئ إلينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، والشافعي ﷺ يقول :

إذا أردت أن تحيا سليماً من الردى ودينك موفور وعرضك صين

فلا ينطق منك اللسان بسوءة فكلك سوءات وللناس ألسن

إن دين الإسلام ينهى عن كل منكر من القول وسوء كما ينهى عن مبادلة المنكر بالمنكر حتى وإن كان من مشركاً كافراً بل بالحلم والعفو والمغفرة وجعل الله عز وجل لهذا أكبر الثواب وأعظمه لما يتحمله صاحب العفو من شدة لكظم غيظه، والله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
[[الأنعام: ١٠٨]]

لا إيمان لمن لا أمانة له

إن الأمانة قدرها عظيم في دين الإسلام ومن عظم قدرها ومكانتها وحقها فإنها وصلة الرحم على جانبي الصراط يوم القيامة لا يجتاز الصراط إلا من حفظهما، ذلك الصراط الذي يمر عليه كل الخلق يوم القيامة فمنهم من يجتازه إلى الجنة ومنهم من يسقط من عليه إلى الجحيم وعلى جانبي هذا الصراط صلة الرحم من ناحية والأمانة من الناحية الأخرى، وحزيفة بن اليمان ﷺ قال حدثني رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وسوف يكون الآخر قال رسول الله ﷺ إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال – إنما هى في ضمائرهم وفي قلوبهم ووجدانهم وعندما يكون الخطاب للرجال فهو ينسحب أيضاً وينطبق على النساء فإن الحديث موجهاً للرجال والنساء معاً – فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، وذلك العلم الذي تعلموه إنما هو امانة يجب أن يعمل الإنسان بما علم وإلا كان مفرطاً في الأمانة فكل ما علمناه من آيات القرآن وما سمعناه من أحاديث رسول الله ﷺ إنما هو أمانة وأداء تلك الأمانة أن نعمل بما جاء فيها من أوامر ونواهي إذن كل دين الإسلام هو أمانة في العنق ويجب أن تُؤدى والله عز وجل يقول ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [[الأحزاب:٧٢]] إن الله عز وجل عرض تلك الأمانة عرض الدين وكل ما به من التكاليف

الشرعية وكل شيئ في حياة الإنسان على خلقه من السماوات والأرض والجبال والبحار وكل الخلق فأبين أن يحملنها وكل الخلق هو مسخر لعبادة الله عز وجل من غير إنكار أو اختيار فإن الله عز وجل يقول ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [[الإسراء: ٤٤]] وأما الإنسان فإن الله جعل له الاختيار إما أن يكون من الطائعين وإما أن يكون من العاصين، فعرض الله الأمانة على آدم أن يحملها فقال وما لي قال إن حملتها أُجرت عليها وإن ضيعتها عُذبت – اختار أن يكون له الخيرة والرأي ويقول عبد الله بن عباس ﷺ فما حملها آدم ما قبلها عُرضت عليه في صلاة الظهر فما جاءت عليه صلاة العصر إلا وأغواه الشيطان وأخرجه من الجنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحزيفة بن اليمان ﷺ وقد كان يعيش في زمن رسول الله ﷺ وزمن الصحابة فقال رأيت هذا الحديث أن الأمانة في جذر قلوب الرجال كانوا يعملون بالقرآن ويعملون بالسنة – ثم حدثني رسول الله ﷺ بالحديث الثاني فقال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوجل – أي تترك اثر كالطفح الجلدي مثلاً الذي بداخله صديد وقيح – حتى يتبايع الناس ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يُقال في بني فلان رجل أمين – تكاد تختفي الأمانة حتى أن البائع والتاجر يحاول جاهداً أن يغشك وأن يأكل مالك ويغالي في السلعة بل وينقص في مكيالها ويحلف عليها بالكذب ليوقع فيها

رجلاً من المسلمين كانت هذه آية من آيات إعجاز رسول الله ﷺ ظهرت ونراها ملموسة ليل نهار ويكاد الرجل الأمين أن ينقرض حتى إنه يُشار إليه من ندرته فلان أمين – ثم يقول رسول الله ﷺ ويُقال للرجل ما أجلده وما أظرفه ما أعقله وليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان .

إذا نُزعت الأمانة من القلب فلا إيمان ولا دين فإن أنس بن مالك ﷺ يقول ما حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً وما خطبنا إلا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له، فكانت الأمانة هى قرينة الإيمان ودليل عليه والوفاء بالعهد قرين الدين، علي بن أبي طالب ﷺ قال جاء رجل من العالية وقال يا رسول الله أخبرني عن أشد شيء في هذا الدين وما هو أخف شيء فيه فقال له رسول الله ﷺ يا أخا العالية ألين شيء في هذا الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحمداً رسول الله – وبالفعل هى كلمة سهلة فقالها سريعاً أما الأوامر والنواهي وتبعات تلك الكلمة فهي عظيمة – ثم قال وأشد شيء في هذا الدين الأمانة فإنه لا إيمان لمن لا أمانة له . في هذا الحديث ينفي رسول الله ﷺ الإيمان عن من لا يؤدي الأمانة فأصبح بلا دين مهما أدى من فرائض من صلوات وصيام وزكاة وحج حتى يؤدي الأمانة .

وإن كل ما أعطاك الله عز وجل من حواس هو أمانة عندك وأنت مؤتمن عليها وسوف يحاسبك الله عز وجل هل أديت هذه الأمانة وتعاملت بها كما أمرك ونهاك أم لا كل ما وهبك الله

من السمع والبصر واللسان وكل الحواس من أين أتينا بها إنما من آيات الله التي قصت علينا قصة موسى عليه السلام إذ يقول الله عز وجل ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [[القصص:٢٣-٢٦]] وقال لها أبوها كيف عرفت أنه قوي قالت يا أبي حرك حجراً من على البئر لا يحركه إلا عشرة من الرجال وكيف عرفت أنه أمين كانت تسير أمامه لتدله على الطريق فجاءت الريح وألصقت ثيابها على جسدها فتبين له عجيزتها فقال لها سيري خلفي وإن أردت أن تدليني على الطريق فاقذفي بحجر فكان نظره أمانة وعرفت أنه يؤدي الأمانة لأنه حفظ بصره عنها، وتلك امانة البصر وكيفية أدائها، وكذلك المال والولد أمانة لأن الله عز وجل يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [[الأنفال: ٢٧-٢٨]] لذلك كان المال في يدك امانة عندك إذا أنفقته في خير فقد أديت الأمانة وإن انفقته في شر فقد ضيعت الأمانة وكذلك الولد إن حافظت عليه

وأحسنت تربيته وتعليمه وتحفيظه أصول ذلك الدين فقد أديت وإذا تركته يجول ويصول ويبحث عن الشرور فقد ضيعت الأمانة .

وكذلك المناصب إنما هى أمانات وحتى إمامة الناس في الصلاة هى أمانة سوف يحاسب الناس عليها وما نراه في دنيانا ليس ببعيد فنجد أن المناصب يوضع فيها القريب الذي هو أهل الثقة وليس أهل الكفاءة هو ليس لديه كفاءة لهذا المنصب إلا لأنه قريب فلان وقد يدعون انها مسابقة لشغل تلك الوظيفة ولكنا نعلم أن شاغلها موجود بالفعل وما هى إلا مجرد شكليات وما أكثر التعيين في المناصب إلا بالرشوة والمحسوبية .

وفي حديث رواه يزيد بن أبي سفيان ﷺ قال قال لي أبو بكر عندما بعثني إلى الشام قال لي يا يزيد إن لك قرابة أخشى ما أخشاه عليك أن تؤثرهم بالإمارة بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول من وليّ من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم أحد محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم .

وإن العمل الذي يؤديه الإنسان ويأخذ عليه أجراً أو حتى لا يأخذ عليه أجراً إنما هو أمانة طالما قبلت بهذا العمل وبهذا الأجر أو بدون أجر فيجب أن تؤدي حق هذا العمل بأن تحافظ على كل شروط هذا العمل من مواعيد وإخلاص وجودة وخلافه فإن فعلت فقد أديت الأمانة وإن لم تفعل فقد خنت الأمانة وضيعتها، وفي موضوع العمل فإن أداءه بحقه له أجر عظيم فقد قال رسول الله ﷺ من استُعمل على عمل فأعطى الحق وأخذ

الحق كان مثل المجاهد في سبيل الله حتى يرجع بيته، كان له أجر الجهاد في سبيل الله وهو اعلى المراتب في دين الإسلام لأنه قد جاهد في عمله حتى يتقنه فكيف بنا نرى ناساً تتحايل بكل الطرق لتأخذ عن عملها أكثر مما تستحق وهو اصلاً ليس أهلاً لهذا العمل إنما هو يندرج تحت بند أكل أموال الناس بالباطل وكذلك الذي يبيع السلعة بأكثر من ثمنها والذي يعرض سلعة وبها عيب يعيبها كل تلك الأمور وما شابهها مما ابتكره الناس في الغش إنما هو تضييع للأمانة وسوف يحاسبه الله عز وجل حساباً عسيراً فإن رسول الله ﷺ يقول من استعملناه على عمل فرزقناه دزقاً فما أخذه بعد ذلك فهو غلول.

ويقول رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو هريرة ﷺ قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا إئتمن خان وإن صلى وصام وزعم إنه مسلم – تلك الثلاث تحدد المنافق حتى وإن أدى الفرائض كالصوم والصلاة حتى يثبت أنه مسلم فما هو بمسلم لأنه ضيع الأمانة .

ورسول الله ﷺ جعل من الحديث بينك وبين الناس في المجالس أمانة سوف تُحاسب عليها فقال إذا حدث الرجل الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة .

وقال رسول الله ﷺ كفى بالمرء إثماً أن يحدث أخاه بحديث هو له مصدق وهو فيه كاذب – جعل ذلك من الخيانة للأمانة لأن الذي تحدثه يظن فيك الصدق بينما أنت تستغل ذلك

منه وتكذب عليه، وكذلك قال المجالس بالأمانة أي أنك تستمع إلى حديث في مجلس من المجالس فإن ما سمعته هو أمانة لا تخرج فتتحدث بما سمعته إلا أن يؤذن لك، وكذلك ما بينك وبين زوجتك إنما هو أمانة لا تفشيه أبداً بل هو من الأسرار التي يجب أن تحافظ عليها فإن رسول الله ﷺ يقول إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه، وعن أسماء بنت يزيد رضي الله قالت كنا قعود عند رسول الله ﷺ رجال ونساء فقال رسول الله هل يجرؤ رجل يفعل بأهله كذا ثم يقول فعلت كذا بأهلي وهل تخبر امرأة عما فعلت مع زوجها فسكت كل الناس فقلت والله يا رسول الله إنهم يفعلون وإنهن يفعلن فقال رسول الله ﷺ لا تفعلوا ذلك فإن مثل من فعل ذلك كمثل شيطان لقي شيطانة فغشيها في الطريق والناس ينظرون إن من أعظم الأمور أن يفضي الرجل إلى زوجته وتفضي إليه ثم يخرج أحدهما ويقول فعل بي كذا وكذا . فكانت تلك من أشد الأمانات .

وإذا استشارك إنسان يجب عليك ألا تخونه وعليك أن تشير عليه بالرشد من الأمر فقد قال رسول الله ﷺ المستشار أمين على المشورة ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه .

وعبد الله بن مسعود ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة – والأمانة إنما هى في كل شيء في الوضوء والصلاة وفي الحديث والأشد من ذلك في

الودائع أن يأتمنك إنسان ويضع عندك وديعة أياً كانـــت ومهمـــا كانت صغيرة أو كبيرة وحتى إن كانت شيئاً تافها إنما هو أعطاها لك على سبيل الأمانة ليستردها منك فيما بعد وأنت قبلتها يقـــول رسول الله ﷺ يُؤتى بالرجل يوم القيامة وإن قُتل فـــي ســـبيل الله فيُقال له أدي أمانتك فيقول يا رب من أين أؤديها وقد ذهبت الدنيا فيقول الله عز وجل لملائكته اذهبوا به إلى أمة الهاوية فتتمثل له الأمانة كهيئتها يوم قبضها في قاع جهنم فيهوى إليهـــا فيحملهـــا على عاتقه ثم يصعد بها وعندما يظن أنه نجا سقطت من علـــى عاتقه فهو في أثرها إلى أبد الأبدين .

ورسول الله ﷺ يقول أدي الأمانة لمن إئتمنك ولا تخن من خانك – لا يقول إنسان هذا الرجل خائن ولم يحفظ أمانتي فيحـــق لي أن أخون أمانته فقد نهى رسول الله عن ذلك حتـــى لا تكـــون انت وهو سواءً في الحجيم يوم القيامة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال قال رسول الله ﷺ أربعة من كن فيه فلا عليه ما فاته من الدنيا – أي لا يهمه ما لم يحصل عليه من الدنيا فما يحصل عليه بسببها أكبر من الـــدنيا وما فيها – حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة، وإذا أردت ان تملك الآخرة فقد قال رسول الله ﷺ اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعـــدتم وأدوا إذا إئتمنتم وغضوا أبصاركم واحفظـــوا فـــروجكم وكفـــوا أيديكم .

ولا تفرقوا

إن مكة هى بلد الله الحرام ومسجد الله الحرام ذلك المكان الطاهر المبارك الذي قال رسول الله ﷺ وهو يشير إليه هذا البيت دعامة الإسلام ضمن الله عز وجل لمن خرج يؤم هذا البيت مـــن حاج أو معتمر إن قبضه أن يدخله الجنـــة وإن رده رده بـــأجر وغنيمة .

في هذا المكان الطاهر اجتمع ناس رأوا أن أهل الاستعمار وأهل الفجور في كل أنحاء العالم إنما يحاولون أن يفرقوا وحـــدة المسلمين وذلك لأن قوى الشر إنما عندهم ذلك القانون الذي يقول فرق تسد وهم يفرقون أهل الإسلام يريدون تمزيق المسلمين فـــي كل مكان وخير شاهد على ذلك دولة فلسطين التي تفـــصل بـــين الشرق والغرب وكذا الذي يتعاملون به في العـــراق مـــن فتنـــة وتحريض لتحطيم أوصاله وجعل الفرقة هى الشعار بـــين أهـــل الإسلام في ذلك البلد الذي كان نسيجاً واحداً على مـــدى عقـــود عديدة وفي النهاية ابتكروا له دستور وهذا الدستور عما قريـــب أو بعيد سوف يزيد من الفتنة ويقويها وكأن قانون التفرقة والفتنة هو دين الذين يحاربوننا ليجهزوا علينا والله عز وجل إنما حذرنا كل التحذير ومهد لنا وبين لنا الطريق حتى نكون على بـــصيرة من أمرنا ولكننا تنكبنا الطريق عندما تركنا كتاب الله عز وجـــل وبعدنا عن ســـنة رســـول الله ﷺ فـــإن الله عـــز وجـــل يقـــول

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ
﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ
فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [[آل عمران: ١٠٠-١٠٣]] يخاطب الله عز وجل في هذه الآيات الذين آمنوا في كل مكان وزمان ويحذرهم فماذا يريد منا أهل الكتاب وماذا يريد منا الذين كفروا وماذا يريد منا الذين أشركوا ؟ الله عز وجل يقول ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [[البقرة: ١٠٥]] ذلك هو ما يريدون منا ألا يكون لنا فضل من الله عز وجل حقداً حسداً منهم لأن الله عز وجل يقول ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [[البقرة: ١٠٩]] فإن الذي يريدوه منا أن يردوننا عن ديننا عن دين الإسلام لأنهم علموا أنه الحق المبين ولكنهم كفروا به ولذلك لا يريدوننا أن نتفوق عليهم ونفوز بهذا الدين يريدون ان نكون نحن وهم سواء في الكفر والله عز وجل قالها لنا في الآيات السابقة وقال إنهم تعاملوا بها وسوف يتعاملون بها

إلى يوم القيامة فإن الله عز وجل يقول ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ الحروب التي يشنوها ويؤججوا نار الفتنة فيها إنما هدفهم منها أن يردوكم عن دين الإسلام إن استطاعوا فهم يأخذون بكل وسيلة والحرب هي إحدى تلك الوسائل والله عز وجل عندما قال يردوكم كافرين معنى الكفر هنا الفرقة والشحناء ومعنى الكفر هنا البعد عن الجماعة والوحدة والتكتل ولنعرف ما سبب نزول تلك الآية وأسباب النزول توضح المعنى وكل آيات الله تعمل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كانت المدينةفيها قبيلة الأوس وقبيلة الخزرج والعداوة بينهما من أشد ما تكون ولما دخل الإسلام وحد وأصلح ما بينهم وجمع شملهم حتى إنهم كانوا يجتمعون يتسامرون في إلفة ومودة وكان في اتحادهم هذا قوة فمر عليهم رجل يهودي هو شاس بن قيس الذي كان قلبه يحمل الحقد والعداوة على دين الإسلام وأهله الذي جعل بينهم هذا الود والوحدة والقوة فقال لئن اجتمع بنو قيلة فلا مقام لنا في هذا البلد فكانت تلك الكلمة تؤدي معناها فكذلك يقولها في كل مكان وزمان أعداء دين الإسلام وكأنه في هذه الأيام يقول إذا تجمع وتوحد أهل الإسلام فلا مقام لأمريكا وحلفاءها لا في العراق ولا أفغانستان ولا فلسطين ولا حتى في الهند أو كشمير أو الشيشان لأن في التجمع قوة، وشاس بن قيس عندما أراد البقاء ماذا يصنع إنما يلجأ لسلاح الفرقة والفتنة حتى يفرق ذلك الجمع فماذا صنع جاء بشاب من اليهود يتغنى بأشعار كانوا يتغنون بها

في الجاهلية ولكنها تؤجج النيران وتقلب الصدور وتثير الأحقـاد القديمة بين أعداء الأمس وأخوة اليوم وتلك الأشعار لها مفعـول السحر في نفوسهم لأن الشيطان يعمل معها ورغم ان من بين هذا الجمع أصحاب لرسول الله ﷺ بكل ما فيهم من إيمـان وتقـوى إلا أنها أثرت فيهم فما بالك بنا نحن وما تفعله بنا تلك الفتن ونحن لا نقارن بإيمان هؤلاء من صحابة رسول الله ﷺ، فتعمل الكلمات عملها بين الأوس والخزرج لأنها تذكرهم بأيام الفرقة والحروب بينهم وما بينهم من ثأر ودم فإذا بجبار بن قيظـي وجـابر بـن صخر يقف كل منهم للآخر ويقول السلاح السـلاح وكـادوا أن يتقاتلوا وعلم بها رسول الله ﷺ فيأتيهم مسرعاً ويقـول أدعـوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله عز وجل بالإسـلام وألف به بين قلوبكم ترجعون كما كنتم كفاراً يـضرب بعـضكم رقاب بعض فعلم الناس أنها نزعـة شـيطان فتركـوا الـسلاح وتعانقوا، فما أراد الإسلام للناس إلا كل خير فبه ألـف الله عـز وجل بين القلوب وضم الصفوف حتى يكون الكيان قوياً فكيف بنا ونحن يجمع بيننا دين الإسلام تكون بيننا تلك الفرقة ونكون بهـذا الضعف ولا نكون مع الجماعة التي هى الرحمة كما يقول رسول الله ﷺ الجماعة رحمة والفرقة عذاب، وكذلك يقـول إن الله عـز وجل مع الجماعة ومن شرد شرد في النار .

والله عز وجل يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ

ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [[آل عمران: ١٠٠-١٠١]]

بيننا ومعنا كتاب الله عز وجل وفينا رسوله وإن فارق الدنيا فهو فينا بتعاليمه وهديه بسنته فكيف تجد الفرقة مكانها بيننا ويقول قائل :

عجبت والعجائب جمة

من قرب الدواء وما إليه وصولُ

كالعير في البيداء يقتلها الظمأ

والماء فوق ظهورها محمولُ

ذلك القائل يعجب من أمة مُحمد ﷺ في هذه الأيام أصبحت وكأنها مريضة والدواء موجود ومعلوم ولكنها لا تتعاطاه فإن دواء الأمة هو علاج الفرقة وأسبابها فما هو الدواء الذي يرد إليها القوة والعافية أن تتجمع على كتاب الله عز وجل وعلى سنة رسوله ويقول قائل :

أمة الإسلام في شرق البلاد وغربها

كأصحاب كهف في عميق سبات

بأيمانهم نوران ذكر وسنة

فما بالهم في حالك الظلمات

النور الذي يهدينا إلى الطريق إنما هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ورغم ذلك نجد أنفسنا في ظلمات حالكة تتكالب علينا الأمم الأخرى وكأنه قد تحكم في الاسود الذئاب فأهل

الإسلام هم الاسود ومن يتكالبون عليهم ويعتدون عليهم هم الذئاب على اختلاف عقائدهم والذي يجمع بينهم ويؤجج صدورهم ويشحذ هممهم إنما هم اليهود والذين كانوا بالنسبة لهم في الأمس القريب أعداء يتهمونهم بقتل المسيح عليه السلام وهاهم اليوم يبرؤنهم من تلك التهمة رغم اعتراف الجاني بالجريمة وإصراره عليها فياللعجب العجاب وهو فيها كاذب فما قتلوه ولكن شُبه لهم ولكنهم جنبوا مواطن الخلاف بينهم إلى أقصى درجة حتى لدرجة المعتقدات الراسخة عندهم منذ آلاف السنين إلا أنهم من أجل اتحادهم على الهدف الذي هو أن ينالوا من أمة الإسلام نبذوا الخلاف وأصبحوا جماعة بينما نحن أمة الإسلام نفعل عكس ما يفعلوه تماماً نبحث ونبحث عن كل ما يمثل نقط خلاف بيننا حتى بين أصحاب الفرقة الواحدة تجدنا يظهر بيننا كل نقاط الخلاف والإختلاف ونظل نبرزها ونعليها ويتهم كل منا الآخر بالجهل بهذا الدين مرة وبالخيانة مرة وبضعف الإيمان مرة وأخطرها أن يتهم بعضنا بعضاً بالكفر مرات ومرات والله عز وجل يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ.... ﴾ [[آل عمران: ١٠٢-١٠٣]] تلك أوامر الله عز وجل لكل من يدين بدين الإسلام أن يتقي الله عز وجل والتقوى هى كلمة عظيمة ولا يتسع المجال لبيانها وإنما يريد الله عز وجل أن يبين لنا أن من تقوى الله عدم الفرقة وأن المعين عليها هو التمسك بكتاب الله عز وجل ونذكر نعمة الله

علينا عندما كنا في وحدة وجماعة واحدة وما حققناه بها وكــذلك يقول الله عز وجل بكل وضوح ويقين أن أهل الإيمان والتقــوى لا يستطيع ولا يقوى على أن يفرقهم أحد مهما كــان لأن الــذين يتقون الله قد جعلوا الدنيا بكل ما فيها من مناصــب أو مكاســب أو زعامة أو مجد أو أي زينة في الــدنيا إنمــا جعلوهــا وراء ظهورهم بل كانت الآخرة هى أكبر همهم وأكثر شغلهم وقد سُئل رسول الله ﷺ عن التقي فقال " أن يذكر الله فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ويطاع فلا يعصى " فإذا كان الإنسان من المتقــين فلــيس للشيطان عليه سبيلاً .

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال قال رسول الله ﷺ " الــشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأكل القاصية والناحية فعليكم بالجماعة وعليكم بالمساجد "

إن دين الإسلام هو دين التوحد والتجمع ورســول الله ﷺ يقول المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " وكــذلك يقــول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمــى "ودين الإسلام إنما جاء ليؤلف بين القلوب ويوحد بين الــصفوف ولا يتحقق ذلك إلا إن كان المسلم نافعاً مفيداً لأخيه المسلم فــإن رسول الله ﷺ يقول الناس عيال الله أحبهم إلــى الله عــز وجــل أنفعهم لعياله " أي أن الناس كلها في عيلة تحتاج إلــى الله عــز وجل وهو يعولهم وأنفع الناس لهم هم أحبهم إليه عز وجل لــذلك

عندما كان عبد الله بن عباس ﷺ معتكفاً في مسجد رسول الله ووجد رجل جالساً يبكي فقال له ما يحزنك أراك كئيباً قال الرجل عليّ دين لفلان لاأستطيع أن أرده فقال هل تحب أن أكلمه لك حتى يمهلك قال إن أحببت فافعل فإذا به يأخذ نعليه ويخرج من المسجد فيقول له الرجل أنسيت أنك كنت معتكفاً فقال له والله ما نسيت ولكن صاحب هذا القبر ﷺ والأمر بيني وبينه قريب يقول من مشى في حاجة أخيه المسلم حتى يبلغها كان خير له من أن يعتكف عشر سنين ." ويقول كذلك رسول الله ﷺ من مشى مع مظلوم ليثبت له حقه ثبت الله عز وجل قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام . " والصراط هذا كحد السيف بين الجنة والنار كل تلك الأوامر والتعاليم من رسول الله ﷺ إنما تهدف إلى شد هذا البنيان بعضه إلى بعض حتى تكون الرابطة أقوى والصلة أعمق وقد شدد رسول الله على ذلك المعنى في حديث له قال فيه " إن لله عز وجل عند أقوام نعماً أقرها عندهم ماكانوا في حوائج المسلمين ما لم يملوها فإن ملوها نقلها إلى غيرهم "

الذين ينعم الله عليهم بنعم إنما هى عندهم أنعم الله عليهم بها لأنهم يعملون المعروف ويؤدون حوائج الناس ثم يحذرهم أن يملوا من قضاء حوائج الناس فإن الله عز وجل يأخذها منهم كما أعطاها لهم ويعطيها لغيرهم وقضاء تلك الحوائج لا يكون إلا في سبيل الله ولا ينتظر عنه مكافأة لأن رسول الله ﷺ يقول من شفع شفاعة لأخيه – كأن يؤدي له خدمة أو يبحث له عن عمل ويدله

عليه أو يرد عنه ظلماً أو يعينه على شيء – فأهدى لـــه هديـــة عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الكبائر ." وذلك حتـــى يكون ذلك البنيان الذي يشد بعضه بعضاً إنما يتعامل فيه النـــاس لوجه الله عز وجل .

إن الأمور التي تؤلف بين القلوب في دين الإسلام كثيـــرة لا يقوم بها مقام فما بال أهل الإسلام في فرقة يطعـــن بعـــضهم بعضاً وقد جاء في حديث شامل جامع لرسول الله ﷺ يجمع فيـــه كل ما يؤلف القلوب فيقول " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تتدابروا ولا تتبادروا وكونوا عبـــاد الله إخواناً كما أمركم الله عز وجل " فبماذا أمرنا الله عز وجـــل أمرنا أن المسلم أخو المسلم لا يظلمـــه ولا يخذلـــه ولا يحقـــره، بحسب إمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المـــسلم علـــى المسلم حرام دمه وماله وعرضه، إن الله لا ينظر إلى صـــوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم التقوى هاهنـــا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ولا يحل لمسلم أن يهجـــر أخـــاه المسلم فوق ثلاث .

تلك هى أمة مُحمد ﷺ وذلك هو الخير فيها لـــذلك يريـــد الأعداء أن يجعلوها ضعيفة بأن لا تحتكم إلى الدين فـــي أمـــور حياتها وأن لا يكون الدين هو المرجع الأساسي في شئون دنياهم حتى تكون ضعيفة في الدين منحطة في الخلق متخلفة في العلـــم وما كل تلك الحروب التي يتعاملون بها معنا من قـــديم إلا لكـــي

تصل أمة الإسلام إلى هذه الثلاث وكادت ان تنجح وتصل إلى أكثرها ولكن الله عز وجل بقدرته لن ينالوا من عظمة دين الإسلام القوي المتين ولكن الضعف الباد إنما هو من أتباعه لأن الله عز وجل يقول ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [[الحجر:٩]] والذكر إنما هو القرآن والسنة حفظهما الله عز وجل فإذا كنا نحن الذين لا نتعامل بالقرآن والسنة فإن العيب فينا وليس في الدين لأنه دين الله عز وجل الذي لا يُقهر والله عز وجل يقول ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [[الصف: ٨-٩]] سوف يُظهر الله دين الإسلام في الأرض كل الأرض ولن تقوم الساعة إلا ودين الإسلام هو الذي يسود في الأرض كلها سواء رضي أهل الكفر والشرك أم لم يرضوا لأن الله عز وجل هو قائلها وهو الحق المبين .

ونرجو من الله عز وجل أن يوفق على جمع أمر الأمة الإسلامية على كلمة سواء من سبعة وخمسين دولة أي ثلث عدد دول العالم وربع عدد سكان الأرض لو أنهم تجمعوا وتوحدوا لقضوا على ضعفهم ولأصبحوا قوة لا يستهان بها فعن ابي ثعلبة الخشني ﷺ قال كان صحابة رسول الله ﷺ إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية يستظلون تحت الشجر وقرب الماء فقال رسول الله ﷺ إن تفرقكم هذا من الشيطان فما نزلوا منزلاً بعده

إلا اجتمع بعضهم إلى بعض حتى لو بسط عليهم ثوب لأظلهم "

ويقول القائل :

أرب الناس أشياء ألمت

يلف الصعب منها بالذلول

أرب الناس أما إن ضللنا

فيسرنا لمعروف السبيل

فلولا ربنا كنا يهوداً

وما دين اليهود بذي شكول

ولولا ربنا كنا نصارى

مع الرهبان في جبل الجليل

ولكنا خلقنا إذ خلقنا

حنيفاً ديننا أعظم دين

والله عز وجل يقول ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [[التوبة: ٧١]]

دولة مدنية تحكم بالشريعة

يريدونها دولة لا دينية ويقولون إنها مدنية ويخلطون الأمر على الناس ويقولون مدنية أي لا يحكمها عسكر، والعلمانية تسعى إلى عزل الدين عن الدولة وليس ذلك فقط بل تريد عزل الدين عن الحياة بكل عمرانها ومؤسساتها، ودين الإسلام هو دين مدني يحكم بالشريعة ودين مدني أي دين الحاكم فيه بشر وليس إله لا يخطئ ودين يجعل دولته تسير على نهج الشريعة كما أمر الله عز وجل وارتضى رسوله، ورسول الله ﷺ كان نبي ورسول وحاكم لتلك الدولة كان في أمر العبادات وفي الأمور التي ينزل بها عليه الوحي كان قائد ديني وداعية له وفي ما يُعرض عليه من قضايا وأمور مدنية في حياة الناس إنما هو بشر يحكم فيها ببشريته، فهو الذي يقول لنا " إنما أنا بشر فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أظن ظناً فلا تؤاخذوني بالظن " وهو الذي يقول كذلك أنتم أعلم بأمور دنياكم . والعلماني يقول لا نُحكم بدين ولا نُحكم بشريعة ويجب أن تحذف المادة الثانية من الدستور لماذا يقول لأن هناك أمور كثيرة ليست من الدين في شيء إنما تُعرض ليقال فيها الرأي وليحكم فيها الحاكم ونقول له إن هذا الأمر كان يُعرض على رسول الله ﷺ ويقضي فيه ببشريته أنظر إلى رسول الله ﷺ كما تقول أم سلمة رضي الله عنها قال رسول الله إنما يأتيني الخصم ورب أحدهم

ألحن بحجته من أخيه فأقضي له وإنما أنا بشر فمن قـضيت لـه بحق أخيه فإنما هى قطعة من نار جهـنم فليأخـذها أو ليـدعها "ومعنى هذا الحديث أن الخصمان قد يكون أحدهما أفصح لـساناً من الآخر في عرض قضيته وبما انه بشر قد يقضي بالحق لـه وهو ليس له فيها حق فلا يقول إن رسول الله قد حكم لي بها فهى حلال لا بل يبين له رسول الله أن هذا الذي قضى له به إنما كأنه قطعة من نار جهنم إن أخذها تعذب بها وإن تركها كان خير لـه وهذا هو الحال حتى في المحاكم التي كلنا يعرفها ويتعامل معهـا فقد يكون أحد الخصوم قد أتى بالأوراق المختومة ولا نعرف من أين أتى بها بل هى مزورة ووضعها أمام القاضي ليأكل حقاً ليس حقه أو يأتي بشهود الزور لنفس الأمر فلا يملك القاضي البـشر إلا أن يحكم له بما قدمه من أوراق رغم أنه أخذ حقاً مـن أخيـه ويقول لقد حكم لي القضاء بها فإنما هى قطعة اقتطعها له القاضي من نار جهنم، والله عز وجل يقـول ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [[البقرة : ١٨٨]] وجاء إلى رسول الله خصمان أحدهما مسلم والآخر يهودي والسلم هو الذي يشكو إلى رسول الله أن هذا اليهودي قـد اغتصب أرضاً ملكاً له وفي هذه الحالة رسول الله ﷺ بشر يحكم بما أمامه من أدلة وبراهين وشهود وليس بما يعتقده فهل قال هذا مسلم ولا بد أنه يقول الحق ويحكم له بالأرض لا بل قال للمـسلم صاحب الحق قال له بينتك أو يمينه أي إما أن تقدم الدليل علـى

ملكيتك لتلك الأرض أو أن يقسم ويحلف اليهودي عليها ولم يكن للمسلم من بينة أو دليل فقال إذن يا رسول الله يحلف ويذهب مالي فنزل قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [[آل عمران: ٧٧]] رسول الله ﷺ يقول للذين يقولون أن هناك أمور قد لا يكون فيها بيان من الدين انظروا إلى تلك القضية التي عرضت عليه تنازع رجلان على ري الأرض الأول أرضه على منبع الماء والأخر خلفها يتنازعان أيهما يسقي أولاً فيقضي رسول الله أن يسقي أولاً الذي أرضه بجوار منبع الماء وكان بن عمه الزبير بن العوام ﷺ الذي أرضه في الخلف يأبى هذا الحكم ويرفضه وهى قضية عادية نزاع على ري أرض فماذا قال الله عز وجل في الذي رفض حكم مُحمد ﷺ نزل قول الله عز وجل ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [[النساء: ٦٥]] نزع الله الإيمان عمن رفض حكم رسول الله ﷺ وهو في أمر من أمور الدنيا على ري الأرض فكيف بنا نرفض باقي القوانين ومواد الدستور . وفي قضية أخرى في عهد رسول الله ﷺ رجل مسلم يسرق درعاً وجوال من الدقيق كان به ثقب فلما سار به جعل الدقيق يتساقط على خط سيره وأخفى الدرع عند يهودي هو زيد بن السمين وعندما علم

أصحاب الدرع باختفاءه ساروا على أثر الدقيق الذي تسرب من الثقب قادهم إلى بيت زيد بن السمين اليهودي فاتهموه فيها وتُعرض القضية على رسول الله ﷺ وهو بشر يحكم بالأدلة فإن أثر الدقيق يقود إلى منزل اليهودي ووجدوا الدرع عنده ولكن إرادة الله عز وجل أن يُكشف السارق الحقيقي فنزل قول الله عز وجل ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [[النساء: ١٠٥-١٠٨]] ومن الأمثلة على وجوب قبول حكم رسول الله ﷺ لأنه أيضاً حكم الله عز وجل فقد كان واحد من أصحابه هو جليبيب ﷺ كان شاباً من أشجع شباب المسلمين وأكثرهم إقداماً ولكن كان وجهه يخلو من سمات الجمال والقبول عند النساء فيذهب إلى رسول الله ليكون له شفيعاً في خطبة فتاة من الأنصار فيذهب رسول الله إليهم لأن دين الإسلام يزكي الناس بالتقوى وليس بحسن الوجه وجماله ولا بسعة الأموال وكثرتها ولا بالجاه والعصبيات وجليبيب كان شاب تقي ولكن والدا الفتاة يقولان ألم تجد إلا جليبيب يا رسول الله فإذا بالفتاة تنادي على أبويها من وراء الجدار وتقول أتردان على رسول الله ﷺ خطبته فإني قبلته يا رسول الله فنزل قول الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن

﴿يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [[الأحزاب: ٣٦]] نزلت تلك الآية في شأن أهل تلك الفتاة الذين رفضوا شفاعة رسول الله في خطبة فتاة فوقعوا تحت هذه الطائلة فما بالنا إذا لم ننصاع لرسول الله فيما هو أخطر وأهم وأعظم من هذا الأمر وما بالنا بمن يرفضون كتاب الله أن يحكم بينهم ويرفضون سنة رسوله والله عز وجل يقول ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾

[[الأحزاب:٣٦]] أي لا يكون لأحد أن يختار إنما هو الإزعان للأمر والتسليم به والإنقياد له الذي لا جحود ولا رفض ولا تردد فيه لأن دين الإسلام لم يشرع الله عز وجل فيه إلا كل خير وكل ما يتوافق مع الفطرة السليمة للبشر ومع الأخلاق الحميدة ومع العدل بين الناس ومع كل ما ينتظم به حياة البشر حياة كريمة نقية ولم يحرم إلا كل قبيح تعفاه الفطرة السليمة للبشر فكيف ننحي كل ذلك فإلى ما نحتكم بعده . عبد الله بن قيس بن حزافة ﷺ يأمره رسول الله ﷺ على سرية من الجيش ينطلق بهم وهو بمثابة أمير عليهم وهم في الطريق يقول لهم ألم يقل رسول الله أن لي عليكم السمع والطاعة قالوا بلى قال اجمعوا حطباً فجمعوا ثم قال أججوا ناراً ففعلوا ثم قال ادخلوا فيها فقالوا والله ما تبعنا رسول الله إلا لننجوا من النار فلن ندخلها حتى نرجع إلى رسول الله ﷺ فلما رجعوا نزل قول الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [[النساء: ٥٩]] أي إن النزاع والإختلاف وارد بكل تأكيد والحكم فيه إنما بالعودة لما أمر به الله ورسوله وما ورد بشأنه في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله ﷺ بينما الذين يريدون الحكم بالعلمانية أو غيرها إلى أي شيء يحتكمون ؟ إلى بشر يؤخذ ويُرد عليهم ويُطعن فيهم أم إلى قوانين يضعها بشر لا نعلم إن أصابوا أو أخطأوا أو اتبعوا هوى فئة بعينها ولا نضمن حيادهم ثم أي الفريقين أولى بالاتباع الله عز وجل ملك الملك والملكوت خالق كل مخلوق في هذا الكون هو أولى بالاتباع من كل من يؤمن به رباً وإلهاً وخالقاً .

يقول الله عز وجل ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [[المائدة :٤٤]] ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [[المائدة: ٤٥]] ويقول ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [[المائدة: ٤٧]]

وصحيح أن الشعبي ﷺ قال إن تلك الآيات نزلت في بني إسرائيل ولكن عبد الله بن عباس ﷺ عندما سُئل عن هذه الآيات الثلاث قال من جحد فقد كفر من جحد بحكم الله أن يسود في الناس فقد كفر ومن لم يقر بها فإنه ظالم فاسق .

والزهري يقول من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله وهو ظالم لنفسه في الدنيا وظالم لنفسه في الآخرة ومن لم

يحكم بما أنزل الله فهو فاسق في دين الإسلام، وحزيفة بن اليمان ﷺ عندما سئل عن هذه الآيات قال نزلت في بني إسرائيل ولتسلكن سبيلهم حذوا النعل بالنعل . إذا نزلت في بني إسرائيل ووصموا بها ونُعتوا بأنهم خرجوا عن دينهم بها فإذا نحن عطلناها فأين نحن من بني إسرائيل فقد نكون التصقنا بهم حذو النعل بالنعل نرجو من الله عز وجل أن يعصمنا أن نكون كذلك .

وعُرضت على رسول الله ﷺ قضية كان الخصمان فيها بنو النضير وبنو قريظة وهما طائفتان من اليهود ولكن لماذا كانت الخصومة وهؤلاء الذين يدعون أنهم منبر الحرية والديمقراطية والمساواة في العالم وهم بداخلهم يأكل بعضهم بعضاً فوالله إذا هدأت الأمور في دولة فلسطين المحتلة المغتصبة من دعاة الحرية والعدل والديمقراطية في العالم لشاهدنا منهم كل اختلاف فيما بينهم فإن عندهم اليهود من أصول أوروبية أعلى درجة ومكانة من اليهود الذين من أصول أفريقية أو عربية والتفرقة بينهم في المعاملات على أشدها فإذا استقر بهم الحال سنجدهم ياكلون بعضهم أكلاً كذلك كان الحال في عهد رسول الله ﷺ بين بنو النضير الذين يعدون انفسهم في وضع ومكانة ومنزلة أعلى من بني قريظة وكانوا يتفاوضون في دية القتل فاختلفوا وذهبوا إلى رسول الله ﷺ ليقضي بينهم في دية قتيل ودين الإسلام هو دين الكمال كله والناس أمامه سواء فقال رسول الله القتلى براء أي متساوون فقالت بنو النضير لا نقبل حكمك هم يريدون أن

يتحاكموا إلى الطاغوت وأن تكون لهم ميزة على القبيلة اليهودية الأخرى فما هو الذي نزل من القرآن فيها – والله إننا غبنا عن القرآن فغيبونا فأصبحنا لا ندري كيف نرد على الخصوم – قال الله عز وجل ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [[المائدة: ٥٠]] من أحسن من الله حكماً وتلك الآية إنما هي عاملة إلى يوم القيامة فإن الله الذي خلق وصنع هذا الكون وأولئك البشر هو أدرى بهم وبكل ما يقيم حياتهم وبما يحدث بينهم من خلاف فإن الصانع أدرى بصنعته وهذا ما يقره أي عقل سليم فلا مجال للمقارنة بين حكم الله عز وجل وما شرعه من قوانين وبين ما يتفتق عنه ذهن بشر مهما كان علمهم ومكانتهم فهم في النهاية بشر بهم ما بهم من ضعف وتغير وهوى وللنظر إلى القوانين التي وضعها الناس نجدها كل يوم تتغير وتتبدل وما يصلح منها اليوم لا يصلح لغد ونجد بها من الثغرات ما يطعن فيها ويجعلها منقوصة وما أكثر القوانين التي يتم دس تلك الثغرات فيها عمداً حتى تستفيد منها فئة من الناس يغتصبوا بها الحقوق ويأكلوا بها أموال الناس بالباطل أنرضى بحكم تلك القوانين ولا نرضى بالحكم الذي جاء في كتاب الله عز وجل، وما قال لنا رسول الله ﷺ إنه يحكم بالإلهية ولكنه قال لمعاذ بن جبل ﷺ عندما بعثه حاكما وقاضياً على أهل اليمن قال له بما تحكم يا معاذ إذا عُرض عليك قضاء فقال أحكم بكتاب الله قال فإن لم تجد قال فبسنتك يا رسول الله قال فإن لم تجد قال أجتهد ولا ألو " وهذه قاعدة عامة

وميثاق شامل وضعه رسول الله ﷺ وكأنه الدستور الذي يتحدث الناس عنه فإذا لم تجد الحكم اولاً في كتاب الله عز وجل ولا في سنة نبيه ورسوله هنا نلجأ لتحكيم العقول وفي هذه الحالة رأي العالم مقدم على رأي الفقيه .

ويقول العلمانيين إن هناك طائفة ليسوا من المسلمين فكيف نحكمهم عليهم بشريعة الإسلام وهذا قول إنما هو الباطل كله لأننا إذا أخذنا بالديمقراطية ولجأنا إلى ما تسفر عنه صناديق الإقتراع وتبين لنا أن نسبة سبعة في المائة لا تريد أن تحتكم إلى شريعة الإسلام وسبعة وتسعين بالمائة ترضى بحكم شريعة الإسلام فبأي منطق تتحكم الأقلية من سكان الدولة في الأكثرية من أهلها وهل يترك سبعة وتسعون بالمائة شريعتهم التي أمرهم الله بها لكي يرضوا أقلية إنما هذه هى الديكتاتورية بعينها والاستبداد كله وإن كان لتلك الأقلية شريعة فلتحتكم إليها ونترك للأكثرية ما يحتكمون إليه من شرع الله، وما ذلك بجديد وما هو اختراع منا إنما كل دول العالم لديهم شريعة تحكمهم سواء من عندهم أو من معتقداتهم إنما لهم ما ينظم أمور دنياهم وكل من يتواجد في هذه الدولة عليه أن يلتزم بتلك الشريعة وهذا القانون ما دام يعيش في تلك الدولة أو حتى زائراً لها .

وفي شريعة الإسلام التي يرفضها البعض الكثير من القوانين والأوامر من الله عز وجل إنما تنظم تلك العلاقة بين المسلم وغيره وما أكثرها في دين الإسلام فإنها من شأنها لو

طبقت أن تحافظ على غير المسلم وتــؤدي لـــه حقوقــه كاملـــة ولا تجبره على شيء فإن هؤلاء النـــاس لا تُهــدم لهــم كنيـــسة ولا يُكسر لهم صليب وهم أحرار فيما أحلته لهم شريعتهم ومـــن أمثلة ذلك أن شريعتهم تُحل لهم بيع الخنزير وأكله فهم أحرار في ذلك ثم ننظر إلى كمال شريعة الإسلام إذا قتل مسلماً لهم خنزيراً وجب عليه التعويض وإذا كانت شريعتهم تُحل لهم الخمر بـــالبيع والشراء والشرب فإذا أهرق مسلماً خمراً لواحد منهم وجب عليه دفع قيمته لأن رسول الله ﷺ هو الذي قال لأصحابه اتركوهم وما يدينون، فكيف تأتي قلة تريد أن تعتدي على حق الأكثرية بفرض علمانية لا دين لها وهى ترفض كل دين .

إن شريعة الإسلام كانت تحكم في دولة المسلمين حتـــى استعمر الإنجليز مصر عام ألف وثمانمائة واثنين وثمـــانين مـــن الميلاد ومع الاحتلال كان القانون الوضعي قريناً ومــصاحباً لـــه معتدياً على إرادة الأغلبية فإذا أردنا أن نتحرر من الاحتلال ومن العبودية والاستعمار فلا نفرط في شريعتنا ومع ذلك فـــإن ذلـــك القانون الوضعي تصدى له من حاربه من العلماء الأفـــذاذ مـــنهم محمد قدري باشا الذي ألف دساتير وقوانين ترد على الاحـــتلال فريته وكان منهم كذلك سعد زغلول الذي قال قولته الشهيرة التي غفل عنها الناس قال إن الإسلام دين مدني يحكم بالشريعة ومـــن قال أن دين الإسلام روحي فقط فقد هدم قواعد الدين .

وكل كلام سعد زغلول حفظته الناس إلا تلك الكلمة لماذا لأنها غُيبت بفعل فاعل . وكان ممن تـصدى لهـذا الاسـتعمار رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني وكان آخرهم والذي نُكل به عبد الرازق السنهوري .

فإذا كان دين الإسلام هو دين الدولة وهويتها وإذا كانـت الشريعة الإسلامية هى مصدر التشريع في هذا الدستور فلنحـذر كل الحذر ولنجتهد كل الجهد ألا نفرط في ذلك الدين وألا نفـرط في هذا القرآن وفي سنة رسول الله ﷺ وكذلك لا نشوه هذا الدين بادعاء ما ليس فيه ولا نفتري على الله الكذب فيما جاء بـالقرآن من احكام ولا نأخذ من سنة رسول الله ما يناسب هوى فئة بذاتها إنما هذا الدين كل متكامل يجب أن نأخذ به كله .

وإذا قال العلمانيون إن لـيس عنـدنا مـنهج أو قـوانين فالإجابة أبسط ما تكون عندكم كتب الفقه كلها دسـاتير وقـوانين دُونت في تلك الكتب منها المتشدد ومنها المتساهل ومنها الوسـط اختاروا أي كتاب في الفقه واتخذوه دستوراً ومنبع للقوانين وكـل ما عليكم فعله أن ترقموا الأحكام وتضعوها في أبواب وتـضعوا لها الحيثيات وما يدل عليها فهل يصعب ذلك وكلهم يعلمون مـا قلناه جيداً ولكنهم يحاربون ويأبون أن تحكمهـم رسـالة ربانيـة الحكم فيها لله ويطبقه بشر وكما يقول القائل ومن رضي الحيـاة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

الناس وحكم الشرع

مع حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه " كيف أنتم إذا ظهر فيكم خمس أعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركونها ما ظهرت الفاحشة في قوم يُعمل بها علانية إلا سلط الله عليهم الطاعون والأمراض التي لم تكن في أسلافهم وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وقلة المؤنة وجور السلطان وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا وما لم يحكموا بكتاب الله وسنة رسوله إلا جعل الله عز وجل بأسهم بينهم شديد وما لم يحكم أمراءهم بكتاب الله إلا سلط الله عز وجل عليهم عدواً من غيرهم فاستنقذوا بعضاً مما في أيديهم " وتلك الخامسة في هذا الحديث هى ما نود أن نتحدث عنها حيث قال رسول الله ﷺ ما لم يحكموا بشرع الله عز وجل إلا جعل الله بأسهم بينهم شديد إذا لم يتعامل الناس أفراداً أو جماعات أو حكومات فيما بينهم بشرع الله عز وجل ويجعلون كتاب الله وسنة رسوله هى الحكم بينهم جعل الله عز وجل بأسهم بينهم شديد تجد الأعصاب ثائرة والغضب لأتفه الأسباب ولا يحتمل أحد منهم الآخر وتجد الأحقاد هى السائدة والحسد والبغي والعدوان وتجد أكل أموال الناس بالباطل والتفاخر والإستعلاء لأن الله عز وجل توعدهم أن يجعل بأسهم بينهم شديد والله عز وجل يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ

مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [[المائدة: ٤١]] مجتمع من مجتمعات اليهود الذي لعنهم الله في كتابه العزيز كانوا لا حاكم لهم ولا أمير يحكم بينهم إلا فيما قل وندر على مدى السنين وكانوا يتحاكمون فيما بينهم بالشريعة التي أنزلها الله عليهم فماذا صنعوا ولماذا كان بأسهم بينهم شديد وقال الله عز وجل فيهم تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى لأنهم كانوا إذا نفذوا فيما بينهم الشريعة التي إنزلت عليهم كانوا يتعاملون فيها بالأهواء فإنه كان من أسباب نزول تلك الآية سببان لأن رجل من اليهود زنى بامرأة من اليهود ولأنهم كانوا يتعاملون فيما بينهم بالأهواء وبالباطل اختلفوا فقالوا نذهب إلى طرف ثالث ألا وهو رسول الله ﷺ ليحكم بينهم في ذلك الأمر حتى تكون لهم حجة يحتجون بها عند الله عز وجل يقولون أخذنا هذا الحكم من مُحمد ﷺ ولأنهم كانوا إذا زنى منهم الرجل الشريف أو المرأة الشريفة من ذوي المال أو الحسب أو النسب فلا يُنفذ فيه حد الرجم رغم وجود ذلك الحكم في شريعتهم وإنما كان الحد يطبق فقط على أبناء الطبقة الدنيا من الناس فيهم فقالوا فيما بينهم اذهبوا إلى مُحمد فإن دينه جاء بالتخفيف فإن قال لكم اجلدوا فاجلدوا وإن قال لكم بالرجم فلا

تأخذوه، وأما السبب الثاني لنزول الآية الكريمـــة لأنهـم كـــانوا يتعاملون في الدماء والحقوق بنفس مبدأ عدم المساواة بين الناس إنما على حسب رفعة الشأن فكان من هم من بني النضير إذا قتل واحداً منهم احد يفدونه بدية قدرها خمسون وسقاً وإذا كان العكس كانت الدية مائة وسق أي هذا دية كاملة وذاك نصف الدية وتلـك التفرقة مآلها إلى الحسب والنسب وسعة المال فإن الله عز وجـل أنزل عليهم في التوراة أن النفس بالنفس وكـذلك الديـة واحـدة لا فرق فيها بين قاتل وآخر إنما هم كانوا يفرقون فيما بينهم وهم الآن يدعون أنهم شعب الله المختار فهل تابوا عن تلك المعاملـة بل إنها أصيلة فيهم وسوف يكون مآل هذا الكيان إلى زوال بإذن الله وإذا كان هذا حالهم فيما بينهم فكيف بهم مع من هم من غيـر ملتهم فقد قال الله عز وجل ﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ......﴾ [[آل عمران: ٧٥]] وكذلك هم يعتقدون أنهم الشعب المختار وما دونهـم من أي ملة أخرى إنما هم عبيد خلقهم الله لهم وقد شـبهوا مـن دونهم في التلمود بأنهم حيوانات وعنـدما يـسألون لمـاذا هـذه الحيوانات على صورة البشر قالوا إنما كرامة لليهود جعل صورة تلك الحيوانات التي تخدمهم كصورة الإنسان حتى لا يانفون منهم تلك هى عقيدتهم بينما رسول الله ﷺ لما فتح مكة هدم كـل تلـك المزاعم فقال يقول اليهود ليس علينا في الأميين سبيل كذبت يهود ألا إن كل أمر من أمور الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى كل بر وفاجر، وجاء بعض الناس يسألون

عبد الله بن عباس ﷺ قالوا إنا نصيب الدجاجة والشاة في الغـزو فقال لهم وما تقولون قالوا نقول ليس في ذلك باس فقال والله لقـد قلتم كما قالت اليهود ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا ما عليهم حُرمت عليكم أموالهم وحسابهم على الله، فإذا كان هذا هو التعامل بيننا وبين الأعداء في الحروب فكيف يكون الحال بيننـا وبين من يعيشون معنا في المجتمع الواحد والوطن الواحد فإنـه الأمر بالقسط والعدل معهم لذلك يجب أن نحكم شرع الله فينا قبل أن يصل الحكم إلى الحاكم وأن يكون كل الناس أمام الحق سواء حتى وإن كانت فاطمة بنت مُحمد ﷺ فعن أم المـؤمنين عائـشة رضي الله عنها قالت جحدت مخزومية متاعاً – هي فقط لم تـرد شيئاً اقترضته من جارة لها لم تسرقه إنما أبت أن ترده أو ماطلت في رده – فقدمت إلى رسول الله ﷺ وقومها أشراف وقالوا أتقطع يد واحدة منا بالسرقة إنه أمر مهين وذهبوا إلى أسامة بن زيد ﷺ ليشفع لهم عند رسول الله ﷺ فغضب منه رسول الله وقال له يـا أسامة أتشفع في حد من حدود الله والله لو سرقت فاطمـة بنـت مُحمد لقطع مُحمد يدها إنما هلك من كان قبلكم إذا سـرق فـيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " وهذا للأسف ما نراه بيننا هذه الأيام نجد سرقة بالملايين والمليـارات ولا حكم فيها ولا حساب وإذا سرق ضـعيف ليأكـل صـدرت الأحكام بالسجن والتنكيل لذلك كان البأس بيننا شديد

وأبو بكر الصديق ﷺ عندما تولى الأمر في الأمـة بعـد رسول الله ﷺ قال للناس الدستور الإسلامي الذي سـوف يـسير عليه قال القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له .

وإن ذلك والله هو ما يحدث عكسه تماماً هذه الأيام فـإن الحقوق إذا صدر بها حكم من الحاكم فلا يباح لك أكلها وذلك هو الذي قاله رسول الله ﷺ في حديثه لأن الذين لا يحكمـون فيمـا بينهم شرع الله يكون الكذب والبهتان شيئاً عادياً وأكـل أمـوال الناس بالباطل مستباحاً وشهادة الزور لها ما يبررها .

إذا حكمنا فيما بيننا شرع الله عز وجل تسود الرحمة فـي المجتمع والمودة وما أكثر آيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ التي تؤكد هذا المعنى فإن الله عـز وجـل يقـول ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [[الأنعـام:١٥١ – ١٥٢]] إذا تعاملنـا بهـذه الآيات وحدها ما وجدنا بين الناس عدواناً على بعضهم وما أكـل أحد مال أحد بل تكون الحقوق مصانة والمجتمع كلـه آمـن ولا يكون بيننا بأس شديد .

يقول قائل :

مـن شــرعة الله كــان انطلاقهــم

مــن يرعــى شــرعته فــالله يرعــاه

كانوا على شفا حفرة وما اعتصموا

إلا بـــشرع علـــيهم أنـــزل الله

ومــن يكــن بكتـاب الله معتـصماً

فلـن يخيـب مـدى الـدهر مسعاه

ورسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجــل أوحـــى إلـــيّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغ أحد على أحد .

والله عز وجل يقــول ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [[الحجرات : ١٣]]

المساواة في الإسلام

إن دين الإسلام لا يفرق بين الناس بسبب اللون أو العـرق أو الجنس أو العقيدة إنما الناس في دين الإسـلام كلهـم سـواء والتفاضل بينهم يكون بقربهم من الله عز وجل أو بعدهم عنه أما أن يكون التفاضل بالمال أو الغنى أو بالحسب والنـسب أمـا أن يكون التفاضل بالعلو بأن ذلك رئيس وذلك من الرعية فإن ذلـك تأباه عقيدة الإسلام فإن الله عز وجل يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [[النساء:١]] الخلق كلهـم مـن نفس واحدة أبوهم واحد وأمهم واحدة فإذا كان الأمر كذلك فـإن الأبيض والأسود وإن الأحمر والأصفر إنما هم كلهم مـن نـسل واحد ومن طينة واحدة لأن الله عز وجل يقـول ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ [[الروم: ٢٢]] الله عز وجل هو الذي جعل تبـاين واخـتلاف فـي الألسنة والألوان إنما الإنسان هو الإنسان والبـشر هـو البـشر لاتنظر إلى لونه أو لهجته ولكن تنظر إلى هل هو تقي أم شـقي، وإن دين الإسلام جعل العبادة فيه تساوي بين الناس وللنظر إلـى الحجيج إنهم يطوفون في ثوبين أبيضين الأمير والغفير، الغنـي والفقير من يستطيع منهم أن يشتري أغلى الحلل ومن لا يستطيع إنما هم يطوفون في ثياب متشابهه فإذا أراد ملك من الملـوك أن

يطوف في حلة مختلفة فإن إحرامه هذا وطوافه هذا مردود عليه إلا أن يكون لأمر من الأمور التي تجيز له أن يلبس فيها المخيط عذراً من مرض أو غيره، وفي ذلك الطواف إنما الخلق كل الخلق أمام الله عز وجل سواء وجبلة بن الأيهم كان ملك من الملوك عظيماً في دولته ومهاباً وعندما أسلم وجاء إلى الحج طاف بين الناس وإذا به قدمه تطأ على قدم رجل من الناس الذين يطوفون بجواره فكان القصاص لا محالة فأراد ألا يطوله هذا القصاص فأبى عمر بن الخطاب ﷺ وقال له إنما أنت والناس سواء .

وكذلك إذا صلينا واستوت الصفوف فإننا لا ننظر إلى من يكون في الصفوف الأولى ومن يكون في الأخيرة فالذي أحق بالصف الأول الذي جاء مبكراً حتى وإن كان أفقر الناس وأدناهم منزلة والذي يأتي من الأغنياء أو أصحاب المناصب متأخراً فهو في الصف الأخير وإذا وقف الأمير مع الغفير في صف متجاورين لا يستطيع ذلك الأمير أن يقول للفقير ارجع إلى الخلف فإن ذلك لا يحل له إنما الصفوف أمام الله سواء والله عز وجل لا ينظر إلى صورهم ولا إلى أموالهم إنما ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم، وفي يوم من الأيام أبو ذر ﷺ اشتد به الغضب فعير رجل أسود عيره بأمه قال يا بن السوداء وسمعها رسول الله ﷺ فقال له يا أبا ذر إنك أمرئ فيك جاهلية كف الصاع كف الصاع – أي امتلأ الكيل أي أن الوزر عليك أصبح عظيماً – إنه ليس

لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى، أبو ذر ينام علــى الأرض ويضع خده ويقول للرجل الذي عيره بأمه يقول له ضــع قــدمك على خدي حتى تكون كفارة له من الذنب الذي وقع فيه .

عندما دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً وطهر الكعبــة مــن الأصنام أمر بلال بن رباح ﷺ أن يصعد فوق سطح الكعبة ليرفع كلمات الأذان وبلال إنما هو عبد حبشي أسود اللون غليظ الشفتين ولكنه كان ثلث الإسلام فكيف تعلم وكيف علمنا لأنه في يوم مــن الأيام ما كان على الأرض مؤمن إلا رســول الله ﷺ والــصديق وبلال فكان الأسود الحبشي إنما هو ثلث الإسلام كما أنه كان من أكبر العلامات في هذا الدين التي تبين وتؤكد أن ديــن الإســلام يساوي بين البشر ولا يجعل فروقاً بين الناس على أســاس مــن جنس أو لون وذلك لأن بلال ﷺ كان عبداً رقيقاً فكان صــحابة رسول الله ﷺ يشيرون إلى أبي بكر ويقولون هذا ســيدنا أعتــق سيدنا – أي سيدهم أبو بكر أعتق سيدهم بلال بن رباح رضي الله عنهم جميعاً – ويصعد على ظهر الكعبة ليرفع كلمات الأذان وإذا باهل الشرك الذين كانوا على أشدهم ولم يدخلوا في دين الإسلام بعد يقولون ألم يجد مُحمداً غير هذا العبد الأسود ليــصعد علــى ظهر بيت الله الحرام وسمعها رسول الله ﷺ فجمع النــاس كــل الناس أمامه وقال أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد وإن أكرمكم عند الله أتقاكم لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أســود ولا لأســود علــى أحمــر

إلا بالتقوى ثم يقول ألا قد بلغت قالوا بلى يا رسـول الله فليبلـغ الشاهد منكم الغائب ثم يتلو قـول الله عـز وجـل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [[الحجرات : ١٣]] ثم يقول لينتهين أقوام عـن فخـرهم بآباء إنما هم حطب من حطب جهنم أو ليكونن كالجعلان ترفـع بانفها النتن .

تلك هي تعاليم دين الإسلام الناس كل الناس أمام الله عـز وجل سواء فإذا كان ذلك ملك أو أمير أو زعيم أو رئيس أو حاكم كان في أي من الديانات الأخرى أو الملل إنما كان يقول للنـاس أنا ربكم الأعلى وما أريكم إلا ما أرى ومـا أهـديكم إلا سـبيل الرشاد ثم يكون بعد ذلك الهلاك لهم فليس مهماً عنده كما كان في الغرب وفي عهد حديث من يكون من رؤساء الدول العظمى مثل هتلر أو من على شاكلته فقد كان ذلك نهج كل قوي مـن الـذين على غير دين الإسلام أما في دين الإسلام فإن مُحمداً عليه أفضل الصلاة والسلام الذي هو أول حاكم لدولة الإسلام يقول ويقولهـا مسطرة في كتاب الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [[الكهف: ١١٠]]

الزعيم والقائد والأمير والحاكم في دين الإسلام ماذا يقـول للناس يقول كما قال أبو بكر الصديق ﷺ وُليت علـيكم ولـست بخيركم إن أحسنت فأعينوني وإن أسات فقوموني الضعيف فـيكم

قوي حتى آخذ الحق له والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم.

وعمر بن الخطاب ﷺ وهو أمير لهذه الأمة يقول أيها الناس ما تقولون لو أن عمر قال رأيت امرأة ترتكب الفاحشة – هو يمتحن الأمة – وقف له علي بن أبي طالب ﷺ وقال له والله يا أمير المؤمنين أما تأتي بأربعة يشهدون وإما أقمنا عليك حد القذف فإنك وكل المسلمين سواء، وتلك هى المساواة بين الناس في دين الإسلام حتى وإن وقع أمير المؤمنين الحاكم في ما يوجب عليه حد القذف نُفذ فيه .

وعمر بن الخطاب ﷺ يرسل لأحد الولاة على أحد الأقاليم وكان أبو موسى الأشعري ﷺ يقول له يا أبا موسى أعلم أنك واحداً من الناس لست أشرف منهم ولا أعلى منهم منزلة إنما جعلك الله عز وجل أثقلهم حملاً، الفرق هو المسؤلية الملقاة على عاتقه .

وكذلك لم تكن المساواة في دين الإسلام بين أهل الإسلام فقط ولكنها أبعد من ذلك ففي أحد الأيام وقع خلاف بين علي بن أبي طالب ﷺ وهو أمير للمؤمنين وحاكماً للدولة وبين رجل يهودي فكان عليهما أن يحتكما إلى القضاء ليفصل بينهما فذهبا إلى القاضي فماذا حدث أمام القاضي نادى القاضي على اليهودي باسمه ثم نادى على أمير المؤمنين بكنيته قال له يا أبا الحسن فتغير وجه علي ﷺ فسأله القاضي لماذا يا أمير المؤمنين هل

لأني أردت أن أجلسك بجوار خصمك فقال لا ولكنك ناديته باسمه وناديتني بكنيتي فما سويت بيننا .

وكذلك يأتي رجل قبطي من مصر إلى عمر بن الخطاب ﷺ يشكو إليه من واليه في مصر عمرو بن العاص ﷺ لأنه أقيمت مسابقة بين بن عمرو بن العاص وبين بن الرجل القبطي فسبق بن الرجل القبطي بن عمرو بن العاص فضربه بن عمرو وقال له أتسبق بن الأكرمين فجاء عمر بن الخطاب ﷺ بعمرو بن العاص وابنه وقال للقبطي اضرب بن الأكرمين وهو يقول متى استعبدتم الناس وقد خلقتهم أمهاتهم أحراراً .

ويقول رسول الله ﷺ رب أشعث أغبر مدفوعاً بالأبواب لو أقسم على الله لأبره .

إن دين الإسلام جاء ليسوي بين الناس وينبذ العنصرية البغيضة بكل أشكالها لذلك رد الإسلام ورد رسول الله ﷺ على اليهود والنصارى الذين يفخرون ويقولون أنهم من جنس مختلف وأنهم بشر غير البشر فقال لهم الله عز وجل ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [[البقرة: ١١١]] يقولون نحن أهل الجنة وأصحابها ولا يدخلها غير يهودي أو نصراني وجاء ذلك القول على لسان واحد من أحبار اليهود لرسول الله ﷺ وجاءه كذلك بعض أحبار اليهود فأخذ يعظهم ويذكرهم لعلهم يتقون ويخوفهم

بالدار الآخرة فقالوا له أتخوفنا وتحذرنا يا مُحمد فنحن أبنـــاء الله وأحباؤه فنزل قول الله عز وجـــل ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [[المائدة: ١٨]] إنما هم بشر مثلهم مثل كل البشر لا فضل لهم عنـــد الله إلا لمن اتبع دينه لأن الله عز وجل يقول ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [[البقـــــــرة: ١٣٥]].

واليهود يقولون نحن شعب الله المختار لذلك هم يغتصبون أموال الناس كل الناس من غير اليهود وكذلك الزنا لهم مباح بأي امرأة غير يهودية لذلك هم يمارسون الزنا والفجور لأن عنـــدهم المرأة إذا زنت بغير اليهودي ما كانت زانية لـــذلك نجـــد أكثـــر اليهوديات يتم استعمالهن في الفاحشة والفجور .

وكذلك قالت اليهود ليس علينا في الأميين سبيل فقال رسول الله ﷺ كذبت يهود كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هـــاتين موضوع إلا الأمانة فإنها مؤداة لكل بر وفاجر .

كانت عنصرية في الحرب العالمية الثانية من الألمان لمـــا قالوا نحن أصحاب الدم المميز على سائر البشر والدم الألمـــاني هو أنقى الدماء ونحن أعلى شأناً فأهلكهم طاغيتهم وأوردهم إلـــى الهلاك .

واليوم يقول حكام أمريكا نحن سادة العالم لذلك عندما اتفقت كل الدول على وضع محكمة دولية يحاسب فيها أي إنسان إذا ارتكب أي جرائم أثناء الحروب أو حتى في حق شعبه أما إذا ارتكب تلك الجريمة الأمريكان فإنه لا يخضع لهذه المحكمة واستصدروا من الأمم المتحدة قراراً يعفيهم من ذلك فأي عنصرية بغيضة تمارسها تلك الدولة لذلك خرج علينا القائد الجديد لسجن أبو غريب في العراق يقول إنكم تقولون إن سجن أبو غريب كان مسرحاً لإنتهاك حقوق الإنسان فأين هو الإنسان إنهم حيوانات والله أخوة الإسلام ما هى من عندنا إنما جاءت في الصحف ووسائل الإعلام قال وأعلن إنهم ليسوا من البشر وإنما هم كلاب فإذا عذبوهم لا يقعوا تحت طائلة القانون الدولي وما انتهكوا حقوق الإنسان .

بينما نجد في دين الإسلام كما يقول علي بن أبي طالب ﷺ نهى رسول الله ﷺ عن المُثلى ولو بكلب عقور، إن الناس كل الناس في دين الإسلام سواء حتى وإن كان محارباً فله حقوق .

والله عز وجل يقول ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [[مريم:٩٣-٩٥]]

ولقد مرت في يوم من الأيام جنازة أمام رسول الله ﷺ وهو جالس فقام واقفاً فقال له أصحابه يا رسول الله إنها جنازة يهودي فقال لهم أليست نفساً .

نفساً خلقها الله عز وجل فأنا أقف لجلال الله وصنعته .

الوحدة والتضامن

إن رسول الله ﷺ جاء ليجمع القلب إلى القلب ويضم الصف إلى الصف لتكون شجنة قوية لتكون روابط قوية بين أهل الإسلام والإيمان ليكونوا يداً واحدة على من عاداهم ويتكاتفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جعل الله عز وجل تلك الأمة أمة متراحمة بينها وبين بعضها وشديدة على أعداءها أذلة بينها وبين بعضها وجبارة على من يحاول أن يؤذي واحداً منها .

ورسول الله ﷺ كان من أول ما يهدف إليه عند دخوله المدينة أن يجعل هؤلاء الناس وكأنهم لبنة واحدة وأن يذهب بما فيهم من شقاق يجعلهم في ربطة واحدة وفي تعاون وألفة وكان له مان كان بإذن الله عز وجل الذي يقول ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [[الحشر:٩]] فكانت الألفة والمودة بينهم حتى كان الواحد من الأنصار يأتي بماله كله ويضعه أمام المهاجرين يقول لرسول الله أقسم أموالنا وزراعتنا وكل ما نملك بيننا وبين إخواننا فيرد المهاجرون الإحسان بالإحسان بل نكفيكم العمل ونشارككم في الثمرة ذلك هو التآلف بين القلوب، والذين يتربصون بدين الإسلام لا تعجبهم تلك الخصال وإنما توغر صدورهم لأنهم يعلمون أن في هذا التآلف قوة وعزة ومنعة يستحيل لهم معها أن يهزموها بل

تكون لهم الهزيمة والهلاك ولذلك مر رجل من اليهود الذين يتربصون بهذه الأمة على مدى الأزمان لا يريدون لها سعادة ولا تقدم ولا عزة فماذا يصنعوا إنما أوغروا الصدور وأتوا بما كان بينهم من أحقاد في الجاهلية والله عز وجل بقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [[آل عمران:١٠٠]] ولكنهم أطاعوا صوت الفتنة التي كادت أن تشعل نار الحرب بينهم ولكن رسول الله ﷺ الذي جاء ليؤلف بين القلوب ويجمع الصفوف ويوحد الأمة إنما انتصر عليها وأطفأ نارها في مهدها بعد أن دعا كلاً من الفريقين إلى السلاح فقال لهم رسول الله ﷺ أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم أتركوها فإنها منتنة .

إن الفرقة بين أهل الإسلام والشقاق والتناحر بينهم هو من أمور الجاهلية لأن في الفرقة ضعف وتمكن لأعداء تلك الأمة وفي الجماعة رحمة وعزة كما قالها رسول الله ﷺ " الجماعة رحمة والفرقة عذاب " وكما قال أيضاً " يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار " يد الله وقوته مع جماعة أهل الإسلام والإيمان ومن خرج عنها كان من أهل النار يصلاها عذاباً نكالاً .

تلك الأمة عندما تجمعت وكانت يداً واحدةً وكان رسول الله ﷺ قائدها الذي لم يغادر الدنيا حتى ارتعدت منه فرائس دولة الروم ودولة الفرس كانت الرابطة الربانية تجمع هذه الأمة على أيام رسول الله ﷺ وفي عهد أبى بكر الصديق ﷺ الذي أطفأ نار

الفتنة في مهدها ورد كيد المرتدين وجعل الدين يستقيم وتجتمع الجماعة وتتآلف كما كانت ثم كان عهد عمر بن الخطاب ﷺ الذي قال فيه القائل عندما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً وعندما مات عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً .

ومع الوحدة والتضامن كان انتشار دين الإسلام واتساع رقعة دولته ففي عهد عمر بن الخطاب ﷺ وصلت الدولة الإسلامية إلى حدود روسيا والصين شمالاً وإلى الصومال وأثيوبيا وأريتريا جنوباً وإلى شمال أفريقيا غرباً وكانت راية الإسلام عالية خفاقة وفي عهد عثمان بن عفان ﷺ الذي استلم دولة متوحدة مترابطة مجتمعة قوية ومترامية الأطراف فكانت من أهم الفتوحات في عهده الوصول إلى قبرص وعبور البحر إلى حدود القسطنطينية حتى أن قبر أبو أيوب الأنصاري ﷺ كان على تلك الحدود وذلك إنما بفضل الوحدة والتآلف والترابط بين أفراد تلك الأمة تجتمع تحت راية واحدة وقائداً واحداً ولها جيش ينطلق في المشارق والمغارب يفتح البلاد كلها أمة لها كلمة واحدة تخرج من كتاب الله عز وجل ومن أحاديث وسنة رسول الله ﷺ

والذين لا يريدون لهذه الأمة مجداً ولا تقدماً ولا علواً الذين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ومنهم عبد الله بن سبأ اليهودي فماذا صنع وهو الذي كان يضمر الحقد والغل والكراهية

لدولة الإسلام وفي عهد أمير المؤمنين عثمـــان ﷺ نظــر يمينـــاً ويساراً وشرقاً وغرباً فما وجد إلا أسوداً وقوة ودولـــة مترابطـــة قوية يحب أفرادها بعضهم بعضاً بهذا الدين الذي تربـــوا عليـــه فماذا يصنع هذا العدو دخل في الإسلام وتظاهر أنه مـــن أهـــل الإسلام ثم أخذ يشيع في الناس الفرقة والفتنة يحـــاول أن يحطـــم هذه الدولة ويوقف نموها وتقدمها ولم يفعل شيئاً إلا أنـــه أوغـــر الصدور وأفسد الدين وكان معه طائفة من الناس من الذين قلوبهم مذبذبة من ضعاف العلم والمعرفة وأول ما قال للناس يريـــد أن يفسد العقيدة فما كان بعدها كان سهلاً ميسراً فقال للنـــاس ألـــيس مُحمد ﷺ أفضل الخلق وأفضل البشر وأن عيسى أقل منه مكانـــة وسوف يعود مرة أخرى فكيف لا يعود مُحمداً ﷺ وأهل الإســـلام يعلمون انه لو كان كذلك لقالها لهم رسول الله ﷺ ثم يقـــول لهـــم الثانية هو يريد أن يحطم العقيدة في نفوس هؤلاء فقال إذا كـــان مُحمد ﷺ نبي فإن لكل نبي وصي ووصي مُحمد ﷺ هو علي ﷺ وبهذه اشتعلت الفتنة بين الناس ووصلت إلى عثمان ﷺ الذي كان يريد أن يجمع بين القلوب فقال أيها الناس إن تـــستجيبوا للفتنـــة فإنكم لا تصلوا جميعاً بعدي – يقصد أن الجماعات لن تُقام بعدي ولن تكونوا يداً واحدة – وكان ما كان من أمر تلك الفتنـــة التـــي نالت من وحدة تلك الأمة ومن قوتها فكانت الفتوحات التي بعدها لا تقارن نسبتها بما كانت عليه قبلها، لذلك كان رسول ﷺ يـــأمر بالوحدة والتآلف بين الناس ويحببهم فيها ويحذرهم مـــن الفرقـــة

والشقاق والاختلاف ويقول عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية " لا يأكل الذئب من الغنم إلا التي شردت عن الجماعة وخرجت عنها، ورسول الله ﷺ يقول الإثنان خير من الواحد والثلاثة خير من الإثنان والأربعة خير من الثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لا يجمع أمتي على ضلال " والله عز وجل يقول ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [[التوبة: ٧١]] فما أقوى من أن تجمع الناس رابطة الإيمان ويجمعهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فإذا فعلوا ذلك فإنهم في رحمة الله عز وجل فإن العبادات التي أمرنا بها الله عز وجل من شأنها أن تزيد من الألفة بين الناس وتجعل الروابط بينهم قوية متينة فقد حببنا رسول الله ﷺ في صلاة الجماعة وقال صلاة الرجل في جماعة تضاعف على صلاته في بيته أو سوقه بخمسة وعشرين ضعفاً " ثم إذا جاءت صلاة الجمعة كانت الجماعة أكبر وجعل الله بها مغفرة وحسنات ومحو سيئات فعن سلمان الفارسي ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ ما من رجل يغتسل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهن أو يمس من طيب بيته ثم يخرج لا يفرق

بين اثنين ثم يصلي ما كُتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا كانت مغفرة له إلى الجمعة التي تليها "

يدلنا رسول الله ﷺ ويعلمنا أن صلاة الجماعة تغفر الذنوب وتؤلف بين القلوب وتجعل بينك وبين أخيك قوة وألفة فإنه يقال المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ثم إذا كانت صلاة العيد فإن تلك الجماعات التي كانت في المساجد يأمرنا رسول الله ﷺ أن تجتمع تلك الجماعات في ساحة متسعة في خلاء حتى يكون العدد أكبر والرابطة أعلى والتفاهم والحب أعظم، فإذا كان رمضان اجتمعت الأمة كلها على فريضة الصيام تمتنع عن الطعام في ساعات محددة ثم على افطار في وقت واحد وكذلك تجتمع على سحور وعلى صلاة القيام، ثم إذا كان الحج فإنه يكون التجمع الأكبر فإنها الوحدة الأعظم فإذا اجتمعت أمة الإسلام على كل هذا الخير العظيم فبإرادة الله عز وجل لن يكون من وراء هذا التجمع إلا الخير العظيم .

إن دين الإسلام يوحد بين الناس حتى وهم من أجناس مختلفة وأعراق وألسنة مختلفة وما منعهم ذلك عن التآلف والوحدة والحب وكان المثل والنموذج على ذلك في عهد رسول الله ﷺ وهو العربي القرشي جاء إلى المدينة وفيها اليثربي وكان فيها بلال الحبشي وكان فيها صهيب الرومي وكان فيها سلمان الفارسي فكانت هذه أمة مُحمد ﷺ تجمع أهل الأرض جميعاً والله عز وجل يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ

لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [[الحجرات:١٣]] فكان ذلك هو الميزان الذي تقوم عليه الرابطة القوية بين الناس والتآلف على حسب العقيدة وحدها، فقد كان رسول الله ﷺ يقول عن سلمان الفارسي وهو فارسي يقول سلمان منا آل البيت فإن الذي جعله منهم أنه قال لا إله إلا الله مُحمد رسول الله الذي جعله من آل بيت مُحمد أنه كان من الموحدين المتقين من الذين رضي الله عنهم .

إن تلك الأمة لو أراد الله عز وجل لها أن تتجمع وتكون دولة واحدة فإنها لن تحتاج لأحد غيرها أبداً لأن الله عز وجل أكرمها بمصادر للثروات لا حدود لها وكان ذلك الفضل من الله هو أحد أسباب العداء والحقد من غيرها من الأمم فعملوا كل جهدهم حتى تكون تلك الأمة في فرقة وضعف حتى يسهل استعمارها ونهب ثرواتها كل منها على حدة لأن في تجمعها قوة لا يقوى عليها الأعداء أما إذا كانت منفردة مثل الغنم الشاردة فيسهل أكلها والقضاء عليها من الذئاب .

ويقول القائل :

تأبى الرماح إذا أجتمعن تكسرا

وإذا تفرقن تكسرت أحادا

إن دين الإسلام يوحد ولا يفرق ومن عوامل الوحدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون أهل الإسلام يداً واحدة على

أعداءهم وترتفع بهم راية الإسلام عالية إن الله على كـــل شـــيء قدير .

وقد وضع لنا رسول الله ﷺ القاعدة أو القانون الذي يؤدي بنا إلى تلك الوحدة والقوة في حديث له يأمرنا بـــالخير ويحـــضنا عليه فقال إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث – يحـــذرنا مـــن الظن السيء لا تظن بأخيك سوءاً حتى تتيقن – ثـــم يقـــول ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاســدوا ولا تباغــضوا ولا تـــدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله عز وجل " تلـــك الأســـس التي وردت في هذا الحديث إذا اتبعناهـــا أدت بالـــضرورة إلـــى أشاعة الحب والرحمة والتعاطف والوحدة والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد بين أفراد الأمة الواحدة وساد بينهم الـــسلام والعدل فإن رسول الله ﷺ يقول المسلم أخـــو المـــسلم لا يظلمـــه ولا يخذله ولا يحقره " وهذا من شأنه أن يرتقي بالأخلاق ويزيـــد من الألفة بين الناس وقد نهانا عن الإحتقار لأنه يـــسبب العـــداوة بين الناس ومفتاح للحسد والتباغض لأن من كـــان فـــي حاجـــة المسلم كان الله في حاجته وكل المسلم على المسلم حـــرام دمـــه وماله وعرضه التقوى ها هنا التقوى ها هنا فإن التقوى ليس فيها ادعاء أو قول باللسان إنما هى عمل وفعل ملموس وواضح – ثم يقول أيضاً ولا يبع بعضكم على بيع بعض ولا يحـــل لمـــسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث " أليس كل ذلك من شانه أن يؤلـــف بين القلوب .

ويقول رسول الله ﷺ ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً من أم قوم وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وأخوان متصارمان " وذلك من شأنه أن يقلل العداوة بين أفراد المجتمع الواحد ولا تزيد بل تنتهي كما يقول رسول الله ﷺ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .

ويقول الله عزوجل ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [[الأنفال:١]] الصلح بين الناس من أفضل الأمور وأعظمها ورسول الله ﷺ يقول ألا أنبئكم بدرجة أعلى من درجة الصلاة والصيام قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر وإنما تحلق الدين . "

إن أعداء الأمة لن يتركوها تتوحد وتتجمع وتتكاتف لأنهم يعلمون ما في التجمع من قوة وعزة ونصر لهذه الأمة .

وفي حديث عن أبي ثعلبة ﷺ قال كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والوديان فقال رسول الله إنما تفرقكم من الشيطان فكانوا إذا نزلوا بعدها منزلاً أنضم بعضهم إلى بعض حتى لو إنهم وضع عليهم ثوب لأظلهم .

إن الإصلاح بين الناس والتوسط بينهم لأنهاء خصومة من الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل حتى يسود الوئام بين الناس وتنتهي الخلافات التي تؤدي إلى تفرق الأمة .

الحج مؤتمر المسلمين

إن نبي الله إبراهيم عليه السلام بنى بيت الله الحرام بـإذن الله عز وجل كما يقـول الله ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ [[الحج: ٢٦ – ٢٨]] حتى إذا ارتفع هذا البيت يكون أول بيت لله عز وجل يُعبد فيه وأمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج لكي يهرعوا إلى هذا المكان لكي يؤدوا فريضة الحج فقال إبراهيم كيف يصل صـوتي إليهم فقال له الله عز وجل كما قال عبد الله بن عباس ﷺ عليـك الأذان وعلينا البلاغ فوقف إبراهيم على المقـام ونـادى بـأعلى صوته أيها الناس إن الله عز وجل اتخذ بيتاً في الأرض فحجـوا إليه فقال عبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة فتواضعت الجبـال حتى وصل صوت إبراهيم إلى أرجاء المعمورة وحتى وصل إلى من في الأصلاب ومن في الأرحام وأجابه كل خلق الله من حجر وشجر ومن كتب الله عز وجل له الحج إلى يوم القيامـة " كـل هؤلاء أجابوا إبراهيم لببيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، هذا كان شـأن إبـراهيم

وأما شان مُحمد ﷺ أنه فُرض عليه الحج وفُرض على أمته في السنة السادسة من هجرته .

يقول الله عز وجل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [[آل عمران: ٩٦-٩٧]] رسول الله ﷺ وقف كما جاء في حديث رواه أبو هريرة ﷺ وقال أيها الناس إن الله عز وجل فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل يا رسول الله أكل عام فسكت رسول الله ولم يجبه وكان ذلك الرجل هو الأقرع بن حابس ﷺ فأعادها ثلاثاً فقال رسول الله لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم ذروني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبياءهم إذا أمرتكم بشيء فأدوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فلا تقربوه .

إن الله عز وجل جعل لهذا الحج جوائز منها أن الحج يكفر الذنوب ويعود الحاج الذي خرج مخلصاً لوجه الله وبنفقة طيبة يعود كما ولدته أمه خالياً من الذنوب والأدران وكان ذلك جزاؤه الجنة لأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وقد سُئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم أي قال جهاد في سبيله قيل ثم أي قال حج مبرور والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " وقال رسول الله ﷺ من حج فلم يرفث أو يفسق

خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " فكانت تلك من الأمـــور التـــي جعلها الله عز وجل ترغب الناس في الحج إلى بيت الله الحـــرام حجاجاً وعماراً لكي تطهرهم من الذنوب وتغسل مـــنهم الأدران، ثم كانت هناك جائزة أخرى وترغيباً آخر أن الحاج والمعتمر إنما هو في وضع المجاهد وله ثواب المجاهد فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال لكنّ جهاد لا شوكة فيه الحج والعمرة ولا سلاح فيـــه ولا حرب فقالت فلا أدع الحج والعمرة بعد أن سمعتها من رسول الله ﷺ، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال إني رجل ضعيف لا أستطيع أن أخرج إلى الجهاد فبما تأمرني قال له عليك بالحج فإنه جهاد الضعيف والشيخ والمرأة " ويقول رسول الله ﷺ النفقة فـــي الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة " وتلك كانت جـــائزة أخرى وفضل من الله عز وجل عظيم، وإن الذي يتوفاه الله فـــي الحج أو العمرة إن كان خرج بنية خالصة وبنفقة طيبة فإنه يكون شهيداً فقد قال رسول الله ﷺ وقد أشار إلى بيت الله الحرام وقـــال إن هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر ضمن الله عز وجل له إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة " وقد ورد في صحيح البخاري أن رجلاً وهو في ملابس الإحرام وهو على عرفات ضربته دابة فمـــات فقـــال رسول الله ﷺ كفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه ولا تمسوه طيباً فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً .

لماذا كانت تلك الجـوائز العظيمـة لمـن خـرج حاجـاً أو معتمراً لأن الله عز وجل أراد أن يجعل مـن هـذا المكـان مجتمعاً تجتمع فيه الأمة كلها والترغيب فيه كان حتى لا يتقاعس المسلم من أمريكا أو من الصين أو من أي مكـان علـى وجـه الأرض أن يأتي إليه حتى يجتمعوا في ذلك المكان من مختلـف الألسنة والأجناس والألوان والأعراق إنما الذي جمعهـم أخـوة الإسلام واستجابة لأمر الله عز وجل .

وتلك المناسك التي أمرنا الله بها في الحج لا تخلـو مـن المنافع كما قال الله عز وجل في الآية فكان مـن ضـمن تلـك المنافع منافع لدينهم ودنياهم فـي جمـع شـمل الأمـة وتنحيـة الخصومة بين أفرادها حتى تكون الرابطة قويـة بيـنهم وحتـى يرهبهم الأعداء فإن أعداء الأمة ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالعمل الدؤب على زرع الفرقة والشقاق بين شعوب الأمة لكـي يضرب بعضهم رقاب بعض فكان الحج إنما هو مؤتمر سـنوي تجتمع فيه الأمة لتتدارس أحوالها وتخرج بالحلول لمشكلاتها فإن رسول الله ﷺ في حجة الوداع وقف خطيباً في الناس فقال أيهـا الناس خذوا عني مناسككم واسمعوا مني أبين لكم لعلي لا ألقـاكم بعد عامي هذا في مقامي هذا أيها النـاس إن أمـوالكم ودمـائكم وأعراضكم عليكم حرام حكرمة يومكم هذا في بلدكم هـذا فـي شهركم هذا ثم أعطى ما يؤلف القلوب وما يمنع الشقاق جرعات من الإيمان حتى وصل إلى ذلك القول أيها الناس إنما المؤمنـون

أخوة فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض – فكان النزاع والشقاق بين الأمة إنما هو كفر ولا تؤدي إلا إلى الهلاك كما قال إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة وهو ما قال لهم انكم سوف تكفرون بالله وبرسوله إنما قال لا ترجعوا بعدي كفاراً – ثم قال وتركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب – لأن من أكثر أسباب الفرقة والشقاق بين الناس تكون بسبب العصبية والقبلية والتكبر والاستعلاء والعنصرية والتعالي من فئة على أخرى .

ومن كانوا من بعد رسول الله ﷺ تعلموا الدرس منه جيداً وعلموا حقيقة أمر الله لنا بالحج فقد كان عمر بن الخطاب ﷺ في موسم الحج يجمع الأمراء والولاة في الأمة الإسلامية وهم على عرفات ويقف يستطلع أمور وأحوال كل إمارة وكل ولاية ويحاسب كل أمير أو حاكم عما فعل في ولايته ثم يقف في الناس كلهم خطيباً فيقول أيها الناس إني لم أبعث عليكم عمالي هؤلاء لكي يضربوا أبشاركم أو يأخذوا أموالكم أو يسبوا أعراضكم فمن فُعل فيه غير ذلك فليقم – كان وكأنه مؤتمر كبير يتم تدارك الأخطاء فيه وإصلاح ما نتج عنها من مشكلات حتى لا يبقى في صدر أحد ضغينة أو كراهية لأحد ويسود مرة أخرى الود والوفاق بين أفراد الأمة ولا يخرج أحد منهم عن الإجماع – فيقف رجل ويقول يا أمير المؤمنين عاملك فلان ضربني سوطاً

ظلماً فيستدعي هذا الحاكم ويأتي بالشهود على ما قالــه الرجــل ويتأكد من الظلم فيقول للرجل خذ هذا السوط فاستقد منه، وكــان عمرو بن العاص حاكماً لمصر فقال يا أمير المؤمنين كيف نحكم الناس إذا ضربناهم ضربونا فقال له اسكت يا عمرو فإن رســول الله ﷺ استقاد من نفسه – مُحمد ﷺ يطلب من الخصوم أن يأخذوا حقهم منه في الدنيا وهو الذي غفر له الله ما تقدم من ذنبه ومــا تأخر وهو صاحب الجنة كلها المائة درجة فيها حتى الفــردوس الأعلى وهو الذي كلمه الله عز وجل ونظر إليه كان ذلك مُحمــد عليه أفضل الصلاة والسلام وقبل أن يموت يخرج على النــاس ثلاثاً ويقول أيها الناس من كنت جلت له ظهــراً فهــذا ظهــري فليستقد منه ومن كنت أخذت منه مالاً فهذا مالي فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليــستقض منــه – فكانــت المنافع في الحج أن تجتمع الأمة كلها على كلمة واحدة وما وصل حال أمة الإسلام إلى ما وصلت إليه إلا بسبب الفرقة والــضعف فأصبح ضرب أوصال الأمة سهلاً ميسراً لأنها أضــحت فــرادا وليست جماعة كما أوصاهم وأمرهم بذلك ديــن الإســلام ولــن يستطيعوا رداً لهذا العدو إلا بالعودة إلى الجماعة حتــى وإن لــم يكن معهم سلاح فإن الله عز وجل وعــدهم بالنــصر إذا كــانو جماعة كما قال رسول الله ﷺ يد الله مع الجماعة .

وما كانت فريضة الحج لكي يذهب إلى الحــج الــضعاف الذين لا يستطيعون سيراً ولا بهم من قوة إنما الأولى بها هم ولاة

الأمور في الأمة حتى يكون مؤتمراً للدول العربية والإسلامية في كل بقاع الأرض لكي يجتمعوا على كلمة سواء .

ويقول الله عز وجل ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [[آل عمران: ٩٣]] ثم يقول الله عز وجل ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [[آل عمران: ٩٦-٩٧]] تلك الآيات إنما جاءت وسط آيات تتحدث عن بني إسرائيل وقد قال الله عز وجل في آيات بعدها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [[آل عمران: ١٠١]] تلك الآيات كانت لها قصة وهى أن رجل من اليهود كان من أشد ما يكون عداوة وحقداً لدين الإسلام وجد قبيلتي الأوس والخزرج قد أسلموا وذهب ما كان فيهم من عصبية وقتال وتناحر وشقاق وحروب لا تنتهي وأصبحوا إخواناً فجعل واحداً من شباب اليهود معروف عنه إلقاء الشعر يقول ما يثير الأحقاد القديمة بينهما من أشعار جاهلية كانوا يتناقلونها فيما بينهم كانت تغري الأوس على الخزرج وتغري الخزرج على الأوس فما كان منهم إلا أن أخذتهم الحمية حمية الجاهلية وتشابكوا بالأيدي ونادى كل فريق

الحرة الحرة السلاح السلاح ووصل الأمر إلـــى رســـول الله ﷺ فيسرع إليهم ويقول كلمات معناها - أبعــد أن هــداكم الله إلـــى الإسلام وألف به بين قلوبكم ونزع عنكم أمور الجاهلية تعــودوا بعده كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فعلم الناس إنهـــا نزعـــة شيطان وعادوا إلى رشدهم وتعانقوا، فعندما رتب الله عز وجـــل آيات القرآن جعل هذه الآيات بعد آيات الحج لكي يقـــول لنـــا أن بالحج تتآلف القلوب وتتوحد الأمة لكي لا تقع فريسة للفرقة كمـــا حدث سابقاً بين الأوس والخزرج فكـــان الكفـــر هـــو الـــشقاق والضغائن وما كان كفراً برسالة مّحمد ﷺ وكيف يكون بيننا شقاق ونحن عندنا كتاب الله عز وجل وفينا رســـول الله ﷺ فإنـــه فينـــا بسنته وأحاديثه وما أمر به ونهى عنه وبسيرته العطرة هادية لنا في كل أمور الحياة حتى نحظى بالسعادة في الدنيا والآخرة .

الحرب في الإسلام

في السنة الثانية من هجرة رسول الله ﷺ وفي شهر شعبان نزل الأمر من السماء بفرض الجهاد على أمة مُحمد ﷺ نزل قول الله عز وجل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [[البقرة: ٢١٦]] والله عز وجل ما فرض على أمة الإسلام الجهاد والقتال إلابعد أن ذاقت كل ألوان العذاب والهوان والتنكيل من أهل الكفر والشرك على مدى ثلاثة عشر سنة في مكة لمُحمد ﷺ وأصحابه فكانوا يقتلون ويحرقون وتنهب أموالهم وديارهم ورسول الله ﷺ يقول لهم صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ويأتيه خباب بن الأرت ﷺ يقول له يا رسول الله لقد نال منا الأعداء واشتد علينا العذاب ألا تدعو لنا ألا تستنصر لنا فيقول له رسول الله لقد كان فيمن قبلكم يُحفر لأحدهم الحفرة في الأرض فيوضع فيها ثم يُؤتى بالمنشار فيشق نصفين ويمشط بمقامع من حديد ما بين اللحم والعظم وما كان ذلك يثنيهم أن يقولوا لا إله إلا الله، والله عز وجل يقول ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [[البقرة: ٢١٤]] نزلت الشدة بأهل الإيمان في كل زمان وفي كل مكان حتى ظنوا أنه لا نصر

ولا تمكين ولكن الله عز وجل يبشرهم بأن النصر قريب، وآية فرض القتال كانت من أول الآيات التي نزلت في شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة فلماذا فرض الله عز وجل القتال على أمة الإسلام ؟

فُرض القتال لكي نرد كيد المعتدي إلى نحره لكي نرفع الظلم ونخرج الذين أخرجونا من ديارنا ونهبوا أموالنا يقول أبو بكر الصديق ﷺ عندما خرج رسول الله ﷺ مهاجراً أخرجوه من أحب أرض الله إلى الله نظر إلى مكة بعد أن خرج منها وقال والله إنك أحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إليّ ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت فقال الصديق إنا لله وإنا إليه راجعون، وكان أول ما نزل في شأن الجهاد قول الله عز وجل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [[الحج: ٣٩-٤٠]] كانت الأولى أنهم يُقاتلون فكيف لا يدافعون عن أنفسهم ويقتلون من قتلهم وكانوا يُظلمون فكيف لا يدفعون الظلم عن أنفسهم وأخرجوهم من ديارهم فكيف لا يحاربون من أخرجوهم في كل زمان ومكان فعندما هُدمت الصلوات في زمن موسى عليه السلام كان عليهم أن يدافعوا عنها وعندما هُدمت البيع في زمن عيسى عليه السلام كان عليهم أن يدافعوا عنها وعندما هُدمت المساجد في زمن

مُحمد ﷺ وإلى قيام الساعة فيجب عليهم أن يدافعوا عنهـا وعـن دين الإسلام وعن مقدساتهم، فإن الحرب في دين الإسلام ليست حرب اعتداء إنما هى حرب لدفع الاعتداء ورد الظالمين ورسول الله ﷺ يقول من مات دون دمه فهو شهيد ومن مـات دون مالـه فهو شهيد ومن مات دون عرضه فهو شهيد ومن مات دون دينه فهو شهيد " فكانت الحرب في دين الإسلام دفاعـاً عـن الـنفس والمال والعرض والدين والوطن لا نعتدي على أحد ولكن نـرد العدوان وندفعه في نحره فإن الله عز وجل يقول ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [[البقـرة: ١٩٠]] قال عبد الله بن عباس ﷺ وعمر بن عبد العزيز ومجاهـد إن هذه الآية محكمة لا ينسخها شيء، فإن الأمر فيها من الله عز وجل أن لا نقاتل إلا من اعتدى علينا بأي شكل كان وبأي وسيلة كانت حتى نرده خائباً لأن الله عز وجل قال فـي آخرهـا إنـه لا يحب المعتدين لذلك هى محكمة لم ينسخها شيء .

ومن عدالة دين الإسلام أنه وفي الحرب يقاتل مـن قاتلـه ويرد اعتداء المعتدي وهناك ستة أصناف مـن النـاس لا يـتم التعرض لهم بأذى حتى وإن كانوا من أهل الشرك والكفر أولهـم المرأة فإنها لا تُقتل بحال من الأحوال ففي يوم أحد يـسمع أبـو دجانة صوتاً في صفوف المشركين يحمس الناس ويحثهم علـى القتال فيذهب بسيفه إليه فإذا بها امرأة هى هند بنت عتبة فيقـول أبو دجانة فرفعت سيف رسول الله ﷺ حتى لا تُضرب به امرأة،

كما أن رسول الله ﷺ عندما وجد امراة من أهل الشرك مقتولة في الحرب فقال لهم ما كانت هذه لتقاتل لماذا قتلت " وأما الصنف الثاني الذي لا يقتل فهو الصبي لا يقتل بأي حال من الأحوال لأن رسول الله ﷺ بعد أن رأى تلك المراة المقتولة قال إلحق بخالد بن الوليد فقل له إن رسول الله ﷺ يقول لك لا تقتل امرأة ولا صبي ولا شيخاً ولا عسيفاً فجمع ذلك الحديث أربعة أصناف لا يُقتلون في الحرب في شريعة أهل الإسلام فكان الثالث هو الشيخ الكبير في السن وأما الرابع فهو العسيف أي الأجير الذي يعمل سواء كان في متجره أو حقله لا يتعرض له جيش المسلمين .

ويقول أنس بن مالك ﷺ ودع رسول الله ﷺ جيشاً فاتحاً فقال انطلقوا باسم الله وعلى بركة الله وعلى ملة رسول الله ولا تغلوا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا امرأة ولا صبياً وأحسنوا فإن الله يحب المحسنين " فكان ذلك أمر من رسول الله للجيش بأن يكون أفراده من المحسنين يعاملون الناس بالحسنى وليس البطش، وقال أهل العلم أن الصديق ﷺ كان يوصي ويقول لجنوده وهم خارجون إلى الحرب ستجدون ناساً حبسوا أنفسهم في بيعاتهم فدعوهم وما حبسوا أنفسهم عليه فكان من ذلك الصنف الخامس الذي لا يقتل الراهب أو القسيس أو الحاخام وقال بعض أهل العلم أن الصنف الخامس هذا لا يؤسر وأما الصنف السادس فهو المريض فإنه لا يقتل في دين الإسلام الدين الذي يتهمونه

بالإرهاب ولا عجب فإننا نسمع الحق يقال عنه باطل والباطل يقال عنه حق اختلت المعايير فقوات التحالف في العراق يقولون إنها شرعية ومقاومة أهل العراق للبطش والعدوان والتنكيل يسمى إرهاباً، المصري والسورى والإيراني في العراق يسمونهم أجانب وقوات التحالف إنما هم الملائكة لأنهم يضربون المنازل والمساجد بالقنابل زنة تسعة طن وخمسة طن تسويها بالأرض وتخلف حفراً عميقة يقتلون النساء والأطفال والشيوخ والمرضى العزل من أي سلاح ثم يقولون إن دين الإسلام دين إرهاب، ثم لننظر إلى غزة وما يُفعل فيها من عدو مغتصب محتل عنصري بغيض بيوت وأحياء كاملة تُمحى وتكون كومة من التراب في لحظة على رؤوس من فيها من نساء وشيوخ وأطفال ومرضى وعجزة ثم يدعون أن دين الإسلام وأهله هو دين الإرهاب وذلك إنما يتم على مرأى ومسمع من العالم كله ولا يتحرك ساكناً دفاعاً عن هؤلاء الناس من أهل الإسلام وإذا كان اعتداءً على حفنة قليلة من الناس في دارفور قامت الدنيا ولم تقعد وانهمرت الدموع بالبكاء .

وجاء إلى رسول الله ﷺ من يسأله قال أرأيت يا رسول الله لو أن رجلاً جاء يريد أن يجتاح مالي قال لا تعطه مالك قال أرايت إن قاتلني قال فقاتله قال أرايت يا رسول الله إن قتلني قال أنت في الجنة قال أرايت إن قتلته قال هو في النار " أليست الأرض من المال أليس الوطن مال وأغلى من المال أليس لنا أن

ندافع عن أموالنا وأنفسنا وأعراضنا فإننا ما اعتدينا على أحد وما ذهب أحد من العراق إليهم في دارهم ليقاتلهم أو يغتصب أرضهم وديارهم إنما هم الذين أتوا لنهب ثروات أوطاننا وخيراتها فحق علينا القتال، ويقول قائل :

الحرب في حق لديك شريعة

ومن السموم الناقعات دواء

والله عز وجل يقول ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [[البقرة: ١٩٣-١٩٤]]

إن الحرب في دين الإسلام هي حرب شجاعة حرب نصر للمظلوم حرب رجل أمام رجل لا يبيتون لأحد بليل فإن دين الإسلام يمنع الجيش أن يضرب ويهاجم بالليل فعن أنس بن مالك ﷺ قال كان رسول الله ﷺ لا يغزو بليل فوصلنا خيبر ليلاً – ولو أراد رسول الله أن يبيدهم عن بكرة أبيهم وهم نيام لفعل ولكن قال أنس بن مالك – فانتظر حتى أصبح الصبح وخرج أهل خيبر بمكاتلهم ومساحيهم فرأوا مُحمداً ﷺ والجيش ففروا عائدين وهم يقولون يحذروا قومهم مُحمد والخميس فقال رسول الله ﷺ الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فانطلقت صيحات الله اكبر تدك حصون خيبر حصناً بعد حصن

كانت حرب رجال أمام رجال وصدور أمام صــــدور لا يبيتــون لأحد بليل كما يفعل اليهود الآن في فلسطين يــضربون البيــوت بالدانات ليلاً في منتهى الخسة والــسفالة ولكنهــا كمــا خربــت حصونهم في خيبر بإذن الله سوف تخرب في فلسطين وكما كانت أيضاً تتحصن في سيناء بعد أن احتلتها وراء خط بارليف ومــن وراءه القلاع الحصينة فإذا بصيحة الله أكبر تزلزل الأرض تحت أقدامهم وتتساقط حصونهم حصناً بعد حصن أمــام قــوة جــيش الإسلام المصري وبإرادة الله عز وجل كان النصر المبــين والله عز وجــل يقــول ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [[الأنفــال: ١٧]] وهم العدو بكل يقين لأنهم يصرون وحتى اليوم على أن دولتهم من النيل إلى الفرات لا يخفونها بل يجهرون بالعداء لنا ليل نهار رغم انهم هم المعتدين المغتــصبين لــلأرض ونحــن المعتدى علينا فلماذا نخفيها ولا نعلنها صراحة فإن كانوا يريدون الدولة ونهب الأرض والثروات فإنا نريد النصر أو الشهادة بإذن الله لأن الله عز وجل يقــول ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [[التوبة: ١١١]] اشترى الله عز وجل من المؤمنين أرواحهم التي هى ملــك لـــه

وبين يديه يقبضها وقتما يشاء فإذا بذلها المؤمن في سبيل الله كان الأجر وثمن البيع إنما هو جنة رب العالمين خالداً فيها فمن يكون الرابح إنما هم أهل الإسلام وما ضعفهم واستكانتهم هذه الأيام إلا لأن الحرب الآن أصبحت حرب جبناء حرب نساء لا يقف أمامنا العدو وجهاً لوجه إنما يتخفى وراء حصون منيعة ويضرب من وراءها من مسافات بعيدة للغاية والله عز وجل يقول ﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [[الحشر: ١٤]] ويقول الله عز وجل ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [[آل عمران: ١١١-١١٢]] وقد صدقت آيات الله عز وجل وتجلت في حرب العاشر من رمضان بعد النصر المبين وكادت دولة اليهود أن تمحى من الوجود لولا الحبل من الناس في صورة تدخل دولة مثل أمريكا في الحرب لصالح اليهود تمدهم بالعتاد الحديث الذي لم يستعمل من قبل لكي تنقذ هؤلاء الأعداء وتحميهم فكان ذلك من الأدلة بأن القرآن حق وأنه من عند الله عز وجل فإنهم ولوا الأدبار وما أنقذهم إلا أمريكا بسلاحها وعتادها وأموالها وسيطرتها على كثير من دول الغرب فلا يحسبون أن الغلبة

ستدوم لهم فإن بطش الله شديد وهو الذي يقول ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [[آل عمران: ١٧٨]] ويقول ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [[الأنفال:٥٩]] فإنهم لا يعجزون الله ولكن لهم وقت يمهلهم الله عز وجل له فإن رسول الله ﷺ يقول لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبيء اليهودي وراء الشجر والحجر فينادي الشجر والحجر يا مسلم وراءي يهودي تعالى فاقتله " أن النصر والتمكين سوف يكون بإذن الله لأمة مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام لأن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [[غافر: ٥١-٥٢]]

الحاكم والمال العام

إن الحاكم هو الذي يحكم الدولة ومصادر الدخل فيها ورسول الله ﷺ يوم بعثه الله عز وجل نبياً ورسولاً وأول حاكماً لدولة الإسلام كانت الامبراطوريات من حوله في شرق الأرض وغربها كان الحاكم فيها هو صاحب كل المال الموجود في تلك الامبراطورية أو الدولة وهو المتصرف في أموالها ومصادر دخلها كما كان فرعون إذ يقول الله عز وجل ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [[الزخرف: ٥١]] قال أليس لي ملك مصر بكل ما فيها من أنهار وحقول ومن ثمر وأقوات إنما كل ذلك ملك له والشعب كله يقر بذلك فلما جاء مُحمد ﷺ في دولته ماذا قال للناس فقد قال لهم بالصوت والصورة وضع يده على جلد حيوان على وبر بعير فغطت تلك اليد شعرات ذلك البعير فقال رسول الله ﷺ بعد أن أخذ منها شعرات قال لا يحل لي من مالكم ولا هذه الوبرة "لا يحل لي وأنا رسول من الله وأنا قائدكم وزعيمكم وحاكم لدولتكم ولا حتى هذه الشعرات فهو أول من علم الخلق كلهم أن مال الأمة مال الدولة له حرمته لا تمتد إليه يد حتى وإن كانت يد طفل صغير لا يدرك شيئاً فإن الحسن أو الحسين رضي الله عنهما واحداً منهما كان يلعب وهو طفل صغير فأخذ تمرة واحدة من مال الدولة من الصدقات وعندما أراد أن يضعها في فمه إذا

برسول الله ﷺ يراه فينتزع تلك التمرة من فمه ويضعها مكانها ويقول له كخ كخ نحن لا نأكل الصدقة وهو قائد الدولة وزعيمها وتحت يديه كل أموالها التي تأتيه من الصدقات والزكاة وخراج الأرض وما كان في بيته إلا اليسير من الطعام حتى إن أم المؤمنين عائشة تصف لأبن أختها حال بيوت رسول الله ﷺ لما سألها عن طعامهم قالت كان طعامنا الأسودان التمر والماء ولا عجب فإنه هو الذي تبرأ من مال الأمة كلها وأوضح للناس قبل أن يغادر الدنيا أن صفحته بيضاء ما استولى على مال فهو الذي غادر الدنيا ودرعه مرهونة عند تاجر يهودي في وسق شعير اقترضه طعاماً لأهله، وهو الذي يخرج على الناس ثلاثة أيام قبل وفاته يقول فيما قال أيها الناس من كنت أخذت منه مالاً فهذا مالي فليستقد منه أو يأخذ حقه منه قبل أن أغادرها، وهو الذي علمنا أن مال الدولة لكل فرد فيها حق ونصيب فيه فقد قال رسول الله ﷺ من ترك مالاً فلورثته أينما كانوا ومن ترك ديناً وضياعاً فإلي وعلي أي على الدولة سداد دينه ورعاية عياله .

وقد تعلمها الصديق ﷺ وحفظها منه وكما أن عمر ﷺ تعامل بها إلى أبعد ما وصلت إليه الإنسانية ولن تصل إليه إلا تحت الشريعة الإسلامية ففي عهد عمر بن الخطاب ﷺ كان يفرض عطاءً لكل مولود فطيم في هذه الدولة أي بعد فطامه ولما دخل يوماً إلى المسجد لصلاة الفجر وجد طفلاً يبكي فقال عمر يا أم الغلام أسكتيه أي أرضعيه ولكن استمر صراخ الطفل فلما

سالها عن سبب بكائه وكانت من وراء ستار ولم تعرف أنه أمير المؤمنين قالت لا أريد ان أرضعه لأنني أفطمه قبل موعده لمـــاذا لأن أمير المؤمنين لا يفرض عطاء إلا لكل فطيم وأنا لا أجد مـــا أكفله به فلما دخل إلى الصلاة لم يعلم المصلون من وراءة قراءته من بكائه ولما أن انتهى من الصلاة قال ويحك يا عمر كم قتلـــت من أطفال المسلمين حتى نادى على صاحب بيت المال وأصـــدر له الأوامر أن لكل مولود في تلك الأمة عطاءً مـــن بيـــت مـــال المسلمين، فكانت تلك هى الدولة التي يحكمها شرع الله عز وجل ويحكمها دين الإسلام .

إن رسول الله ﷺ هو الذي علمنا كيف يتعامل حاكم الدولـــة في مال الدولة مع الموظفين والمحافظين وكل من يسند له عمـــلاً في شيء من مال المسلمين ويجب علينا أن نتعلمها فإنها قناديـــل وسراج منير ينير لنا السبيل ولنعرف أن دين الإسلام جاء بما لم يأت به أحداً من العالمين فعن عدي بن عميرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً ياتي به يوم القيامة – والمخيط هو الإبرة سوف يحاسب عليهـــا الذي يعمل في مال الدولة من الله عز وجل لماذا أضعتها وأيـــن انفقتها – يقول عدي فقال رجل أسود من الأنصار يا رســـول الله أقلني عملك – هو يعمل عند رسول الله ﷺ عند الحاكم في الدولة يقدم الإستقالة عندما سمع ذلك – قال له لماذا قال سمعتك تقـــول كذا وكذا قال وأنا أقولها الآن من استعملناه على عمـــل فليـــأتي

بقليله وكثيره فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهى . "واستعمل رسول الله ﷺ كما جاء في البخاري ومسلم رجل من الأزد مكان اسمه الأزد أو قبيلة استعمله على عمل فجاء ذلك الرجل هو ما أخذ مال من أموال الدولة وما اغتصب شيئاً ولكنه وهو في عمله كان الناس يهدون له فعندما جاء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا أُهدي إليّ فقال له رسول الله ﷺ إنا نستعمل الرجل على العمل فيأتي ويقول هذا لكم وهذا أُهدي إليّ ألا جلس في بيت أبيه وأمه فلينظر أتأتيه هديته، وذلك مبدأ أرساه رسول الله ﷺ لكل من يعمل بالعمل العام في الدولة فإن كل ما يأتيه هو ملك للدولة وليس له حق فيه، ويقول رسول الله ﷺ من أخذ شيئا بغير حقه إلا جاء به يوم القيامه يحمله " إن أملاك الدولة مصانة وأرضها لا تمتد إليها يد غصباً أما إذا استصلح أحد أرضاً وأنفق عليها فإن رسول الله ﷺ قال من أحيا أرضاً مواتاً فهي له وليس لعرق ظالم حق " إذا وضع انسان عرق خشب في أرض ظلماً فإنه لا حق له فيه وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول قال رسول الله ﷺ من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه يوم القيامة من سبعة أراضين " وذلك شبراً واحداً فما بالك بمن يستولي على آلاف الأفدنة بغير وجه حق، وعبد الله بن مسعود ﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله أي الظلم أظلم قال ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه ليس له حصاة فيها

إلا طوقها يوم القيامة من قعر الأرض ولا يعلم قعــر الأرض إلا خالقها

هذا هو نهج مُحمد ﷺ قائد الأمة وحاكمها في مال الدولــة والأملاك العامة فيها، ومن جاءوا بعده ساروا على نهجــه ومــا غادروا الدنيا حتى برأوا ذمتهم منها فهذا الصديق ﷺ والذي كان من أغنى الأغنياء في قومه قبل أن يحكم الدولة عندما غادر الدنيا وهو على فراش الموت يبرئ ذمته ويقول كفنوني في ثوبي هــذا القديم لأنه سوف يبلى واجعلوا الجديد لفقير يلبسه فإن الحي أولى به ثم وهو على فراش الموت يقول ما عندنا من مال يــرد إلــى بيت مال المسلمين بما أصبت من مالهم وإن أرضي لبيت المــال بما أصبت من مالهم، حكم الدولة وعندما خرج من الدنيا يدفع لها أمواله حتى لا يقول قائل أكل الصديق مال الأمة، ويقول عمــر ﷺ يرحمك الله يا أبا بكر لم ترد أن تجعل لأحد مقالة فــي مــال الأمة يسن لها .

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ وجدت صلاح مال الأمة فــي ثلاث أن يؤخذ من حق ويُعطى في حق وأن يُنفق في حق ألا إني في مالكم كوالي اليتيم إذا استغنيت عففــت وإن افتقــرت أكلــت بالمعروف – مال الأمة لا يكون مصدره من غصب أموال الناس بالباطل لا يكون بتأميم الثروات لا يكون بفرض عليهم ما يرهقهم وما لا يستطيعون دفعه وكذلك أن ينفق هذا المال لمــن يــستحقه وعلى قدر العمل يكون الأجر وليس بالمحــسوبية أو القرابــة أو

المنزلة والمكانة ينفق مال الأمة على التعمير والبناء وعلى كل ما يجلب الخير والسعادة ويعود بالنفع على الناس وأن يعطى في حق وأن يمنع عن باطل وأن الحاكم في مال الأمة إذا كان غني فلا يأخذ أجر من مال الدولة لا يأخذ أجراً على حكمه للناس وأما إن كان فقيراً فلا يأخذ إلا بالمعروف أي ما يعينه على ضروريات الحياة بغير اسراف .

وكانت الدولة التي يحكمها عمر ﷺ مترامية الأطراف وبها الكثير من الخيرات والثروات ورغم ذلك يقول عنه أنس بن مالك ﷺ رأيت عمر يلبس ثوباً فيه أربع رقع وهو حاكم دولة من أكبر الدول وأغناها، وكذلك وهو في حكمه أصابهم عام جدب فكان يربط حجراً على بطنه وهو يقول كركري كما شئت فلن تأكلي حتى يأكل المسلمون، وعمر ﷺ هو أول حاكم ينحي أبناؤه وزوجته عن مال الدولة ألا يتصرف فيه واحداً منهم فقد جاءته إبنته في أحد الأيام وقالت يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل يوصيك بالأقربين فاجعل لنا من ذلك المال نصيباً فقال لها قومي يا بنية فقد غششت أباك حقك حق الأقربين في مالي أما هذا المال فليس لك فيه نصيب، ودخل ذات يوم السوق فوجد إبل سمان فقال بخ بخ لمن هذه الإبل قالوا لعبد الله بن عمر يا أمير المؤمنين فاستدعاه وقال له من أين لك هذه الإبل يا عبد الله قال يا أمير المؤمنين اشتريتها أبتغي بها ما يبتغي المسلمون قال هل يقول الناس أطعموا إبل بن أمير المؤمنين واسقوا إبل بن أمير

المؤمنين يا عبد الله لك أصل مالك واجعل الفضل في بيت مـال المسلمين، وذلك حتى لا تكون هناك شبهة أن الناس تطعم وتسقي لأنه بن امير المؤمنين .

ولننظر إلى زوجة حاكم أكبر امبراطورية في هذا العصر زوجة أمير المؤمنين عمر ﷺ كما رواها لنا مالك بـن أوس ﷺ فقال جاء بريد ملك الروم إلى عمر فاقترضت امرأة عمر ديناراً واشترت به عطراً ووضعته في قوارير وأرسلت به إلى امـراة ملك الروم هدية فما كان من امرأة ملـك الـروم إلا أن سـكبت العطر من القوارير ووضعت بدلاً منها جواهر وذهبـاً وفـضة وأرسلته إلى امرأة عمر ولما رأته انبهرت به وسـكبت الـذهب والفضة على البساط فجاء عمر وسألها ما هذا الـذهب والفـضة فقصت عليه فقال عمر ﷺ لك دينارك أما هذا الـذهب والفـضة فإنه من حق المسلمين، فكان بذلك أو حاكم في تـاريخ البـشرية يسن هذا القانون أن الحاكم لا يأخذ لنفسه أو لأهـل بيتـه هديـة أهديت له من حكام مثله وإنما تكون الهدية من حق الأمـة وقـد استمدها من دين الإسلام ومن تربية رسول الله ﷺ

ويغادر عمر ﷺ الدنيا ولم يترك ديناراً ولا درهماً .

كما كان ذلك هو نهج علي بن أبي طالب ﷺ وهو أميـراً للمؤمنين فيأتيه خازن بيت المال وزير المالية يقـول يـا أميـر المؤمنين امتلاء بيت المال بالصفراء والبيضاء فقد كـان أعلـى قيمة أموال في زمن علي بن أبي طالب ﷺ فقال لـه علـي إذن

انتظرني عنده ويذهب إليه ويقف على الباب ويقوم بتوزيع كل ما في بيت المال على المسلمين وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري فما غادره حتى وزع كل ما فيه ثم نضح أرضه بالماء وسجد فيه لله عز وجل سجدتين شكراً لله

كان ذلك هو نهج الحاكم في دولة مُحمد ﷺ فإن دين الإسلام دين مثاليات وتلك الأمور التي وصل إليها خلفاء رسول الله ﷺ الأوائل ما وصل إليها انسان إلى الآن أما المستقبل فلا يعلمه إلا الله فقد كان هؤلاء الأوائل قادة تلك الأمة وكانوا مدرسة علمت كل الخلق من بعدهم .

الحاكم والشورى

إن أمريكا والغرب يريدون منا أن نعترف بيهودية الدولة الصهيونية التي تحتل الدولة الفلسطينية ونقر بأن هويتها اليهودية وتحكم بشريعة التوراة والتلمود وهذه الشريعة عمرها في البشرية أكثر من أربعة آلاف سنة ومع ذلك عندما طلبوها لم يتكلم أحد من الناس ليقول إنها عودة إلى عصر الظلم والظلمات وردة إلى الوراء إلى عصور الجاهلية أو إلى التأخر والتخلف وأما إذا أراد أهل الإسلام أن يعلنوها هوية إسلامية وأن تحكمهم شريعة ربانية مستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله يخرج علينا ذلك الذي أمرنا بالأولى لينهانا عنها ويقول لابد أن تكون دولتكم علمانية هناك يريدونها يهودية وعندنا يريدونها علمانية وللأسف يتبعهم فيها ويروج لها فريق من بني جلدتنا من بني وطننا وهذا الفريق قبل أن يسمي نفسه علمانياً كان شيوعياً ثم أصبح يسمي نفسه مثقفاً ثم أصبح مفكراً، والعلمانية كما يعرفها أهلها ومخترعوها والعاملون بها لا ينكرها دين الإسلام فإن دين الإسلام هو دين عالمي فإن الله عز وجل أرسل مُحمداً ﷺ برسالته إلى العالم أجمع بل إلى الخلق كل الخلق أنسهم وجنهم وكذلك دين الإسلام لا ينكر الثقافة ولا المثقف ولا الفكر ولا المفكر ولكن هؤلاء يريدونها غير ذلك فإنهم ينادون بدولة لا دينية لا دين لها ولا حكومة تحكم بشريعة ربانية إسلامية

ودولة الإسلام بالمفهوم الذي يقال عنه دولة دينية ليس موجود فإنها دولة دينية مدنية أي أن الذي يحكمها بشر ولا يُنعت بالألوهية لا يكون فرعون يقول أنا ربكم الأعلى فدين الإسلام غنما جاء لينظم تلك الدولة على جناحين جناح بشري وجناح ثاني تأتمر فيه بأوامر الله عز وجل وتتعامل فيه بسنة رسول الله ﷺ ثم يكون بعد ذلك رأي الناس، فإن مُحمداً ﷺ حكم الناس ببشريته فما تخلى عن الشورى في أي موطن من المواطن وفي الأمور كلها صغيرها وكبيرها فانظر إليه يوم بدر وهو المؤيد بالوحي ولكنه يريد أن يسن سنن الهدى للناس من بعده عندما وجد جيش قريش قد اقترب قال للناس أشيروا عليّ وهو الرسول والحاكم يطلب من الناس المشورة ولو أراد أن يسأل الله عز وجل لأنزل عليه الوحي بما يفعل ولكنه يعلم أنه سوف يغادر الدنيا ولا وحي من بعده فماذا يفعل من يخلفه في حكم تلك الدولة فقال أيها الناس أشيروا عليّ فوقف المقداد بن عمرو بن الأسود ﷺ بعد أن أشار عليه الصديق وعمر بالتقدم ومنازلة الأعداء فقال المقداد يا رسول الله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكنا نقول إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فيقول رسول الله ﷺ أيها الناس أشيروا عليّ فيقوم سعد بن معاذ ﷺ ويقول يا رسول الله آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به الحق وأعطيناك على ذلك العهود والمواثيق والله يا رسول الله لو

استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ثم تكلم الكثير من الناس ورسول الله ﷺ يختار مكاناً للجيش في أرض المعركة فكان هذا الاختيار هو اختياراً بشرياً من قائد المعركة للجنود والحباب بن المنذر ﷺ وهو جندي من الجنود يقول يا رسول الله أهذا المنزل أنزلكه الله عز وجل فلا نتقدم ولا نتأخر أم أنه الحرب والرأي والمكيدة فقال له بل هو الحرب والرأي والمكيدة فيقول هذا الجندي لقائده إن كان الأمر كذلك فإن موقعنا هنا خطأ إذهب بنا يا رسول الله حتى ندنوا من بئر بدر ونصنع حوضاً نملؤه بالماء فإذا كانت المعركة شربنا نحن ولم يشربوا فما كان من رسول الله إلا أن أمر الناس بالتحول عن موقعهم إلى المكان الذي أشار عليهم به هذا الجندي.

وكذلك كان الأمر في غزوة أُحد حيث تجمع جيش أهل الشرك في طريقهم إلى المدينة وكان يوم جمعة وبعد الصلاة عقد رسول الله ﷺ مجلس الشورى وقال أيها الناس أشيروا عليّ فيتكلم كل أهل الرأي والعلم والاختصاص فمنهم من كان رأيه عدم الخروج إليهم وانتظارهم حتى يصلوا إلى المدينة ولكن كان رأي الأغلبية هو الخروج والسير لملاقاة العدو ورغم أن رسول الله ﷺ كان رأيه عدم الخروج ولكنه وهو المؤيد بالوحي أخذ بقرار الأغلبية وأعد العدة للخروج وعندما خرج من بيته هؤلاء الذين أشاروا بالخروج قالوا والله لقد استكرهنا رسول الله ﷺ على رأينا فقالوا له لقد استكرهناك يا رسول الله فلنمكث كما تريد فقال

لا ينبغي لنبي لبس لأمته الحرب أن يضعها حتى يحكم الله عز وجل بينه وبين عدوه ولقد دعوتكم إلى هذا الأمر فأبيتم إلا الخروج فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس وانظروا ما أمركم الله عز وجل به فافعلوه، وكان في وسط معركة أُحد إنما هو شيء عصيب أصيب فيه أهل الإسلام فماذا يفعل رسول الله ﷺ هل يقول إن الشورى هى سبب ما وقع بهم هل يقول إن الأغلبية كانت على خطأ هل يرفض المشورة بعدها فإذا به يأتيه الأمر من رب العالمين ألا يترك المشورة أبداً رغم ما حدث فنزل عليه قول الله عز وجل ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [[آل عمران: ١٥٩]] أمر مباشر من رب العالمين إلى رسوله ألا يترك المشورة حتى تكون سنة للخلق من بعده لأن فيها صلاح الأمر، لذلك كان رسول الله ﷺ يقول من استشاره أخيه فليشر عليه، وكان يقول للصديق وعمر وهما وزيراه لو اجتمعتما على مشورة ما خالفتكما، ويقول المستشار مؤتمن أمين، وما تركها رسول الله بعد ذلك أبداً فإنه يوم الخندق يستشير الناس فيشير عليه سلمان الفارسي ﷺ بحفر الخندق، وكذلك يستشير سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما على أن يعطي ثلث ثمار المدينة للأحزاب ويرتحلوا فأبوا عليه أي رفضوا وقالوا لا والله يا رسول الله ما كنا نعطيهم إلا

قرى أي صدقة رفضوا رأي مُحمد ﷺ واستجاب إلى رأيهم، ثـم وهو في يوم الحديبية يستشير الناس هل يحارب القـوم أم يعـود فيقول له الصديق ﷺ يا رسول الله جئنا معتمـرين ولـم نـأتي مقاتلين ويجد أن أغلب القوم مع رأي الصديق وعندما أراد العودة وأراد أن يحل إحرامه وأمر الناس بها رفض بعضهم فيستـشير من هذه المرة إنما يستشير أم سلمة رضي الله عنها ما رأيك يـا أم سلمة الناس أبوا أن يطيعوا فتقول له يا رسول الله أخرج عليهم ولا تكلم أحداً ثم انحر بدنك واحلق رأسك وسوف يفعلون مثلـك ففعل ما أشارت عليه به .

إن مشاورة أهل الدين والرأي إنما هى من أسس الإسـلام وهى في دين الإسلام فريضة من الفرائض لأن الله عـز وجـل يقول ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [[الـشورى: ٣٨]] فكان الأمر بالشورى بين فريضتين هما الـصلاة والزكاة وكانت الشورى استجابة لله عـز وجـل والعمـل بهـا فريضة، وعمر بن الخطاب ﷺ أول من أسس مجلساً للشورى في العالم كله فإن العالم كله كان يحكم بالاستبداد والديكتاتوريـة مـا عدا الدولة التي دينها الإسلام فكيف يـدعي الجهـلاء أن حكـم شريعة الإسلام عودة إلى الجاهلية إنما هو الخير كله فيها والتقدم والرقي والتحضر من سمات هذا الدين والذي يريد أن يجلب لنـا من الخارج من أوروبا أو أمريكا ويقول هى غـذاء ودواء فإننـا عندنا الغذاء والدواء ولكن أكثرنا لا يعلمون بل يجهلون .

كان أول مجلس شورى في العالم كله في تاريخ الإنسانية كلها أسسه عمر بن الخطاب ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ وكان يتكون من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وآخرين رضي الله عنهم أجمعين وهؤلاء كانوا قمة الأسماء فيهم وعمر بن الخطاب الذي بلغ ما بلغه ودولته التي كانت مترامية الأطراف لو استبد بالرأي لكان معه حق أن يستبد ولو أراد أن يكون ديكتاتوراً لكان واليوم تلك الدولة التي تركها إنما قُطعت أوصالها ولا تزال عوامل التفتيت تعمل فيها إلى يومنا هذا بأيدي الغرب واليهود الحاقدين على تلك الأمة الذين يرفضون أن تكون هويتنا إسلامية وأن يكون الدستور فيها على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله وما وصل إليه أهل الفقه وما يقول به أهل الشورى من ذوي العلم والاختصاص .

عمر ﷺ وهو ذاهب لفتح بيت المقدس يقال له أن هناك وباء الطاعون في عمواس فهل يتجاهل ذلك الخبر ويدخل البلد ويهلك هو ومن معه أم أنه يعود ويؤجل الأمر فجمع المهاجرين الأولين من بقي منهم وسألهم هل ندخل أم لا هل عندكم من فقه أو آية فلم يجيبوا فيجمع الأنصار ويسألهم فلم يجيبوا ثم جاء عبد الرحمن بن عوف ﷺ وقال يا أمير المؤمنين سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا كان الوباء بأرض وأنتم خارجها فلا تدخلوها وإن كنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه فكانت تلك الإستشارة فيها

حفظ للنفس من الهلاك، وهو كذلك الذي يقول لا إمـــارة بغيـــر مشورة ويقول الرأي الفرض كالخيط السحيل – رأي الواحد مثل الخيط الرفيع – والرأيان كالخيطين المبرمين والثلاث مـــرار لا ينتقض سلبة قوية، ذلك قول عمر الذي كان يستشير في المعارك وفي كل أمور الدنيا، وحتى في العلاقات بين الرجل وزوجته كان يستشير من هم أعلم منه بهذا الشيء ففي أحد الأيام وهو يتعسس بليل يتفقد أحوال رعيته إذا به يسمع من وراء حائط بيت امـــرأة تقول لقد طال هذا الليل واسود جانبه ويؤرقني ألا خليل الاعبـــه فوالله لولا الله تخاف عواقبه لحرك منى هذا السرير جوانبه وتلك الكلمات تدل على مدى اشتياق تلك المرأة لزوجها الغائب عنهـــا وذلك من حقها فهى تتألم لذلك ولولا أنها تخاف الله لوقعت فـــي المعصية فيذهب عمر إلى حفصة إبنته ويسألها كم تصبر المـــرأة على فراق زوجها فقالت يا أمير المؤمنين بين أربعة وستة أشهر فما كان منه إلا أن أصدر أوامره إلى قادة الجيـــوش فـــي بقـــاع الأرض في كل أرض الإسلام ألا تمسكوا جندي أكثر من ســـتة أشهر حتى تعطوه أجازة يعود فيها إلى سكنه وأهله فيبـــر نفـــسه ويبر أهله ويحصن نفسه ويحصن زوجته، وعلى النقيض من ذلك نجد في أيامنا الكثير من الرجـــال مـــن يتـــرك زوجتـــه وأولاده ويسافر سعياً وطلباً للرزق ويغيب بالسنة وأكثر وهذا هو اعتداء على حق النساء فكان بذلك عمر يستشير حتى النساء .

إن الشورى في دين الإسلام إنما هى شـورى لمـصلحة المجتمع وإقامة الدولة فإن دولة الإسلام لا اسـتبداد فيهـا فـإن رسول الله ﷺ يأمر بها ويحض عليها وهو كذلك يأمر الذي يعطي المشورة أن يكون أميناً ولا يخدع من استشاره فقال رسول الله ﷺ المستشار مؤتمن ومن أشار على أخيه برأي يعلم أن الرشد فـي غيره فقد خانه، إذا مرض انسان فعليه استشارة الطبيب وإذا كان له حق أو عليه فليستشر محامى .

إن مجلس الشورى في دولة مُحمد ﷺ إنمـا هـو مجلـس بالتعيين وليس بالانتخاب يضم في صفوفه علية القوم وأفـضلهم في كل شأن من شئون الدولة والحياة بشكل عام من أهـل العلـم والحكمة في كل مناحي الحياة في الطب وفـي الهندسـة وفـي القانون وفي الدين ويقول قائل :

شاور أخاك إذا نزلت بك نازلة

وإن كنت من أهل المشورات

فالعين ترى ما نأى منها واقترب

ولا ترى نفسها إلا بمرآة

فلا يقول واحداً من الناس أنا أعلم الناس في هـذا الـشأن فكيف أستشير غيري فيه فإن هذا القائل شبه من يقول ذلك بأنـه لا يرى بعينيه إلا ما هو أمامه بينما إذا أراد أن يرى عينيه هـو فلابد أن ينظر في المرآة .

وقد أجمع فقهاء الأمة على أن المشورة من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام

والحاكم الذي لا يستشير أهل الرأي والدين يجب عزله لما في ذلك من خطورة على مصالح الدولة والدين، فإن هذا هو دين الإسلام الذي فيه أمور تغيب عن أذهان الكثيــرين لــذلك يــأتي الغرب يقول إنه يعلمنا أمور الحكم والدولة ويقول القائل :

تتلمـذ الغـرب وانقـادت جحافلــه
للمــــسلمين وشـــرع الله ربـــاه
وعنـدما أصـبح ذا علـم ومعرفــة
قــام يهـــدم للإســـلام مبـــناه
وقـام يـذبح مـن كـانوا مـشاعله
من فجـروا النـور فـى شتـى زواياه
ولـن تتـوب الـذئاب عـن طبائعهـا
هـذا هـو الـدرس لكنـا جهلنـاه

الحاكم والعدل

إن من إرادة الله عز وجل في تنصيب الحاكم على الناس إقامة العدل بينهم فإن لم يقم هذا الحاكم العدل فإنما تنكب إرادة الله عز وجل من تنصيبه عليهم فإن الله عز وجل يقول ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [[ص: ٢٦]] إذا كان الله عز وجل جاء بها في حق داود عليه السلام وهو نبي ورسول فإن الكلام يقصد به كل من يحكم الناس من بعده ومن قبله والله عز وجل يقول في محكم التنزيل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [[النساء: ٥٨]] فكان العدل هنا والحكم به إنما هو من الفرائض التي فرضها الله عز وجل على من يحكم الناس والعباد .

وعبد الله بن سلام ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لما خلق الله عز وجل الخلق وقفوا أمامه صفوفاً قالوا مع من أنت يا رب قال مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه فإنه بالعدل قامت السماوات والأرض " والحاكم مطالب بالعدل وهو أولى الناس بالعمل به فإن رسول الله ﷺ يقول السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإن جار فعليه الوزر وعلى الرعية الصبر " جعل الله عز وجل

السلطان مأوى للمظلوم وما جعله مأوى للظـــالم لأن الحـــاكم إن جار وظلم قحطت السماء وإذا منعت الزكاة هلكت الـــدواب وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة .

إن أقامة العدل من الأمور التي تحمـــل لـــصاحبها الخيـــر الكثير فإنها تقرب الحاكم من ربه فإن رسول الله ﷺ يقول يا أبـــا هريرة عدل ساعة في حكم خير عند الله من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها وجور ساعة في حكم أشد عند الله عز وجل من معاصي ستين سنة " فكانت ساعة العدل خير من عبـــادة الله عز وجل ستين سنة وليست أي عبادة إنما هى قيام ليلها وصـــيام نهارها أي أعلى أجر للعبادة وكذلك ظلم ساعة واحـــدة يـــساوي معاصي ستين سنة أيضاً .

ورسول الله ﷺ يقول إن من أحب الناس إلى الله عز وجل وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة إمام عادل وإن من أبغض النـــاس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً يوم القيامة إمام جائر " ويقول كـــذلك ما من أحد يلي من أمر الناس شيئاً ثم لا يعدل فيهم إلا كبـــه الله عز وجل في النار " شيئاً واحداً فقط فما بالك بالأشياء الكثيرة في كل نواحي وأمور الدولة كلها، ورسول الله ﷺ المعلم إنما كان في حكمه العدل كله حتى مع الخصوم ولأي مواطن في الدولة حتى وإن كان له أتباع له عصابة معتدية له فئة طاغية تحارب أهـــل الإسلام ولكنه في النهاية هو مواطن في الدولـــة ومـــن الرعيـــة فيجب له العدل وكانت هذه إرادة الله عز وجل وكأنمـــا رســـول

الله ﷺ كُشف له الغيب واطلع على ما يدور ويحدث في أيامنا بما يقوله الناس من جدل عن المواطنة وحق الآخر وحقوق العباد في الدولة ويضرب لنا فيها المثل رسول الله ﷺ فقد كان أحد الصحابة وهو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي كان عليه دين لرجل يهودي مقداره أربعة دراهم فجاء اليهودي وهو مواطن في دولة مُحمد ﷺ ولكنه لا يعترف برسالته ولا بشريعة الإسلام ورغم ذلك ما منعه ذلك عن حقه في دينه عند الصحابي المسلم فجاء ذلك اليهودي إلى رسول الله وقال يا مُحمد إن لي ديناً عند عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي أربعة دراهم ولا يريد لي قضاءً فيؤتى بعبد الله إلى عدل مُحمد ﷺ فيقول له أعطه حقه فيقول عبد الله والذي بعثك بالحق رسولاً ما عندي قضاءً أجلني منه – أي لا أملك الوفاء بهذا الدين – فيكررها رسول الله ثلاثاً وكان إذا قال ثلاثاً لا يراجع وما كان عبد الله بن أبي حضرو في ذلك الوقت يملك إلا عمامة يعتم بها وإزاراً ورداء يواري به عورته فماذا يصنع يذهب إلى السوق ويخلع عمامته ويجعلها إزاراً يواري عورته ثم يخلع ردائه لكي يبيعه بأربعة دراهم فتراه امرأة في السوق تقول له ما أوقفك هنا يا صاحب رسول الله فيحكي لها القصة فتقول له هاك الأربعة دراهم ورد عليك رداءك، فكان ذلك بسبب إصرار رسول الله على أن يقيم العدل بين كل المواطنين في الدولة فإن من أسس العدل المساواة بين الناس .

ورسول الله ﷺ وهو الحاكم للدولة يقترض وسق من تمـــر من رجل يهودي ثم يأتيه اليهودي يطلب حقه فيـــأمر رســـول الله رجل من الأنصار ويقول له أقضه فجاء بوسق التمر فينظر إليـــه اليهودي فلا يعجبه ويأبى أن يقبضه ويقول لرسول الله ﷺ أعطني حقي فيقول رسول الله لخولة بنت قيس رضي الله عنها أقــضيه تمراً غير هذا أي أفضل منه فمن أحق بالعدل مني يا خولة بنـــت قيس لا قدس الله أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوي غيـــر متعتع يا خولة بنت قيس ليس من غريم يخرج من عند غريمـــه وهو راض إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار وما مـــن أحد يلي غريمه وهو يجد إلاّ كتب الله عز وجل عليه كـــل يـــوم وليلة وزراً " وتلك هى القوانين وهذا هو الدستور المـــستمد مـــن كتاب الله عز وجل والذي تعلمناه من سنة رسول الله ﷺ فمن أين يأتوا بأفضل منها على وجه الأرض بل في الكون كله فإذا أخذت دولة بهذا القانون وذلك الدستور وطبقته وصلت إلى الكمال كلـــه في تطبيق حقوق الإنسان وفي المواطنة وفي قبول الآخر وفـــي كل المسميات التي نسمع بها هذه الأيام، ثم يكافئ من يؤدي دينه ويعطي الغريم حقه حتى يكون راضياً بأن كل كائنـــات الأرض والبحار إنما تدعو وتستغفر الله له وفي المقابل عقوبة لمن يؤجل قضاء الدين وهو يملكه كما هو كثيراً في أيامنا هذه فهذا عقوبتـــه أن كل يوم يمر عليه ولم يقضي دينه يتراكم عليه الـــوزر حتـــى

يقضيه فهل هناك عدل أكثر من ذلك والله إن هذا الحديث مستمد منه أغلب المواد في قانون العقوبات التي يكتبها البشر بأيديهم .

ورسول الله ﷺ يأتيه أسامة بن زيد ﷺ يشفع في امرأة مخزومية ذات حسب ونسب سرقت فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة إنما هلك من كان قبلكم إذا سرق فيهم القوي تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " من هنا نتعلم أن هلاك الدول والمجتمعات يكون بسبب تفشي الظلم فيها والفساد والذي يبدأ من أعلى القمة من الحاكم عندما يجور ولا يعدل بين الرعية .

وقد تعلم الحكام من بعد رسول الله ﷺ هذا الدرس جيداً فهذا عمر بن الخطاب ﷺ وهو أميراً للمؤمنين وحاكماً للدولة ينشأ خلافاً بينه وبين واحدٍ من الرعية هو أبي بن كعب فيذهبا إلى زيد بن ثابت ﷺ ليحكم بينهما ولما دخلا عليه وجده قد أعد المكان لعمر وبه وسادة مريحة وقال له تعال هنا يا امير المؤمنين فقال له عمر هذا أول الجور والذي نفسي بيده لا يلي زيد قضاءً أبداً حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عند زيد سواء – حتى يكون الحاكم والرعية أمام العدل سواء لكي تستقيم الأمور وينصلح حال الأمة .

ولم يكن الأمر عند هذا الحد فقط وإنما تعداه لما هو أكبر كما يروي لنا أياس بن سلمة رضي الله عنهما قال بينما عمر أمير المؤمنين في السوق يجد سلمة ﷺ في الطريق فخفقه أي

ضربه بالدرة خفقة خفيفة لا توجع وقال له تنحى عن طريق الناس وفي العام القابل جاء عمر ﷺ إلى سلمة ﷺ وقد علم أنه ذاهب إلى الحج وقال له يا سلمة أتريد الحج قال نعم قال هذه ستمائة درهم استعن بها على حجك بخفقة العام الماضي فقال والله يا أمير المؤمنين لا أذكرها وإن كنت فعلتها فإني قد سامحتك فيها فقال له عمر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من أحد يلي من أمور الناس شيئاً لا يعدل فيهم إلا أوقفه الله عز وجل على جسر جهنم فزلزل به زلزلة فناج أو غير ناج فلا يبقى من عظم إلا غادر صاحبه ومن لم ينجو قُذف به في قعر جب مظلم في قعر جهنم " يلي أمر من أمور الناس أمراً واحداً وليس كل الأمور وقد قال من أمور الناس كافة ولم يختص فئة معينة أو طائفة محددة كأن يقول أمر المسلمين إنما يعدل في كل الرعية كل المواطنون في تلك الدولة، وكانت العقوبة أن يقف على جسر جهنم فتصيبه زلزلة تجعل العظم يفارق جسد صاحبه وهذا للذي نجا منها فما بالنا بمن لم ينجو منها فإنما هو في قعر جهنم محبوساً فيها .

وعمر بن الخطاب ﷺ يسأل أبا ذر ﷺ ويقول له لقد قال لي بشر بن عاصم كذا وكذا قال وأنا سمعتها من رسول الله ﷺ ما من أحد يلي أمر واحداً من المسلمين ثم لم يعدل .... – كان الحديث الأول في الجماعة كلها وفي الحديث الثاني من يلي أمر

شخص واحد فقط يجد نفس العقوبة – ثم قال له أيهما أوجع لقلبك يا عمر قال كلاهما ليتني أغادرها لا لي ولا عليّ .

وعمرو بن العاص ﷺ الذي كان حاكماً على مصر عندما حضرته الوفاة جمع أهله حوله وقال لهم لقد مرت حياتي بثلاثة أطوار أما الأول فقد كنت محارباً لرسول الله ﷺ ومشركاً فلو مت كنت من أهل النار وأما الثاني فقد آمنت بالله عز وجل رباً وبمُحمد ﷺ نبياً ورسولاً وكنت له مؤازراً ومعه محارباً فلو مت لكنت من أهل الجنة ثم حكمنا الناس فلا ندري أهي لنا أم علينا .

وطاووس وهو أحد الفقهاء يدخل على هشام بن عبد الملك الذي كان حاكماً عادلاً وكان أيضاً فقيهاً وعالماً فقال له يا أمير المؤمنين أتق يوم الأذان فقال له يا طاووس وما يوم الأذان قال ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [[الأعراف: ٤٤]] عندما سمعها هشام بن عبد الملك خر مغشياً عليه وجاؤا له بالطبيب حتى أفاق فقال له طاووس يا أمير المؤمنين هذا بالسمع فما بالك بالمعاينة .

وعبد الله بن مكحول الدمشقي كان من العلماء يقول إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الظلمة وأعوانهم فلا يبقى أحد حبر لهم دواة ولا برى لهم قلماً إلا جمع معهم فحشروا في تابوت من نار.

وسفيان الثوري وهو من العلماء التابعين يأتيه خياط يحيك الثياب وكان يحيك ثياب السلطان وكان يومها ذلك السلطان جائر وظالم فقال يا سفيان إني أحيك ثياب السلطان فهل أنا من أعوانه

فقال له أنت من الظلمة فقال له ومن أعوانهم قال الذين يبيعون لك الخيط والإبرة .

والحاكم في دين الإسلام مسؤل عن عماله لأنه هو الذي ولاهم فعن جرير بن عبد الله ﷺ قال ضرب أبو موسى الأشعري ﷺ رجل عشرين سوطاً وحلق رأسه فذهب هذا الرجل إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ومعه شعر رأسه ويدخل عليه ويقذف بالشعر في صدره ويقول عاملك أبو موسى ضربني وحلق شعري فماذا يفعل عمر يرسل هذه الرسالة مع الرجل نفسه ليس مع شرطي ولا مع سفير يرسل هذه الرقعة مع الرجل والرجل لا يدرى ما فيها إلى أبي موسى الأشعري يقول فيها لقد جاء فلان وقال كذا وكذا وأقسم بالله إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس فلتجلس إليه يقتص منك في ملأ من الناس وإن كنت فعلت ما فعلت في خفاء فاجلس إليه في خفاء حتى يقتص منك، ويقرأ أبو موسى الرسالة أمام الرجل فيقول له الرجل تركتها لوجه الله عز وجل .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لا تنم

ويقول الإمام الشافعي ﷺ :

رأينا حاكماً متجبراً يرى النجم فيها تحت ظل ركابه

فعما قليل وهو في غفلاته أناخت ظروف الحادثات ببابه

فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى ولا حسنات تلتقى في كتابه

وجوزي بالذي كان فاعلاً وسلط الله عز وجل عليه سوط عذابه

والله عز وجل يقول ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [[إبراهيم: ٤٢-٤٣]]

إن العدل في دولة مُحمد ﷺ هو فرضاً على الحاكم وعلى معاونيه فإذا لم يكن عدل فإن إرادة الله عز وجل قد عُطلت من تنصيب الحاكم لأن إرادة الله من تنصيبه إنما هي لإقامة العدل في الأرض .

حد الحرابة والبغي

يقول رسول الله ﷺ اتقي المحارم تكن أعبد الناس وارضى بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مؤمناً وأحسن إلى جارك تكن مسلماً وإياك وكثرة الضحك فـإن كثرة الضحك تُميت القلب .

ويقول رسول الله ﷺ طوبى لمن تواضع من غير منقـصة وذل نفسه في غير مسألة ورحم أهل الفقر والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة " أي تواضعه لله عز وجل لا لنقص أو عيب فيه ويذل نفسه لله عز وجل من غير مسألة له عند أحد وهو يـرحم الفقير والمسكين ويلتمس له العذر ولا يتعالى عليه وأما مخالطـة أهل الفقه والحكمة فهي من الأمور التي تقرب الإنسان إلـى الله عز وجل وأحب المجالس إلى الله عـز وجـل مجـالس الـذكر ومجالس الذكر هى مجالس العلم، ورسول الله ﷺ يقول لا تُكثـر الحديث بغير ذكر الله عز وجل فإن كثرة الحديث بغير ذكـر الله قسوة في القلب وإن أبعد الناس عن الله عز وجل قاس القلب .

فإذا أراد الإنسان أن يدنو من الله عز وجل مجلساً فلـيكن من الذاكرين فإن الله عز وجل يقول ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [[الرعـد: ٢٨]] وعبـد الله بـن رواحة ﷺ وهو من أصحاب رسول الله يقول لصحابي آخر هيـا

بنا نؤمن ساعة فقال له أولسنا بمؤمنين قال له نذكر الله عز وجل فنزداد إيماناً .

ورسول الله ﷺ جاءنا بتشريع من رب العـــالمين فأمرنـــا ونهانا فيجب علينا أن نأتمر بما أمرنا به وننتهى عما نهانا عنـــه والحرام بين والحلال بين وبينهما أمـــور متـــشابهات أوضـــحها رسول الله ﷺ لهذه الأمة ولم يتركها هملاً فيجب علينا أن نحل ما أحل الله وأن نحرم ما حرم الله ورسوله لأن الله عز وجل يقـــول ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [[النحل: ١١٦]] لا يقـــول إنسان على شيء هذا حلال بغير علم ولا يقول عن شـــيء هـــذا حرام بغير علم، واليهود يقص علينا رسول الله ﷺ من أمـــورهم حتى لا نكون مثلهم فيقول " لعن الله اليهـــود حـــرم الله علـــيهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا ثمنها " ومعناها أن الإنسان منا لا يتحايل على الشيء المحرم حتى يجعله في صـــورة أخـــرى ويقول أنه لم يعد حراماً فإن كل ما وصل إلى الحرام فهو حـــرام كل وسيلة توصل وتؤدي إلى شيء محرم فهي حرام كما صـــنع اليهود عندما حرم الله عز وجل عليهم أن يأكلوا الشحوم فتحايلوا على ذلك التحريم وأتوا بهذه الشحوم وصنعوا منها شموع وألعاب ثم يبيعونها ويشتروا بثمنها طعاماً لذلك يحـــذرنا رســـول الله ﷺ ويقول لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود يستحلون ما حرم الله .

والله عز وجل حرم علينا أكل الخبيث ورسول الله ﷺ بين لنا ذلك الخبيث فإن الخبيث من الأموال السرقة والاختلاس والظلم والربا والتحايل في الكيل والوزن والرشوة وكل مال اكتسب بطريق حرام لأنه أكل أموال الناس بالباطل واغتصاباً للحقوق فإن الله عز وجل يقول ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [[البقرة:١٨٨]] وكذلك يقول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم ﴾ [[النساء: ٢٩]].

وقال رسول الله ﷺ من أخذ مال أخيه بيمينه أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة " من أخذ مال أخيه بيمينه أي أقسم على شيء بأنه يملكه وهو لا يملكه أوجب الله عز وجل له النار وحرم عليه الجنة ولما سمعها أصحاب رسول الله ما تركوها هكذا بل قالوا يا رسول الله أو لو كان شيئاً يسيراً قال ولو كان عوداً من أراك أي عود سواك ما يحل لمسلم أن يأخذه من أخيه إلا بطيب نفس منه .

كان ذلك هو نهج دين الإسلام وأهله وما أمرهم به في أموال الناس والتعامل فيما بينهم فيها بينما نجد اليهود يقولون ليس علينا في الأميين سبيل وهو قول كذب فإن الله عز وجل يقول ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ

سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [[آل عمران: ٧٥]] فكان ذلك هو نهج اليهود يأكلون أموال الناس بالباطل ثم يدعون على الله الكذب بأن الله قد أحل لهم سرقة أموال غير اليهود لذلك يستحلون أكل أموال كل الناس والله عز وجل يخبرنا بأنهم كاذبين ويفترون على الله الكذب وهم يعلمون وكذلك كذبهم رسول الله ﷺ عندما سمع قولهم هذا فقال كذبت يهود فإن كل أمر من أمور الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع إلا الأمانة فإنها مؤداة لكل بر وفاجر .

والله عز وجل يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [[آل عمران: ٧٧]] ذلك قول الله عزوجل في نوع من السرقة قد يستحله بعض الناس بأن يقسم بالله على شيء ويغلظ في الإيمان معتمداً على أن من يسمعه ما يظن أنه يقسم بالله كذباً فيأكل بهذا القسم وهذه الأيمان أموال الناس بالباطل فهو نوع من السرقة التي حرمها الله عز وجل وجعل للسرقة حداً يُطبق على السارق بأن تُقطع يده ولكن ليست كل سرقة فيها قطع اليد فإن الذي يسرق ليأكل لا قطع فيه وكذلك السرقة التي لا تصل إلى حد النصاب لا قطع فيها وما كانت من حرز فإنه له فيها ثمنها مرتين وضرب نكال وتسمى هذه سرقة صغرى فما هى السرقة الكبرى إنما هى قطع الطريق لسرقة

الأموال وهى العصابات من أهل الإجرام حتى وإن كان رجلاً واحداً أو امرأة .

في أحد الأيام جاء قوم من البادية إلى رسول الله ﷺ وكانوا ضعاف الأبدان ومرضى لا يقوى الواحد منهم على السير من شدة الضعف والمرض فأشفق عليهم وعندما دخلوا على رسول الله قالوا إنا من أهل الإسلام أي أعلنوا إسلامهم عند رسول الله ﷺ وهو الذي قلبه ملئ بالرحمة والشفقة فجعلهم في إبل الصدقة لكي يستشفون من اللقاح الذي تدره الإبل فيشربوا من لبنها ويأكلوا من لحومها فلما صحت الأبدان وقويت الأجسام واستردوا عافيتهم انقلبوا إلى أقسى القلوب وأشد الإجرام فما كان منهم إلا أن قتلوا راعي الإبل وفقأوا عينيه ثم سرقوا الإبل وفروا بها هاربين فأرسل رسول الله ﷺ في أثرهم فجاؤا بهم فكيف يكون العقاب لهذه الفئة الباغية بكل المقاييس والتي ارتكبت أكثر من جريمة شنعاء في وقت واحد ورسول الله ﷺ يريد أن يعلمنا بل ويعلم العالم أجمع عن دين الإسلام الذي يتهمونه بالقسوة والعنف في تطبيق الحدود فهؤلاء خانوا الأمانة وقابلوا الإحسان بالسوء ثم قتلوا ومثلوا وسرقوا وهربوا بأموال كل المسلمين لأنها أموال الصدقة فماذا يكون العقاب حتى يكون رادعاً لأمثالهم فكان أمر الله عز وجل ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ

يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [[المائدة: ٣٣]] فأمر رسول الله ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتركهم يستسقون فلا يسقون يطلبون الماء فلا يأخذونه .

وعلي بن أبي طالب ﷺ وهو أمير للمؤمنين وعندما قتلـه من قتله وهو على فراش الموت يقول لمـن حولـه مـن أهلـه وعشيرته يوصيهم بالعدل في القصاص وعدم الإعتداء فيقول لهم إذا تمكنتم من الرجل فإنما هى ضربة بضربة ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلى ولو بكلب عقور .

لذلك عندما سأل رسول الله جبريل عليه السلام عن عقوبة الذين يقطعون الطريق ويتربصون بالناس لسرقتهم أو لقتلهم فقال من سرق وأخاف فاقطع يده وذلك عقاب السرقة ثم عقاب قطـع الطريق قطع الرجل ثم إذا اقترن ذلك بالقتل فإنه يقتـل لأن مـن قتل يُقتل وإذا اغتصب النساء فإنه يُـصلب، لأن رسـول الله ﷺ يقول " الإنسان بنيان الله في أرضه ملعون من هدم بنيانه " لذلك كان القتل هو الجزاء العادل لمن قتل .

إذا كانت هذه العقوبات فيها شدة أليست الجريمة أشد فـإن العقاب يكون من جنسها وإذا لم يكن كذلك كان ظلماً بيناً للمجني عليه وليس المجني عليه وحده وإنما بالغالبية العظمى من بـاقي أفراد المجتمع الذين تم تـرويعهم وإرهـابهم وخـوفهم وعـدم شعورهم بالأمن والأمان نتيجة تلك الجرائم التي ارتكبها هـؤلاء المجرمون فإن ذلك ظلماً لكل أفراد المجتمع .

ذلك المجرم الذي قطع الطريق وفعل تلك الجرائم إذا تاب وأناب وعاد إلى أهل الإسلام قبل أن يتمكن منه أحد فإنه لا عقوبة عليه لأن الله عز وجل يريد للناس أن تعود إلى الإيمان وإلى التقوى وأن تكون لبنة في بناء المجتمع وقد حدث ذلك الأمر فقد كان هناك رجل يسمى علي الأسدي كان يقطع الطريق ويسرق الناس في مكان بعيد ولكن الله عز وجل أراد له الهداية فمر من أمامه رجل يقرأ القرآن فسمعه يتلو قول الله عز وجل ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [[الزمر: ٥٣]] عندما سمعها من الرجل نزل إليه وقال له أعدها عليّ فأعادها فإذا به ينطلق إلى مسجد رسول الله ﷺ بعد أن اغتسل وتاب وأناب ودخل المسجد يصلي والناس في المسجد كلهم يعرفونه ويعرفون أفعاله وجرائمه فيتجمعون حوله وهو يصلي وبعد أن فرغ من الصلاة قال لا تقدروا عليّ فإني تبت قبل أن تتمكنوا مني وكان أبو هريرة ﷺ موجوداً فقال لقد صدق لأن الله عز وجل يقول ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [[المائدة: ٣٤]] أراد الله عز وجل له التوبة فلا يستطيع إنسان أن يمنعها عنه لأن الله هو الغفور الرحيم فإن أمره إلى الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فمن اقترف شيئاً من المعاصي عليه أن يبادر إلى التوبة النصوح ويعقد العزم على ألا يعود إليه أبداً ويحاول أن

يرد الحقوق إلى أصحابها فإن هذه التوبة مقبولة عنـــد الله عـــز وجل الذي لا يخيب رجاء من أتاه تائباً فإن رســـول الله ﷺ هـــو الذي قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيجب على كل مـسلم أن يكثر من الاستغفار والتوبة وأن يكثر من ذكر الله عز وجـــل فإن الحسنات يذهبن السيئات فقد جاء رجل إلـــى رســـول الله ﷺ وقال له يا رسول الله إني اقترفت ذنباً عظيماً أليس لي توبة فلـــم يستطع رسول الله أن يجبه فنزل قول الله عز وجل ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [[هود: ١١٤]]

يقول رسول الله ﷺ من فرج عن مسلم كربة مـــن كـــرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مـــسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم الرحمـــة وغشيتهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله عز وجـــل فـــيمن عنده " ويقول قائل :

لم أرى الـــسعادة جمـــع مـــال

ولكـــن التقـــي هـــو الـــسعيد

تقـــوى الله خـــير الـــزاد زخـــراً

وعنـــد الله للأتقـــى مزيـــد

ليست سعة الرزق سبب السعادة إنما الذي يبلـــغ الـــسعادة . تقوى الله عز وجل وتقوى الله كما عرفها عبد الله بن مسعود ﷺ

فقال تقوى الله عز وجل حق تقاته أن يطاع فلا يعصى وأن يُشكر فلا يُكفر وأن يذكر فلا يُنسى، وإن ذكر الله يغلب ذكر الشهوات ويغلب فعل الشيطان وكل الوساوس التي تخرج الإنسان من ذكر الله إلى ما سواه .

إن دين الإسلام إنما له جناحان قرآن وسنة شارحة ومفسرة لهذا القرآن ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نتبع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده لماذا لأنهم هم أعلم الناس بسنته، والإمام الشافعي ﷺ بعد أن فرغ من مذهبه وأتمه قال إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بكلامي عرض الحائط، حتى لا يأتي من يقول يوم القيامة قال الشافعي أو قال فلان أو فلان مادام هناك قول لرسول الله ﷺ لأن رسول الله الذي علمه هو جبريل بأمر من الله عز وجل ومبلغاً عنه ولذلك فإن عبادة الله عز وجل لا تكون بالهوى وإنما تكون كما كان يعبد رسول الله ﷺ ربه وكما أمرنا أن نعبد فلا يقبل الله عز وجل منا صلاة إلا الصلاة التي علمنا إياها رسول الله ﷺ بكل ما فيها من حركات وسكنات ونية وخشوع وتلاوة وسجوداً وركوعاً وتسليماً بغير زيادة أو نقصان .

إن الحدود التي شرعها الله عز وجل كانت العقوبات فيها على قدر الجرم الذي ارتكب وبالكيفية التي تحفظ للمجتمع كيانه ووحدته كما في حد الحرابة وهى قطع الطريق والاستيلاء على أموال الناس .

والحدود في دين الإسلام جاءت على سبعة أمور هى الزنا والقذف والسكر والسرقة والحرابة والبغي والردة، والبغي هو أن تقوم طائفة من أهل الإسلام قوية لها قيادة ولها هدف تسعى إليه كأن تخرج على النظام العام أو تخرج على حاكم عادل هذه الطائفة من أهل الإيمان إذا خرجت بتلك الصورة يطلق عليها في شرع الإسلام البغاة والله عز وجل يقول ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [[الحجرات: ٩]] وهذه الآية إنما توضح معنى البغي من طائفة على أخرى وكيفية التعامل معها والحكم بينهما وهذا البغي هو ما يحدث ونراه اليوم من صراعات وتنازع بين أهل الإسلام وتعد من طائفة على أخرى بالعدوان صراعات إنما تأكل الأخضر واليابس بين أخوة في الدين والعقيدة وكل هذه الصراعات بفعل فاعل العدو الذي يريد أن يفرق تلك الأمة فتأكل بعضها بعضاً وقد نالت منهم تلك الفتن أشد منال لأنهم لم يحكموا شرع الله عز وجل بينهم ولم يأتمروا بما أمرهم به الله ورسوله ولم يحكموا بالعدل والقسط ولم يأخذوا بحد الله عز وجل في البغي ألم يعلموا أن رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت الحرام سمعه عبد الله بن عمر ﷺ وهو يقول ويكلم الكعبة المشرفة يقول والله ما أطيبك وما أطيب ريحك وما أعظمك وما أعظم حرمتك والذي نفس

مُحمد بيده إن حرمة المؤمن أشد عند الله منك دمه وماله وعرضه " فكيف بهم يستحل بعضهم دماء بعض، ويقول رسول الله ﷺ " لم يزل المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً " ويقول كذلك " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لقد كان حريصاً على قتل صاحبه " ويقول أيضاً " إذا المسلمان رفع أحدهما على أخيه السلاح كانا على حرف جهنم فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعاً " وذلك حتى لا يفكر أحد أن يصارع أخ له أو حتى يلوح له بالسلاح تفادياً للشجار الذي يؤجج العداوة في القلوب لذلك يقول رسول الله ﷺ لا يحمل أحدكم على أخيه السلاح فلعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار " ورغم كل ذلك لا يمنع دين الإسلام الناس أن تدافع عن انفسها ضد المعتدي الباغي ضد المفسد لأن رسول الله ﷺ قال من مات دون ماله فهو شهيد ومن مات دون عرضه فهو شهيد ومن مات دون دينه فهو شهيد .

وإن هذا البغي ما أخرج طائفة من الطائفتين من دين الإسلام لأن الله نعتهم بأنهما طائفتان من المؤمنين اقتتلوا لذلك عندما جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في وقت محنته عندما تكالب عليه الخصوم قال له يا إمام أهؤلاء الذين يحاربونك مشركون قال له والله إنهم من الشرك فروا فقال يا إمام أتقول عنهم أنهم من أهل النفاق قال إن المنافقين

لا يذكرون الله إلا قليلاً فقال له يا إمام وما تقول فيهم قال إخواننا بغوا علينا، لذلك قال أهل الفقه في دين الإسلام أن القتيل من الطائفتين يصلى عليه ويكفن ويدفن في مقابر المسلمين وإن كان من الطائفة الباغية وأما إن كان من الطائفة الأخرى المعتدى عليها فيكون القتيل شهيداً .

أن دين الإسلام لم يترك أهله هملاً وإن رسول الله ﷺ لم يغادر الدنيا حتى بين لنا كل صغيرة وكبيرة في أمور ديننا ودنيانا وأن الحدود التي أمر بها ما كانت إلا جوابر وزواجر أي تجبر الذنب وتمنع عن المعصية والإثم، ومن وقع في شيء منها فستر على نفسه ستر الله عليه والذي يعود تائباً فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ذلك هو ربكم العزيز الرحيم ما خلق العباد لكي يعذبهم وليكونوا من أهل الجحيم ولكن الله عز وجل أراد بها أن يمتحن الخلق ويعلم من يقوم على الحق ومن يقوم على النقيض .

إن الحكم لله

إن الله عز وجل جعل الدين في الأرض حتى يكـــون بـــين الناس شريعة يحتكمون إليها فيما بينهم لا أن يكون مصحفاً فقــط يوضع في الجيوب بل منهجاً مكانه الصدور وتطبقه العقول، لذلك لا يجوز ولا ينبغي ولا يتصور أحد ان يكون هناك حكمـــاً فـــي الأرض كل الأرض إلا حكم الله عز وجل وما تلــك الأرض إلا جزء من الكون الذي خلقه الله عز وجل بيديه يسير بأمره وطبقاً لقانون هو خالقه ليعمل عمله في هذا الكون وإن اختل هذا القانون الذي يحكم ذلك الكون كانت النهاية له والفناء، وكذلك الأمر فـــي الأرض إن لم يحكم شرع الله بين الناس كان هلاكهم وقـــد ورد هذا المعنى بكل وضوح في حديث رسول الله ﷺ الذي هو بمثابة دستور كامل لكل أمة أرادت التقدم والعلو قال فيه لأصحابه "كيف أنتم إذا ظهر فيكم خمس أعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يُعمل بها علانية إلا سلط الله علـــيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم وما منع قوم زكـــاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا ومـــا بخس قوم المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما لم يحكم أمراءهم بكتاب الله وسنة رسوله إلا ســـلط الله عليهم عدوا من غيرهم فاستنقذوا بعضاً مما في أيديهم وما لم

يحكموا شرع الله فيما بينهم إلا جعل الله عز وجل بأسهم بينهم شديد .

وإن الله عز وجل أنزل القرآن لكي يسود ويحكم العباد والبلاد ذلك القرآن الذي فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم ما تركه من جبار إلا قسمه الله عز وجل ومن ابتغى العزة في غيره أذله الله فهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاءه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه .

والله عز وجل يقول ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [[يوسف : ٤٠]] فإن كل قانون وكل كتاب من صنع البشر لا يكون مستمداً من شرع الله لا يجوز ولا يصلح لأن يحكم بين الناس وإن وضعه فلان أو علان أو أين كان من الأسماء فهو في النهاية بشر بل يكون الحكم لمن خلق هؤلاء البشر لأنه أدرى بما يقيم أمور حياتهم لذلك أنزل الله على رسوله ذلك الكتاب ليحكم بين الناس ويقول الله عز وجل ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [[النساء: ١٠٥]] أي أن رسول الله ﷺ هو الذي يحكم بين الناس ولكن بماذا ليس بما يراه هو أو بما يريد وإنما بما أراه الله وأمره وبما يريد الله عز وجل، فكان كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله هما الشرع والشريعة التي يجب أن

تحكم الأرض شرقها وغربها فإن زيادة رقعة دولة الإسلام واتساع حدودها بانتشار أهل الإسلام فيها يجعل حدود تطبيق شرع الله تتسع لتشمل كل الأرض التي فيها من يقول لا إله إلا الله مُحمد رسول الله وبذلك يحكم شرع الله عز وجل الأرض من شرقها إلى غربها وأما إذا ضللنا عن كتاب الله وسنة رسوله ولم يكن شرع الله هو الحاكم فينا فإننا نجد الأرض تنقص من تحت أقدامنا وتتكمش حدود الدولة الإسلامية بل ويتوغل فيها من ليس منها كما هو الحال في دولة فلسطين المحتلة .

بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ﷺ حاكماً إلى اليمن أميراً عليهم فقال له يا معاذ بما تحكم إذا عُرض عليك قضاء قال بكتاب الله عز وجل قال فإن لم تجد قال فبسنتك يا رسول الله قال فإن لم تجد قال أجتهد ولا آلو " إذن كتاب الله عز وجل هو الأساس والمرجع والمهيمن على كل فكر فإن سنة رسول الله ﷺ مستمدة من هذا الكتاب ويقول الإمام الشافعي ﷺ كل ما حكم به مُحمد عليه أفضل الصلاة والسلام هو مما فهمه من القرآن " فإن رسول الله هو المفسر الأول لكتاب الله عز وجل وتأتي مرحلة الاجتهاد في المرتبة الثالثة عند وجود أمور مستحدثة والذين لهم حق الاجتهاد إنما هم أهل العلم والنظر الثاقب .

ويقول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [[النساء: ٥٨]] هذه الآية من كتاب الله عز وجل إنما حكم بها حكام

الإسلام الأوائل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعاً وكل من حكم بشرع الإسلام إنما كانت تلك الآية هي الجوهر الذي يلتفون حوله فإن عمر بن الخطاب ﷺ وقف في الناس خطيباً فقال أيها الناس اقرأوا القرآن تُعرفون به واعملوا به تكونوا من أهله " لأن الله عز وجل أنزل القرآن ليتعبد به الناس قراءة وليعمل الناس بما جاء فيه ويتخذونه دستوراً، ثم يقول إنه لن يضر المرء أن يقول صدقاً فإن الكذب لن يؤجل من أجل ولن يقدم من رزق ألا إني وجدت صلاح ما ولاني الله فيه إلا بثلاث أداء الأمانة والأخذ بالقوة والحكم بما أنزل الله عز وجل، فكانت تلك الثلاثة التي جعلها أمير المؤمنين وقائد تلك الدولة المترامية الأطراف في عصره والقوة العظمى الوحيدة في ذلك الوقت ما كانت وما وجدت واستمرت إلا بتلك الثلاث والتي أصبح هو بها من أعظم الحكام والقدوة لكل حاكم من بعده وهو الذي قال فيه علي بن أبي طالب ﷺ إن الله عز وجل جعل عمر حجة على الولاة من بعده فوالله لقد سبق سبقاً عظيماً وفاز فوزاً عظيماً .

ثم يقول عمر ﷺ ولم أجد صلاح مالكم إلا في ثلاث أن يؤخذ من حق ويُعطى في حق ويُمنع عن حق ألا إني في مالكم كوال اليتيم إن استغنيت عففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف، وما جاء عمر بكل ما جاء به إلا من علمه وحرصه على تطبيق شرع الله عز وجل في الأرض وألا يكون الحكم إلا لله عز وجل

لأنه أخذها وتعلمها من القائد الأول والمعلم الأول ألا وهو رسول الله ﷺ .

ثم لننظر إلى النتائج فهى خير برهان ودليل عندما كان الحكم بما أنزل الله عز وجل كانت الثمرة والنتيجة الحتمية أن ساد العدل في الدولة وعلم كل من فيها ما له وما عليه فأداه وعلم كل من فيها أن شرع الله هو الذي يحكمه ويحكم غيره فاستراح واطمئن بأنه يُحكم بالعدل فما كان من تلك الدولة إلا أن اتسعت رقعتها وزادت قوتها وارتفعت رايتها وتقدمت على كل الأمم من حولها لأنها دولة قامت على أسس وضعها الله الحكيم العليم أسس العدل والشورى .

ونجد على النقيض من تلك، الدولة لا تحكم بما أنزل الله عز وجل فما كانت النتيجة وما يكون شأنها ومآلها ولقد أخبرنا بها رسول الله ﷺ قبل أن نراها بأعيينا وأوضح لنا عاقبة الظلم والاستبداد فقال في حديث رواه معاوية بن أبي سفيان ﷺ عندما كان أميراً للمؤمنين وفي خطبة جمعة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول سيكون من بعدي أمراء يقولون ولا يُرد عليهم يُقحمون في النار تقاحم القردة " ذلك لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله فكان الظلم والديكتاتورية والاستبداد، فكم من ممالك قامت وكانت ملء السمع والبصر ولكن ساد فيهم الظلم والفساد والاستبداد فما عادت يذكرها أحد وكان مآلها إلى الهلاك والفناء .

إن الله عز وجل أنزل كتابه ليسود ويحكم بين النـــاس والله عز وجـــل يقـــول ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [[المائدة: ٤٨]]

فكان كتاب الله عز وجل هو المهيمن هـــو الناســـخ لكـــل الأحكام قبله سواء كانت في التوراة أم الإنجيل أو أي كتاب آخر.

والله عز وجل يقول ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [[المائدة: ٤٩-٥٠]] فإن الحكم الذي يخالف حكم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله نُعت بأنه حكم جاهلية وتخلـــف وعودة إلى الوراء كما يقول الله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [[النساء ٦٠ -٦١]] فكل حكم سوى حكم الله نُعـــت بأنـــه طاغوت وإذا دعوت الناس إلى الحكم بشريعة الله عز وجل وحكم رسول الله ﷺ نجد من يتصدى لها من أهل النفاق ويقولون عكس

ما قال الله عز وجل يقولون إنها شريعة قديمة عفا عليها الـزمن ولا تصلح لعصرنا هذا وإنها عودة إلى الوراء وإلـى الجاهليـة وهؤلاء إنما أخبرنا الله عنهم بكل وضوح في تلك الآيات السابقة ونعتهم بأنهم المنافقون فإنهم منافقون بكل يقين لأن الله عز وجل هو قائلها، لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بـه أولهـا ورسول الله ﷺ يقول " والذي نفسي بيده لا يؤمن أحـدكم حتـى يكون هواه تبعاً لما جئت به .

والله عز وجل يقول ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [[الأحزاب: ٣٦]]

كما تكونوا يولى عليكم

قال رسول الله ﷺ كما تكونوا يولى عليكم فإن الحاكم إنما هو منكم " أليس الحاكم من الشعب فإذا كان الحاكم صالحاً فقد خرج من قوم صالحين وإن كان فاسداً فلا تلوموا إلا أنفسكم فإن أكثرنا فاسدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والله عز وجل إنما نصب داود عليه السلام نبياً ورسولاً وحاكماً وعندما نصبه حاكماً قال له ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [[ص: ٢٦]] فكانت تلك الأوامر من الله عز وجل لنبيه ورسوله داود هى كذلك لكل حاكم يتولى حكم الناس في الأرض كما أنه موجهاً كذلك للمحكومين فقد ورد بالأثر أن الله عز وجل كلم داود فقال له يا داود أنا ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فإذا كان الناس على الطاعة جعلت الملوك عليهم رحمة وإذا كانوا على المعصية جعلت الملوك عليهم نقمة .

من ذلك يتضح أن المحكوم هو الذي يتحكم في سلوك الحاكم بإرادة الله عز وجل، وعلي بن أبي طالب ﷺ يقول كنت إذا أتيت رسول الله ﷺ أمسكت فيبدأني وكنت إذا سألته أنبأني وأنه حدثني عن ربه عز وجل أنه قال وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على ما

كرهته من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي " وذلك قول الله عز وجل ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [[الرعد: ١١]] في ذلك الحديث إنما يبلغنا رسول الله ﷺ رسالة رب العالمين ويقول لنا أنه ما من أهل بلد حتى ولو كان بيتاً أو اسرة وكان أهلها على معصية لله عز وجل وعلى ما يكره ثم يتحولون عنها إلى الطاعة فإن الله عز وجل يكافأهم بأن يحول عنهم عذابه إلى رحمته ويولي الله عليهم من يرحمهم وكذلك العكس صحيح والله عز وجل يقول ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ النحل ١١٢ يضيق الله عز وجل عليهم في العيش ويصيبهم بعدم الأمان والخوف فلا يأمن الواحد منهم على نفسه أو ماله أو عرضه بما اقترفته أيديهم وذلك بنص آيات الله عز وجل حيث قال ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [[الأعراف:٩٦]] إذا صلح الحاكم صلحت الرعية وإذا صلحت الرعية أيضاً صلح الحاكم بأمر وإرادة من الله عز وجل فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عندما فتحت جيوشه بلاد فارس بما فيها من كنوز

كسرى كان قائد الجيش هو سعد بن أبي وقاص ﷺ وضع تلك الكنوز وما أدراك ما كنوز كسرى وضعها في صناديق وأمر جندي من عامة جنود الجيش ما ذكر اسمه في كتب التاريخ ولا في كتب السيرة الموثقة ولكن الرواية موثقة أمره أن يسير بكل تلك الكنوز ويسير بها في الصحاري محمولة على دواب من بلاد فارس إلى مدينة رسول الله ﷺ حيث مقر الخلافة حيث أمير المؤمنين عمر ودخل بها إلى المسجد ووضع هذه الحمولة أمام أمير المؤمنين وقال هذه كنوز كسرى فينظر إليها أمير المؤمنين يجدها كنوزاً بالمليارات ثم ينظر إلى الجندي ويتعجب فإنه لو أراد أن يهرب بها في الصحراء المترامية لفعل وما عثر عليه أحد فقال إن الذي أدى إلينا هذا لأمين فيرد علي بن أبي طالب ﷺ ويقول يا أمير المؤمنين لقد عففت فعفوا ولو سرقت لسرقوا " إذن المسألة في القدوة والقائد إن صلح صلح حال الأمة وإن فسد فسد حال الأمة .

ولننظر إلى أمير من أمراء بني أمية يقف في الناس خطيباً فيقول لهم يا معشر الرعية إنصفونا من أنفسكم – وهذا ينطبق على كل حاكم إلى يوم الدين – تريدون منا أن نسير فيكم سيرة أبي بكر وعمر وأنتم لا تفعلون فعل رعيتهم .

من هنا كان ذلك الأمير محقاً فإن فعل الرعية في عهد أبى بكر وعمر كان كله إيمان وتقوى لله عز وجل فكانوا بصلاحهم أن ولى الله عليهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

وفي يوم من الأيام أحد الأمراء يرسل جيشاً لمحاربة عدو له وجمع أهل الرأي في الأمة من العلماء وقال لهم أدعوا للجيش بالنصر والتمكين فدعوا أمامه بينما انهزم الجيش ورجع مكسوراً فجمع هؤلاء العلماء الذين أمرهم بالدعاء ولم يستجب الله لهم وقال لهم انظروا في أنفسكم أنتم لستم من الدعاة الأتقياء ولستم ولستم هو حاكم وهم رعية رئيس جمهورية وشعب فماذا كانت إجابتهم قالوا له نحن وأنت في الشر سواء فإن رسول الله ﷺ يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وإلا ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يُستجاب لهم "

فكان الحاكم الشرير وكان الشعب أشر منه بنص حديث رسول الله ﷺ والله عز وجل يقول ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ...... ﴾ [[طه: ١٢٣]] فإذا رأى الناس أنفسهم في شقاء وضيق من العيش فلينظروا في أنفسهم وأعمالهم وموقعهم من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله ولينظروا إلى ولاة أمورهم وما يحمكونهم به فإن الله عز وجل يقول ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [[طه: ١٢٤-١٢٦]] فمن أعرض عن دين الإسلام وشرع الله عز وجل وطلب الحكم من غير كتاب الله وسنة رسوله فلا يلومن إلا نفسه إن أورده ذلك المهالك لأنه من أعمالكم سُلط عليكم والله عز وجل

يقول ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [[النحل :٩٧]]

والناس كل الناس تنظر إلى الحاكم على أنه هو من يجلب لهم الرخاء والسعادة أو هو الذي منع عنهم الخير وجعلهم في شقاء وهذا ظن خطأ وصاحبه على خطر عظيم وكذلك الحاكم لا يظن أنه بإمكانه أن يجلب للناس الخير فإنه كذلك على خطر عظيم لأن الفضل والرخاء وسعة الرزق إنما هى أمور بيد الله عز وجل لا شريك له فيها ولننظر إلى رسول الله ﷺ وهو المؤيد بالوحي من رب العالمين فهل يطعن في حكمه أحد أو يقول واحداً أنه ما حكم بما أمر الله ولكنه وفي زمانه ما كان الأمر يخلوا من سنين قحط وجدب وقلة في الزاد فإن في عهده جاء جماعة من الأشعريين يطلبون منه صدقات أو أعطيات ولما وصلوا إلى بابه سمعوه يتلوا قول الله عز وجل ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [[هود: ٦]] فرجعوا ولم يدخلوا ويطلبوا من رسول الله ﷺ الصدقة وعندما عادوا إلى قومهم سألوهم ماذا جئتم به قالوا جئنا بذلك الكنز نحن لسنا أهون على الله من الدواب فإن الله عز وجل هو رازقنا ومعطينا وكافينا .

وكذلك جاء قوم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو الذي عُرف عنه العدل والحكم بما أنزل الله عز وجل

وبشرعه وقالوا له يا أمير المؤمنين وكانوا من البادية قالوا أصابتنا سنون جدب أذابت اللحم وأكلت العظم وأنت يا أمير المؤمنين عندك فضل أموال فإن كانت لنا فلما تحرمنا حقنا وإن كانت لله فأعطنا من مال الله الذي أعطاك وإن كانت هي لك فتصدق علينا فإن الله يجزي المتصدقين – وتلك المقالة من ذلك الرجل تدلنا على أن الحاكم لا يملك للناس نفعاً ولا ضراً والله عز وجل يقول في آية وما كانت خاصة لرسول الله ﷺ وحده وإنما هى عامة لكل حاكم فيقول ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف ١٨٨ فإذا كان ذلك في حق مُحمد ﷺ فهو كذلك في حق كل حاكم من بعده وكل محكوم لأن الله عز وجل يقول ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [[الأحزاب: ١٧]] من الذي يعصمك فإن الحاكم لا يملك أن يعصم نفسه وكل الناس تشاهد وتعاين كم كانت السلطة والهيمنة وكم كان الجنود والعدة والسلاح ولم يغني كل هذا من أمر الله شيئاً .

فإياك أن تظن أن الحاكم يملك أن يزيد رزقك أو ينقصه لأن الله هو الرزاق وهو الذي يقول ﴿ ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [[الحجر: ٢١]] الله عز وجل إن شاء يفتح خزائنه وإن أغلقها فلا يستطيع أحد أن يفتحها لأنه يقول

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [[فاطر : ٢]]

والحسن البصري ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ لعن الله عز وجل أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لا يصدقونه فإن الله عز وجل يقول ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [[الزاريات: ٢٢-٢٣]]

ورسول الله ﷺ يقول لا تحمدن أحد على فضل الله ولا تذمن أحد على ما لم يأتك به الله فإن رزقك لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كره كاره "

ورسول الله ﷺ يقول إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفساً حتى تستوفي رزقها ولن تموت نفساً حتى تستكمل أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

نحن أهل الإسلام لو عرضنا حديثاً أو اثنين من أحاديث رسول الله ﷺ ونقول للرعية والحاكم اعرضوا أنفسكم على قول رسول الله فإن كنتم مع قوله أنزل الله عز وجل عليكم الخير من السماء وصب عليكم الرزق صباً وجعلكم في بحبوحة وخير، اعرض نفسك عليه فقرة فقرة وانظر هل أنت مع هذه الفقرة أو لا فإذا كنت معها كنت مع الله عز وجل وكما يريد رسوله وإن كنت ضدها فأصلح من نفسك فإن أصلحت من نفسك فإن الله عز وجل يصلح من يحكمك أما إذا وجدت من يحكمك طاغية فلا

تلومن إلا نفسك فعن سلمان الفارسي ﷺ وعظنا رسـول الله ﷺ موعظة أسمعت ذوات الخدور قال يا معشر من آمن بلسانه ولـم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عـوراتهم فـإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف رحله كما تكونوا يولى عليكم – كمـا تكونـوا يحكمكـم ويعاقبكم الله عز وجل بحاكم متسلط جبار وإذا كنتم مع الله عـز وجل جعل فى قلب من يحكمكم الرحمة والعدل .

الحاكم والمحكوم لابد أن يقفوا أمام رب العالمين فإن عمر ﷺ الحاكم يقول تزينوا للعرض الأكبر يوم تُعرضـون لا تخفـى منكم خافية .

وكل بن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على النعش محمول

فإذا كان الأمر كذلك فيجب على كل إنسان أن يعد العدة يا أيهـا الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمـال الـصالحة قبل أن تُشغلوا وصلوا ما بينكم وبين ربكم بكثـرة ذكـركم لـه وبكثرة الصدقة في السر والعلن تؤجروا وتجبروا وتنصروا .

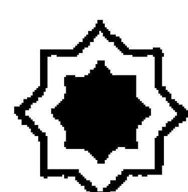


بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ

في

الحاكم والمحكوم



١- عن عائشة (ﷺ) قالت : قـــال رســـول الله (ﷺ) : أبـــى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر. مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٢- عن عبادة بن الصامت (ﷺ) قال : قلنا على ما نبايعــك يـــا رسول الله (ﷺ) قال : أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شــيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تــأتوا ببهتـــان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمـــن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شــيئاً فأخــذ بحده في الدنيا فهو له كفارة وطهور ومن ستره الله فذلك إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. مسند أحمد بن حنبل والنسائي .

٣- عن سعيد بن زيد وعن عبد الرحمن بن عوف قـــال : قـــال رسول الله (ﷺ) أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمـــان في الجنة وعلى في الجنة و طلحه في الجنة والزبيــر فـــي الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيده بن الجراح في الجنة . مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٤- عن أنس وجابر وأبي سعيد قال : قال رسول الله (ﷺ) أبـــو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخــرين إلا النبيين والمرسلين. مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٥- عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله (ﷺ) اتق الله يا أبا الوليد لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله وله رغاء أو بقـرة لها خوار أو شاة لها ثؤاج. عند الطبرانى .

٦- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : أتـق المحـارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنـى النـاس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفـسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب. مسند الأمام – أحمد بن حنبل .

٧- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) اتقوا الظلـم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . المسند للإمام أحمـد وعنـد الطبرانى .

٨- عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (ﷺ) اتقوا الظلـم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة و اتقوا الشح فإن الشح أهلـك من كان قبلكم حملهم على أن سـفكوا دمـائهم و اسـتحلوا محارمهم . صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد .

٩- عن أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله (ﷺ) اتقوا الله فإن أخونكم عندنا من طلب العمل . عند الطبرانى .

١٠- عن خزيمة بن ثابت قال : قال رسـول الله (ﷺ) : اتقـوا دعوة المظلوم فإنها تحمل فوق الغمـام يقـول الله وعزتـي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين . عند الطبرانى .

١١- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) : اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة . قال الألباني صحيح من الجامع الصغير .

١٢- عن أنس بن مالك (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب . المسند لأحمد بن حنبل .

١٣- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما وعن على موقوفاً. المسند للإمام أحمد بن حنبل .

١٤- عن عائشة (ﷺ) قالت : قال رسول الله (ﷺ) إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه. قال الألباني : صحيح في الجامع الصغير

١٥- عن أبي بكرة قال : قال رسول الله (ﷺ) إذا التقي المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه. مسند الإمام أحمد وعن أبي موسى الأشعري .

١٦- عن أبي بكرة قال : قال رسول الله (ﷺ) إذا التقي المسلمان وحمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على جـرف جهـنم. مسلم، وأحمد .

١٧- عن أبي هريرة (ﷺ) وعن عمرو بن العاص قـال : قـال رسول (ﷺ) إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجـران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد. الجامع الـصغير ومـسند الإمام أحمد بن حنبل قال الألباني صحيح .

١٨- عن أنس بن مالك (ﷺ) قـال : قـال رسـول الله (ﷺ) إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قلتم فأحسنوا فإن الله يحـب المحـسنين. الجامع الصغير قال الألباني حسن .

١٩- عن أبي بكرة قال : قال رسول الله (ﷺ) إذا شهر المـسلم على أخيه سلاحاً فلا تزال الملائكة تلعنه حتى يشيمه عنه . عن البزار قال الألباني حسن .

٢٠- عن عبد الله بن عمرو قال : قـال رسـول الله (ﷺ) : إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم قيل : نكون كما أمر الله قال أو غير ذلك تنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثـم تتباغضون ثم تنطلقون في مـساكن المهـاجرين فتجعلـون بعضهم على رقاب بعض . صحيح مسلم .

٢١- عن كعب بن مالك قال : قال رسول الله (ﷺ) : إذا فتحـت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحمـاً . عنـد الطبراني، الجامع الصغير قال الألباني : صحيح .

٢٢- عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله (ﷺ) إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فهو كقتله ولعن المؤمن كقتله. عند الطبراني قال الألباني صحيح .

٢٣- عن بريدة قال : قال رسول الله (ﷺ) إذا قال الرجل للمنافق يا سيد فقد أغضب ربه . الجامع الصغير قال الألباني : حسن .

٢٤- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم . صحيح مسلم و المسند لأحمد بن حنبل .

٢٥- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) : أرفق أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان و أقضاهم علي وأفرضهم زيد بن ثابت واقرأهم أُبي و أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيده بن الجراح . الجامع الصغير قال الألباني : صحيح .

٢٦- عن أبي ذر قال : قال رسول الله (ﷺ) اسمع وأطع ولو لعبد حبشي مجدع الأطراف . صحيح مسلم والمسند للأمام أحمد بن حنبل .

٢٧- عن وائلة قال : قال رسول الله (ﷺ) اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم . صحيح مسلم والبخاري في التاريخ .

٢٨- عن أنس بن مالك (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأســه زبيبــة. صحيح مسلم والبخاري .

٢٩- عن أبي هريرة (ﷺ) وعن بن عباس قال : قــال رســول (ﷺ) أشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك لا ملك إلا الله . مسند الإمام أحمد بن حنبل قال الألباني صحيح .

٣٠- عن أخت حزيفة بن اليمان قالت : قال رسول الله (ﷺ) أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثــل . عنــد الطبراني قال الألباني صحيح .

٣١- عن خالد بن الوليد وعن عياض بن غنم قال : قال رســول الله (ﷺ) أشد الناس عذاباً للناس في الدنيا أشد الناس عــذاباً عند الله يوم القيامة . مسند الإمام أحمد بن حنبل قال الألباني صحيح .

٣٢- عن أبي سعيد الخدري قال : قــال رســول الله (ﷺ) أشــد الناس عذاباً يوم القيامة امام جائر . الجامع الــصغير قــال الألباني : حسن .

٣٣- عن عوف بن مالك (ﷺ) قال : قــال رســول الله (ﷺ) : أطيعوني ما كنت بين أظهركم وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه. عند الطبراني ومسند الإمام أحمد بن حنبل.

٣٤- عن أبي أمامه وعن طارق بن شهاب قال : قال رسول الله (ﷺ) أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر . عند الطبراني ومسند الإمام أحمد بن حنبل .

٣٥- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) : إقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة . الجامع الصغير وقال الألباني حسن .

٣٦- عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله (ﷺ) اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم به عبد الله بن مسعود فاقبلوه . الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

٣٧- عن أبي موسى الأشعرى قال : قال رسول الله (ﷺ) : اكسروا فيها قسيكم يعني عند الفتنة و اقطعوا فيها أوتاركم وألزموا فيها أجواف بيوتكم وكونوا فيها كخير ابني آدم . البخاري في التاريخ قال الألباني صحيح .

٣٨- عن عبد الله بن أبي أوفي قال : قال رسول الله (ﷺ) : الله مع القاضي ما لم يجر فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان . البخاري في التاريخ وصحيح بن حبان وهو حسن .

٣٩- عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فشق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به . صحيح مسلم .

٤٠- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) : إنه لم تهلك الأمم قبلكم حتى وقعوا في مثل هذا يضربون القرآن بعضه ببعض ما كان من حلال فأحلوه وما كان من حرام فحرموه وما كان من متشابه فآمنوا به . عند الطبراني قال الألباني صحيح .

٤١- عن عائشة (ﵺ) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لما أعتق . الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

٤٢- عن أبي حميد الساعدى قال : قال رسول الله (ﷺ) أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول : هذا من عملكم وهذا أهدي إلى أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى إليه أم لا فوالذي نفس مُحمد بيده لا يغل أحدكم منها شيئاً إلا جاء يوم القيامة بحمله على عنقه إن كان بعيراً جاء به له رغاء وأن كانت بقرة جاء بها لها خوار وإن كانت شاه جاء بها تبعر فقد بلغت . في مسند أبي داود ومسند الأمام أحمد بن حنبل صحيح .

٤٣- عن أم الحصين قالت : قال رسول الله (ﷺ) : إن أمر عليكم عبد مجدع أسود يقودكم بكتاب الله فأسمعوا وأطيعوا . صحيح مسلم .

٤٤- عن عوف بن مالك (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هى أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل . عند الطبراني قال الألباني : حسن .

٤٥- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أنا أولى بالمؤمنين في كتاب الله فأيكم ما ترك ديناً أو ضيعة فأدعونى فأنا وليه وأيكم ترك مالاً فليؤثر بماله عصبته من كان . صحيح مسلم .

٤٦- عن أبي بكرة قال : قال رسول الله (ﷺ) إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد بن حنبل .

٤٧- عن جبير بن نفير وكثير بن مرة والمقدام وأبي أمامه قال: قال رسول الله (ﷺ) : إن الأمير إذا أبتغى الريبه في الناس أفسدهم . عن بن عساكر و أحمد بن حنبل في مسنده و الطحاوي .

٤٨. عن أبي هريرة (ﷺ) وعن تميم الداري قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن الدين النصيحة قلنا لمن قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم . صحيح مسلم والمسند للأمام أحمد بن حنبل .

٤٩- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) إن الدين يسر ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا و ابشروا

واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة. صحيح البخاري .

٥٠- عن أنس بن مالك (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته. عند الضياء وقال الألباني حسن.

٥١- عن سفيان بن الحارث قال: قال رسول الله (ﷺ) : إن الله لا يقدس أمه لا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوي وهو غير متعتع. الجامع الصغير قال الألباني : صحيح .

٥٢- عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن الله لا يقدس أمه لا يعطون الضعيف منهم حقه. عند الطبراني.

٥٣- عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا . صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند أبو داود .

٥٤- عن أبي بكر (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه . في سند أبي داود وقال الألباني : صحيح .

٥٥- عن أبي بكر (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله أن يعمهم بعقابه . تخريج الطحاوي في الأحاديث الصحيحة .

٥٦- عن أبي ذر ورافع بن عمرو الغفارى قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن من أمتي قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقمهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لايعودون إليه شر الخلق و الخليقة . صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد بن حنبل .

٥٧- عن أبي موسى الاشعرى قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط . الجامع الصغير قال الألباني حسن .

٥٨- عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر. الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

٥٩- عن أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله (ﷺ) إنا لا نولي على هذا العمل أحداً سأله، ولا أحد حرص عليه . صحيح مسلم .

٦٠- عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله (ﷺ) إنك إن أتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم. عند بن حبان قال الألباني صحيح .

٦١- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : إنما الإمام جنة يقاتل به. الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

٦٢- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقي به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً وإن أمر بغيره فإن عليه وزراً . الجامع الصغير قال الألباني : صحيح .

٦٣- عن رافع بن خديج قال : قال رسول الله (ﷺ) : إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر. صحيح مسلم .

٦٤- عن أم سلمة قالت : قال رسول الله (ﷺ) : إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو يتركها. مسند الأمام أحمد بن حنبل قال الألباني : صحيح .

٦٥- عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله (ﷺ) : إنه سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تضلوا بربكم . مسند الإمام أحمد بن حنبل قال الألباني : صحيح .

٦٦- عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) وعن عائشة (ﷺ) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع . في المشكاة والترغيب والطبراني .

٦٧- عن عبد الله بن عباس (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أوثق عُرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب

في الله والبغض في الله عز وجل . عنـــد الطبرانـــي قـــال الألباني : صحيح .

٦٨- عن عمر (ﷺ) قال : قال رســـول الله (ﷺ) ألا أخبـــركم بخيار أمرائكم وشرارهم، خيارهم الذين تحبونهم ويحبـــونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، وشرار أمرائكم الذين تبغـــضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . الجامع الـــصغير قـــال الألباني : صحيح .

٦٩- عن سعد بن أبي وقاص (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : إيه يا أبن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الـــشيطان قـــط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك . قال الألباني : صحيح .

٧٠- عن يعلي به مرة قال : قال رسول الله (ﷺ) أيما رجل ظلم شبراً من الأرض كلفه الله تعالى أن يحفره حتى يبلغ آخـــر سبع أراضين، ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضي بين الناس. عند الطبراني .

٧١- عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله (ﷺ) : أيمـــا راع ظلم رعيته فهو في النار . عند بن عـــساكر قـــال الألبـــاني صحيح .

٧٢- عن عابس الغفارى قال : قـــال رســـول الله (ﷺ) بـــادروا بالإعمال ست إمارة السفهاء وكثرة الـــشرط وبيـــع الحكـــم واستخفافا بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقهاً . عند الطبراني .

٧٣- عن سفينة خادم رسول الله (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ): خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء . في مسند أبي داود قال الألباني : صحيح .

٧٤- عن معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم قولهم يتقاحمون في النار تقاحم القردة . عند الطبراني .

٧٥- عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله (ﷺ) : سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل . عند الطبراني قال الألباني صحيح .

٧٦- عن جابر قال : قال رسول الله (ﷺ) سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله. عند الضياء قال الألباني : صحيح .

٧٧- عن أبي أمامه قال : قال رسول الله (ﷺ) : صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي : إمام ظلوم غشوم وكل غال مارق. عند الطبراني قال الألباني صحيح .

٧٨- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : طاعة الإمام حق على المرء المسلم، ما لم يأمر بمعصية الله فإذا أمر بمعصية الله فلا طاعة له . الجامع الصغير قال الألباني: صحيح .

٧٩- عن عائشة (ﷺ) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فمن أحيا من موات الأرض شيئاً فهو له وليس لعرق ظالم حق . الجامع الصغير قال الألباني : حسن .

٨٠- عن بريدة قال : قال رسول الله (ﷺ) : قاضيان في النار وقاضي في الجنة، قاضي علم الحق فقضي به فهو في الجنة، وقاضي عرف الحق فجار متعمداً أو قضي بغير علم فهما في النار . الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

٨١- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : للحسن بن على وهو صبي عندما تناول ثمرة من تمر الصدقة، كخ كخ أرم بها أما شعرت إنا لا نأكل الصدقة . الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

٨٢- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند أبو داود وعند الترمذي .

٨٣- عن بريدة قال : قال رسول الله (ﷺ) : كيف يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير متعتع. عند بن ماجة .

٨٤- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : لتؤدى الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، تنطحها . صحيح مسلم ومسند الأمام أحمد بن حنبل والترمذي .

٨٥- عن أبي أمامه قال : قال رسول الله (ﷺ) لتنقضن عُرى الإسلام عروة عروة فكلما أنتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة . عند بن حبان ومسند الإمام أحمد بن حنبل .

٨٦- عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ﷺ) : لكل غادر لواء يوم القيامة، يرفع له على قدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم من أمير عامة . صحيح مسلم .

٨٧- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : ليتمنين أقوام ولوا هذا الأمر أنهم خروا من الثريا، وأنهم لم يلوا شيئاً. مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٨٨- عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله (ﷺ): ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه . مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٨٩- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسـول الله (ﷺ) ليغـشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجـل فيهـا مؤمناً و يمسي كافراً ويبيع أقوام دينهم بعرض مـن الـدنيا قليل. الجامع الصغير قال الألباني : صحيح .

٩٠- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : ليـودن رجل أنه خر من عند الثريا، وأنه لم يل من أمر الناس شيئاً. الجامع الصغير قال الألباني حسن .

٩١- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : ما آتيكم من شئ ولا أمنعكموه، ما أنا إلا خازن، أمنع حيث أمرت . مسند الإمام أحمد حنبل ومسند أبو داود .

٩٢- عن عمرو بن مرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذو الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته و حاجتـه و مـسكنته . مـسند الإمام أحمد بن حنبل والترمذي .

٩٣- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : ما مـن أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفكـه عدله أو يوبقه جوره . الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

٩٤- عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله (ﷺ) ما من أميـر يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة . صحيح مسلم .

٩٥- عن أبي أمامه قال : قال رسول الله (ﷺ) : ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتي الله مغلولاً يده إلى عنقه فكه بره أو أوثقه إثمه أولها ملامة وأوسطها ندامة و آخرها خزي يوم القيامة . مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٩٦- عن عائشة (﵂) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس . عند الترمذي قال الألباني : صحيح وعند بن حبان .

٩٧- عن بريدة قال : قال رسول الله (ﷺ) : من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول. عند أبي داود وقال الألباني صحيح .

٩٨- عن عدي بن عميرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان ذلك غلولاً يأتي به يوم القيامة . صحيح مسلم ومسند أبي داود والترغيب .

٩٩- عن عدي بن عميرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهي . صحيح مسلم .

١٠٠- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه . صحيح مسلم .

١٠١- عن عبد الله بن محصن قال : قال رسول الله (ﷺ) : من أصبح أمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها . الجامع الصغير قال الألباني حسن وهو في الترغيب وعند بن حبان .

١٠٢- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني . عند الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وهو صحيح .

١٠٣- من أعان على خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع راوية عبد الله بن عمر عن رسول الله (ﷺ) . في الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

١٠٤- عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ﷺ) : من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه . مسند الإمام أحمد بن حنبل قال الألباني : حسن .

١٠٥- عن عمر بن الحمق قال : قال رسول الله (ﷺ) : من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافراً . البخاري في التاريخ وعند الطحاوى والخرائطي وهو صحيح .

١٠٦- عن أبي بكرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله . عند الطيالسي والمسند للأمام أحمد بن حنبل .

١٠٧- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) من جعل قاضياً بين الناس كأنما ذبح بغير سكين . عند أبي داود والمسند للأمام أحمد والروض النضير وهو صحيح .

١٠٨- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا. صحيح مسلم .

١٠٩- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية بغضب العصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشا من مؤمنها ولا يفى لذي عهده فليس مني ولست منة . صحيح مسلم ومسند الأمام أحمد بن حنبل .

١١٠- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) : من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات ليست في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية . صحيح مسلم .

١١١- عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ﷺ) : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . صحيح مسلم ومسند الأمام أحمد بن حنبل .

١١٢- عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : من ضرب سوط ظلماً، أقتص منه يوم القيامة . الجامع الصغير قال الألباني : صحيح .

١١٣- عن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله (ﷺ) : من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد . صحيح مسلم وبن حبان ومسند الإمام أحمد بن حنبل .

١١٤- عن عمرو بن عبسة قال : قال رسول الله (ﷺ) : من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشهد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء . عند الإمام أحمد بن حنبل والطيالسي وهو صحيح .

١١٥- عن عائشة (ﷺ) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه . الجامع الصغير قال الألباني : صحيح.

١١٦- عن على بن أبي طالب (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده ومن أحدث حدثاً فعلى نفسه ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . في الجامع الصغير قال الألباني : صحيح .

١١٧- عن أنس وعلى بن أبي طالب (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي، يعني أبا بكر وعمر. عند الترمذي قال الألباني : صحيح .

١١٨- عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله (ﷺ) : هون عليك فإني لست بملك إنما أنا بن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة . صحيح مسلم .

١١٩- عن أبي بكرة قال : قال رسول الله (ﷺ) لا يحكم أحدكم بين اثنين وهو غضبان . صحيح مسلم والترمذي .

١٢٠- عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى ما عليه فيها . صحيح مسلم .

١٢١- عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله (ﷺ) : يا أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه - ووضع يده على وبرة بعير - إلا الخمس والخمس مردود عليكم . الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

١٢٢- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) : يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها ألا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما لم يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم. الجامع الصغير قال الألباني صحيح .

١٢٣- عن على بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من

الإسلام كما يمرق السهم من الرمية كما يعلم الجيش يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم لا تكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد كثدي المرأة . عند أبي داود وفي صحيح مسلم .

١٢٤- عن يزيد بن أبي سفيان قال : قال لي أبو بكر الصديق (ﷺ) حين بعثني إلى الشام يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالأمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحد محاباه فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم . عند الحاكم وصححه وحسنه الترمذي .

١٢٥- عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله (ﷺ) : من استعمل رجل على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين . في الزواجر لابن حجر .

١٢٦- قال رسول الله (ﷺ) يا أبا هريرة عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها، يا أبا هريرة جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله عز وجل من معاصي ستين سنة . في الزواجر لابن حجر .

١٢٧- قال رسول الله (ﷺ) أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر . في الزواجر لابن حجر .

١٢٨- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن بشر بن عاصم حدث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول : لا يلي أحد من أمر الناس شيئاً إلا أوقفه الله تعالى على جسر جهنم فزلزل به الجسر فناج أو غير ناج فلا يبقى منه عظم إلا فارق صاحبه فإن هو لم ينج ذهب به إلى جب مظلم كالقبر في جهنم لا يبلغ قعره سبعين خريفاً وإن عمر (رضي الله عنه) سأل سلمان وأبا ذر سمعتان ذلك من رسول الله (ﷺ) قالا نعم . عند أبي الدنيا وذكره بن حجر في زواجره .

١٢٩- قال رسول الله (ﷺ) ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة . البخاري ومسلم .

١٣٠- قال رسول الله (ﷺ) : ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم كنصحته وجهده لنفسه إلا لم يدخل معهم الجنة . في صحيح مسلم ورواه الطبراني .

ملحق

كتاب

الإسلام يقود الحاكم والمحكوم

تفكيك النسيج الوطني

كما جاء بالأخبار بتاريخ ٢٠١٠/١٢/٧

مجمع البحوث الإسلامية يرد علي تقرير الحريات الدينية الأمريكي التقرير ملئ بالمغالطات والجهل بحقائق الإسلام اعتراف أمريكي صريح بمحاولة تفكيك نسيجناً الوطني وإحداث فوضي خلاقة

عقد مجمع البحوث الإسلامية جلسة طارئة أمس برئاسة الأمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر للرد علي تقرير وزارة الخارجية الأمريكية بشأن الحريات الدينية في مصر . قدم المجمع رداً فقهياً وعلمياً علي ما وصفه بالمغالطات الصارخة التي تضمنها التقرير الأمريكي وارجع المجمع الأخطاء الواردة بالتقرير والمغالطات إلي الجهل بحقائق الإسلام وبحقائق أوضاع الأقليات في مصر وإلي سوء النية والرغبة في التدخل في شئون مصر الداخلية وانتهاك سيادتنا الوطنية .

وأوضح البيان الذي أعده المجمع أنه في مواجهة هذه المغالطات فإنه يقدم للرأي العام المحلي والعالمي وللدوائر الأمريكية التي أعدت هذا التقرير وأصدرته وأيضاً للأفراد والجامعات التي أمدت الإدارة الأمريكية بهذه المغالطات الحقائق التي تصحح الأكاذيب ... ليس صحيحاً أن مصر تقيد حرية

الاعتقاد، ولا الممارسات الدينية ... ذلك أن بناء دور العبادة – في مصر – ينظمه القانون ولبناء المساجد شروط تسعه، تفوق – في الضوابط – نظيرتها في بناء الكنائس .

وأن نسبة عدد الكنائس – في مصر – إلي عدد المواطنين المسيحيين – الذين يعيش كثيرون منهم المهجر مقاربة لنظيرتها في المساجد المخصصة للمسلمين، وكنائس مصر وأديرتها مفتوحة الأبواب علي مدار الليل والنهار ومنابرها حرة لا رقيب عليها . ولا دخل للحكومة في تعيين القيادات الدينية المسيحية، علي اختلاف درجاتها، بينما يتم شغل كل الوظائف الدينية الإسلامية بالتعيين من قبل الحكومة ومنذ عام ١٩٥٢م ضمت الحكومة الأوقاف الإسلامية بينما ظلت الأوقاف المسيحية قائمة، تديرها الكنيسة، وتحقق الحرية والاستقلال المالي للكنائس والأديرة والأنشطة الدينية المسيحية .

أما النص الدستوري علي أن دين الدولة في مصر هو الإسلام ... وأن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وان اللغة العربية هي اللغة القومية لمصر .... فهو جزء أصيل من تاريخ مصر الإسلامية، الذي مضي عليه أكثر من أربعة عشر قرناً ... وه تعبير عن هوية الدولة والمجتمع والأمة مثلما تعبر العلمانية عن هوية بعض المجتمعات أخري...وفي هذه المجتمعات العلمانية والليبرالية تعيش أقل يات إسلامية لا تعترض علي هويات المجتمعات التي تعيش فيها .

ثم أن هذه الهوية العربية والإسلامية لمصر، قد اختارتها وأقرتها اللجنة التي وضعت الدستور المصري عام ١٩٢٣م بإجماع بمن فيهم القيادات الدينية المسيحية واليهودية .

ثم أن التشريعات الإسلامية لا تجور علي الخصوصيات الدينية للمواطنين غير المسلمين، الذي أمرت الشريعية الإسلامية " أن يتركوا وما يدينون " ... وعلاوة علي ذلك، فإن القانون الإسلامي ليس بديلاً لقانون مسيحي، إذ المسيحية تدع ما لقيصر لقيصر، و إنما هو بديل للغزو القانوني والاستعماري، الذي أراد الاستعمار فرضه علي بلادنا في ظل الاحتلال .. فهو قانون وطني يعبر عن هوية المصريين والخصوصية الحضارية للشرقيين .

أما دعوى منع الحكومة المصرية حرية التبشير بالمسيحية، فإنها دعوى مجانيه للحق والصواب ذلك أن لكل صاحب دين سماوي – في مصر – حرية عرض دينه والدفاع عنه والدعوة إليه، أما الممنوع فهو التنصير الذي تمارسه دوائر أجنبية غربية ... والذي جاء إلي بلادنا مع الغزو الاستعماري منذ القرن التاسع عشر .

بل إن هذا التنصير الأجنبي الممنوع طالما مثل خطراً علي الكنائس المسيحية القومية، التي عانت منه كثيراً فهو لا يعترف لا بالإسلام ولا بالمذاهب المسيحية الشرقية .

♦ أما إباحة الشريعة الإسلامية زواج المسلم بالمسيحية واليهودية، ومنعها زواج المسلمة من غير المسلم ؟، فلا

علاقة له بالتمييز السلبي، ولا بالتعصب الديني ... وإنما مرجعه أن المسلم – بحكم عقيدته – يعترف بالمسيحية واليهودية ديانات سماوية، ويحترم ويعظم رموزها، ومن ثم فالمسلم مؤتمن علي عقيدة زوجته المسيحية واليهودية ومطالب – دينياً – باحترام عقيدتها، وتمكينها من أداء شعائرها .. بينما غير المسلم لا يعترف بالإسلام ديناً سماوياً، ولا يقدس رموزه .

♦ أما مطالبة التقرير الأمريكي مصر بأن تسمح بالزواج بين المسلمين وأهل الديانات الوضعية – غير السماوية – فإنها تكشف عن جهل وافتراء ... فمصر ليس بها ديانات غير سماوية .

ثم أن الخلاف مع التقرير الأمريكي – هنا وفي كثير من القضايا ليس مرده الخلاف حول " مفهوم الحرية الحقوق " . فالمرجعية الوضعية الغربية تجعل الشذوذ الجنسي وزواج المثلين – مثلاً – من الحرية وحقوق الإنسان، بينما المرجعية الدينية – في الديانات السماوية الثلاث – تنكر ذلك كل الإنكار ... فالخلاف هو في " مفهوم الحرية " وليس في " درجة الحرية " .

♦ كما يعبر حديث التقرير الأمريكي عن ظلم الإسلام للمرأة في الميراث .. يعبر عن جهل مركب بفلسفة الإسلام في الميراث فالأنثى – في الشريعة الإسلامية – ترث مثل الذكر أو أكثر من الذكر أو ترث ولا يرث الذكر في أكثر من ثلاثين حالة

من حالات الميراث بينما ترث نصف نصيب الذكر في أربعة حالات هي التي يكون العبء المالي فيها ملقي علي الذكور دون الإناث .

♦ كما ينم حديث التقرير الأمريكي عن أوضاع المتحولين من الإسلام أو إليه عن جهل بالقيم الثقافية التي يتفق فيها الشرقيون علي اختلاف دياناتهم .

ففي المجتمعات الشرقية لا ينظر إلي الدين كشأن فردي وشخصي يتم تغييره دون مشكلات بل أنه يعبر عن هوية اجتماعية يماثل " العرض والشرف " وقد يعلو عليهما ... ومن ثم فإن الانسلاخ عنه والتحول منه أنما يمثل مشكلة عائلية واجتماعية .

♦ وفي قضية الحجاب ... يتجاهل التقرير الأمريكي أن واقع مصر والأغلبية الساحقة فيها تعتبر قضية الزي ضمن الحريات الشخصية . وإذا كان الغرب يعتبر حرية المرأة – في الزي – مقصورة علي " العري " فإن الإسلام والمسيحية واليهودية تدعو إلي الحشمة – دون أن تفرض هذه الحشمة – وإنما فقط تحبذها وترغب فيها .

♦ أما أنفاق وزارة الأوقاف المصرية علي المساجد فليس فيه أي تمييز سلبي .. ذلك أن الأوقاف الإسلامية التي ضمت للدولة والتي أصبحت الوزارة ناظرة عليها ... بينما ظلت أوقاف الكنائس والأديرة والمؤسسات الدينية المسيحية قائمة تديرها

الكنيسة قائمة تديرها الكنيسة وتنفق من عائداتها وتحقق لهـا الاستقلال المالي عن الدولة .

- و كانت نسبة غير المسلمين في – مصر – إلي سكانها وفـق إحصاء مركز " بيو " الأمريكي هـي ٥,٤% – أي أربعـة ملايين ونصف المليون – فكيف يطلب التقريـر الأمريكـي زيادة عدد المسيحيين – في المجلس القومي لحقوق الإنسان – عن ٥ – – من ٢٥ هم كل أعضاء هذا المجلس ؟!

أن نسبتهم في هذا المجلس هي ٢٠% بينما نسبتهم في السكان ٥,٤% ومع ذلك لا يرضي الأمريكان .

- وبخصوص قصر الدراسة بجامعة الأزهـر علـي الطـلاب المسلمين فإن السبب في ذلك لا علاقة له بأي لون من ألـوان التمييز السلبي ضد غير المسلمين أو التعصب الديني فمناهج الدراسة في جامعة الأزهر بما فيها الكليات العملية هي مناهج دينية إسلامية ومما ينافي حرية الضمير والاعتقـاد فـرض دراسة الدين الإسلامي في هذه الجامعة علي غير المـسلمين وخاصة في المراحل العمرية الأولي كما أن هذا هو الوضـع السائد والمتعارف عليه فـي معاهـد اللاهـوت والكليـات الأمريكية المسيحية .

- أما عن ضعف مشاركة المسيحيين في الانتخابات النيابية فإنه جزء من السلبية العامة التي افرزتها عوامل سياسية لاعلاقة لها بالتمييز السلبي ضد غير المسلمين .

♦ ثم أن حديث التقرير الأمريكي عن تدخل الإدارة الأمريكية وأعضاء الكونجرس الأمريكي والسفارة الأمريكية في الشأن الداخلي المصري والتمويل والاتصالات والعلاقات الأمريكية مع بعض المسيحيين والبهائيين والشيعة وشهود يهوه والقرانيين والأحباش وحتى النوبيين أنما هو اعتراف صريح بممارسة أمريكا لسياسات تفكيك النسيج الوطني والاجتماعي والثقافي للمجتمع المصري وذلك تحقيقاً للمخطط الأمريكي المعلن " الفوضى الخلاقة " الرامية إلي تحويل المجتمع إلي طوائف يسهل اختراقها وهو مخطط سبق ودعا إليه المستشرق الصهيوني الأمريكي برنارد لويس الذي دعا إلي تحول المجتمعات إلي فسيفساء ورقية ليتحقق الأمن والتفوق الإسرائيلي .

وأخيراً فإن مجمع البحوث الإسلامية يتساءل لماذا لا تكون متابعة شئون حقوق الإنسان وحرياته عالمية وإصدار التقارير السنوية عنها شأناً من شئون الشرعية الدولية والنظام الدولي الممثل في المجلس الأمم لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة ؟! ولماذا تغتصب الإدارة الأمريكية اختصاصاته؟

متابعة : ضياء أبو الصفا

علامة استفهام كبري حول الدور الأمريكي

<u>كما جاء في الأخبار ٢٠/١٢/٢٠١٠</u>

قبل أكثر من تسع سنوات – في شهر مايو ٢٠٠١ – نشر السيناتور جورج ميشيل، رئيس اللجنة الدولية حول الشرق الأوسط في ذلك الوقت، تقرير لجنته حول النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي . وكان هذا التقرير الرسمي يقع في ٣٢ صفحة، وصدر بعد عمل استغرق ستة أشهر تم تكليفه به أثناء ولاية الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون عقب اندلاع انتفاضة الأقصى . وتولي ميتشل تسليم الرئيس جورج بوش الابن وأركان إدارته نسخا من التقرير في الأول من شهر مايو عام ٢٠٠١ .

طالب ميتشل في ذلك التقرير بتجميد كل الأنشطة الاستيطانية التي تقوم بها إسرائيل بما في ذلك توسيع المستوطنات المرتبط بالنمو الديموجرافي – السكاني – الطبيعي .

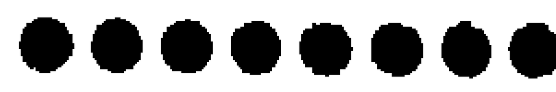
وكان الشيء الوحيد المطلوب من الفلسطينيين – حسبما ورد في التقرير – هو بذل كل الجهود لمنع العنف و" السيطرة علي تحركات العناصر ذات التوجيهات الإرهابية وعدم السماح بإطلاق النيران علي المواطنين الإسرائيليين من المناطق الآهلة

بالسكان " . وعلي الفور أعلن وزير خارجية فرنسا في ذلك الوقت " أوبير فيدرين " ونظيره النرويجي " ثور بجورن جاكلاند " (عضو لجنة ميتشل) دعمهما للتقرير، ووجها التهنئة للجنة التي أصدرته، كما دعا السكرتير العام للأمم المتحدة في ذلك الوقت " كوفي عنان " إلي اعتماد توصيات لجنة ميتشل .

وكما هو معروف فإن الفلسطينيين – سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة، لا يمارسون أي عنف الآن ضد المحتلين الإسرائيليين.. فقد توقفت المقاومة وكل شيء هادئ غير أن النشاط الاستيطاني أو التهويد لم يتوقف يوماً واحداً .

الغريب في الأمر أن وزير الدولة الإسرائيلي في ذلك الوقت " داني نافيه " صرح بأن تقرير ميتشل يشكل محاولة إيجابية وبناءه لوضع حد لدوامة العنف وأن حكومة شارون تعهدت بعدم إقامة مستوطنات جديدة وكان التحفظ الإسرائيلي الوحيد يدور حول ما يسمي بموجبات الديموجرافي الطبيعي لسكان المستوطنات القائمة .

والمعروف أن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق أريل شارون هو أكثر القادة الإسرائيليين عدوانية ودموية وكراهية للشعب الفلسطيني .



بعد أكثر من تسع سنوات من التسويف والمراوغات والمماطلات والمفاوضات المباشرة وغير المباشرة ... تعلن

الإدارة الأمريكية عن فشلها في إقناع إسرائيل بوقف الاستيطان وفي نفس الوقت تطالب الفلسطينيين بالعودة إلي المفاوضات غير المباشرة أو المتوازية في ظل استمرار الاستيطان ومصادرة الأراضي الفلسطينية والتهديد وهدم منازل الفلسطينيين ! وها هو جورج ميتشل نفسه يقدم ورقة للجانب الفلسطيني حول القضايا التي سيتم بحثها في المفاوضات التي تريد واشنطن من الفلسطينيين العودة إليها وتتضاعف الدهشة عند قراءة هذه الورقة التي تحتوي علي ست نقاط . وسرعان ما يكتشف القارئ أنها خدعة أمريكية جديدة لكسب الوقت لصالح الاستيطان والتهويد وللضحك علي عقول الفلسطينيين .

تشير الورقة الأمريكية إلي أن الهدف من المفاوضات هو التوصل إلي اتفاق بشأن الحدود ... ولكن ... أي حدود ؟ هل هي الحدود التي سيقررها رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو أم الحدود التي تتفق مع قرارات الشرعية الدولية " حدود الرابع من يونيو عام ١٩٦٧ م " ؟ وتقول الورقة الأمريكية أن المفاوضات سوف تتناول ترتيبات أمنية متفق عليها من الجانب الإسرائيلي .. ولا كلمة واحدة حتى عن الاقتراح الأمني الذي صاغه الجنرال الأمريكي السابق جيمس جونز، ويؤكد انه لا تواجد لأي جندي إسرائيلي في الأراضي الفلسطينية بعد قيام الدولة الفلسطينية .

وتعرف الإدارة الأمريكية أن نتياهو يطالب بضم أكثر من نصف الضفة الغربية إلي إسرائيل بما في ذلك غور الأردن،

ولكنها تتجاهل ذلك كله وتعرف أنه لا يريد دولة فلسطينية ولكنها تتجاهل ذلك أيضاً .

أما فيما يخص المستوطنات، فأن الورقة الأمريكية تتحدث عن تحديد مصير المستوطنات الإسرائيلية ولا كلمة عن عدم شعرية الاستيطان من أساسه ،... ثم .. " حل منصف ومنطقي لقضية اللاجئين " دون أي إشارة لقرارات الأمم المتحدة حول هذه القضية وفي موضوع القدس، تدعو الورقة إلي التوصل إلي اتفاق بشأن القدس " ! " كما تدعو إلي تقرير حصص المياه ! .

ومعني ذلك ببساطة أن الإدارة الأمريكية تترك القرار – في كل تلك القضايا – في يد إسرائيل ... وما علي الفلسطينيين سوى الإذعان والانصياع حيث أن موازين القوي لصالح دولة الاحتلال التي تعمل منذ سنوات طويلة علي فرض الأمر الواقع بدعم عسكري واقتصادي ومالي وتكنولوجي ودبلوماسي أمريكي.

وليس من المستبعد أن المسعى الأمريكي يستهدف تحميل القيادة الفلسطينية مسئولية الفشل وتبرئه الحكومة الإسرائيلية فالإدارة الأمريكية تصر علي أن يتفاوض الفلسطينيون مع نتنياهو بشروط الأخير وبلا مرجعية علي الإطلاق لهذه المفاوضات، وتعتبر – في ورقتها – انه سيتم الانتقال إلي مفاوضات مباشرة في الوقت الذي تراه واشنطن مناسباً ! هنا يتضح، بما لا يدع مجالاً للشك، أن الإدارة الأمريكية تريد أن تحقق لإسرائيل المزيد من المكاسب المادية بما يعزز قدراتها العسكرية والأمنية، وبما

يكرس الوقائع التي تفرضها علي الأرض، وأنها تعرقل التوصل إلي تسوية شاملة وعادلة للنزاع .



ولكي يتم أحكام الحصار السياسي علي الفلسطينيين ودفع ظهورهم إلي الحائط وإرغامهم علي الاستسلام لنتنياهو وحكومته الفاشية العنصرية المتطرفة اتخذ مجلس الشيوخ الأمريكي قراراً بالإجماع – في خطوة مفاجئة – برفض إعلان الدولة الفلسطينية من جانب ودعوة الإدارة الأمريكية لاستخدام الفيتو في مجلس الأمن ضد أي تحرك دولي في هذا الاتجاه .

هكذا انكشفت نوايا أمريكا وحقيقة موقفها .

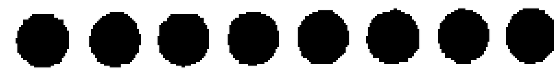
وجاء هذا القرار في الوقت الذي تستعد فيه السلطة الفلسطينية لاتخاذ هذه الخطوة عقب الفشل الأمريكي في وقف الاستيطان.

وهكذا يتعمد الأمريكيون سد جميع المنافذ أمام الفلسطينيين وإحباط أي تحرك سياسي – دبلوماسي يضمن لهم الاحتفاظ بحقوقهم بل أن مجلس الشيوخ الأمريكي يعلن معارضته القوية لاعتراف الدول الأخرى بالدولة الفلسطينية .

وكل ذلك يتناقض مع المبادئ التي علي أساسها كانت الإدارة الأمريكية " راعياً " و " وسيطاً " لما سمي بعملية السلام ويفرغ المؤسسات الدولية من مسئولياتها الأخلاقية، ويوجه

ضربة لجهود المجتمع الدولي ومؤسساته القانونية، علي حد تعبير البيان الصادر عن حركة " فتح الفلسطينية .

وهكذا نجحت الحكومة الإسرائيلية في قلب المعادلة وصارت تضبط إيقاع السياسة الخارجية الأمريكية وتوظيفها في خدمتها .



لقد تأخر الوقت الذي كان ينبغي أن تطرح فيه علامة استفهام كبيرة علي الدور الأمريكي في القضية الفلسطينية حتى بعض المحللين الإسرائيليين اصبحوا يطرحون أسئلة جديدة .

يقول الون مروم في صحيفة معاريف الإسرائيلية : الولايات المتحدة تستفيد من استمرار الصراع العربي الإسرائيلي ... أقصى فائدة حيث أن تخويف العرب من العدوان الإسرائيلي يضمن سيطرة النفوذ الأمريكي وبيع السلاح بعشرات المليارات من الدولارات .

والكثيرون من المعلقين الإسرائيليين أعربوا عن ذهولهم من حزمة الحوافز والامتيازات الأمريكية المعروضة علي إسرائيل : موافقة أمريكية علي وجود إسرائيلي دائم في غور الأردن حتى في التسوية النهائية – ضمان تفوق عسكري إسرائيلي إلي أجل غير مسمي – فيتو أمريكي في مواجهة أي خطوة دبلوماسية مضادة لإسرائيل – تفاهمات بعيدة المدي تتعلق

بالترسانة الإسرائيلية – طائرات " الشبح " وثمنها ثلاثة مليارات، هدية مجانية لإسرائيل .

وكتب المعلق والكاتب الإسرائيلي " ايلـــي بوديـــه " فـــي صحيفة " هآرتس " يقول أن الرئيس الأمريكي أوباما لم يضغط علي إسرائيل رغم أن حكومة نتنياهو هي المسئولة عــن الفــشل الأخير، ورغم أنه يعلم أن الإبقاء علي الأمر الواقع هو المفــضل بالنسبة لإسرائيل التي لا يوجد لدي شــعبها وحكومتهــا اهتمــام حقيقي بالسلام .

وقال المحلل الأمريكي " روبرت رايت " في الطبعة الدولية لصحيفة " هيرالد تريبيون " الأمريكية أن ليس صحيحاً أن أمريكا والأمم المتحدة لا تستطيعان فرض تسوية لإنهاء الــصراع فــي الشرق الأوسط، كما زعمت وزيرة الخارجية الأمريكية وأضاف أن الأمم المتحدة هي التي أوجدت دولة إسرائيل قبل ستة عقــود وهي تستطيع خلق دولة فلسطينية الآن، وأن تقرر حدودها وتضع جدولاً زمنياً لتنفيذ هذا الهدف .

كما لو كان هذا المحلل الأمريكي يريد أن يقول أن المشكلة الحقيقية هي أن أمريكا وإسرائيل ترفضان رفضاً مطلقاً تحقيــق هذا الهدف رغم كل المزاعم والادعاءات والتصريحات الجوفاء .

بقلم : نبيل زكي

مخطط تفتيت وتمزيق المنطقة

أخبار اليوم السبت ٤ صفر ١٤٢٣ الموافق ٨ يناير ٢٠١١

شيخ الأزهر في حوار وأد الفتنة :

أخشى أن يكون ما حدث في سياق المخطط لتفتيت وتمزيق المنطقة

** تعود المصريون عبر تاريخهم أن يجتمعوا علي قلب واحد، عندما تواجههم المحن، وينصهروا في بوتقة واحدة تجعل منهم حصناً حصيناً لبلدهم، يدافعون عنها ويحمونها، لا فرق في ذلك بين مسلم ومسيحي ... وعندما يتعلق الأمر بأمن مصر فإن أحداً لا يسأل الآخر عن دينه ومعتقده ... لأن مصر لنا جميعاً ، وليست لأحد دون الآخر، أو طائفة دون الأخرى .

وكان الحادث الإرهابي والإجرامي الذي شهدته كنيسة (القديسين) بالإسكندرية ليلة رأس السنة، قد أدمي قلوب المصريين جميعاً ... وتباري المصريون جميعاً في الالتفاف حول الضحايا و أسرهم ... ولكن يبقي هناك دور مهم لرجال الفكر وعلماء الدين في التوجيه ودفع المواطنين إلي الطريق السليم .

وأمام ذلك الحادث الذي ألم بمصر كلها وآلمها ... كان لابد أن تلتقي " أخبار اليوم " بواحد من كبار مفكريها وعلماء

الإسلام .. وهو الإمام الأكبر الدكتور احمد الطيب شيخ الأزهر، الذي تحرك سريعاً ليكون في مقدمة المعزين والموسين للأخـــوة الأقباط وقياداتهم الدينية .... ثم يمارس دوره كعالم مـسلم فـــي تبرئه الإسلام مما يحاول البعض أن يلقي فـــي وجهـــه بأصـــابع الاتهام الظالمة .. وطوال الحوار لم يرفض شيخ الأزهر الإجابة علي أي سؤال ... كما كان واضحاً وحريـــصاً وحازمـــاً فـــي مواجهة تدخلات بابا الفاتيكان في شئوننا الداخلية، وإثارة الفتنـــة بين المسلمين والأقباط .

الدكتور أحمد الطيب لـــ أخبار اليوم

حماية الكنيسة واجب علي السلم.....
والحادث موجه ضد مصر كلها

♦ كيف تري وأنت علي رأس المؤسسة الإسلامية حادث كنيسة القديسين بالإسكندرية ؟

شأن الأزهر أن يصنع الحق وأن يبادر دائماً إلي معالجـــة كل ما يمكن أن تتعرض له الأمة أو الوطن من خطر هذا الحادث وهو ليس حادثاً موجهاً للمسيحيين فقط ولكنه موجه للمـــصريين جميعاً وهو حادث يستهدف أمن مصر وســـلامتها واســـتقرارها، والأزهر أكد موقفه في نقاط محددة أولها أن هذا الحادث الـــذي أدمي قلوبنا قد أصابنا جميعاً، والثاني إننا نري أن هذا الحـــادث لا يستفيد منه إلا عدو مصر وبالتالي نقول إذا أردنـــا أن نبحـــث عن الجاني نبحث عن المستفيد، والمستفيد ليس مصرياً ولا مسلماً ولا قبطياً المستفيد هو العدو الذي لا يريد استقرار هـــذا البلـــد، الأمر الثالث إننا بينا بشكل قاطع موقف الإسلام، الـــذي يجعـــل الكنيسة لها حرمة كحرمة المسجد وليس هذا اجتهاد مستحدث إنما هو تصديق لقول الله تعالي الذي نزل في سورة الحـــج فـــي أول الحج في أول آية سمح بها الله للمسلمين بالقتـــال حيـــث يقـــول

سبحانه وتعالي : ﴿ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ....﴾... وقد جعل الله سبحانه وتعالي حماية الكنيسة وحماية المعبد اليهودي واجباً علي المسلم كحماية المسجد، والشيء الذي نؤكد عليه أن المسلمين والإسلام يري أن الأخوة المسيحيين هم مواطنون لهم جميع الحقوق وأنه لا يجوز العدوان عليهم بحال من الأحوال .

مخططات وفتن

♦ وهل تري ما حدث مجرد حادث عابر، أم أنه سوف تترتب عليه آثار تضر بنسيج الأمة ؟

– الشيء المقلق أن هذا الحادث، ربما يكون أو يخشى أن يكون مقدمة لتطورات غير محمودة خاصة أننا نراه في سياق المخططات التي تعد للمنطقة لتفتيتها وتمزيقها وآثاره الفتن الطائفية والمذهبية، لكننا مع هذا نثق في لطف الله أولاً وفي حكمة القادة والمسئولين في مصر وفي المفكرين وفي الفطرة الطيبة لهذا الشعب الواحد الذي لم يعرف فتنة طائفية ولا مذهبية علي مدي تاريخه، والذي قام بهذا العمل يريد أن يكون له ما بعده ويريد أن يكون هذا العمل مقدمة لمزيد من الاحتقان، والتوتر المتبادل، حتى تتصاعد هذه المسائل، وتتسع الفرقة، وهذا

هو المقصود ممن قام بهذا العمل، ولكن نحن نقول حتى وأن كان هذا العمل مقصوداً به ضرب الاستقرار في مصر وتخريب الوحدة الوطنية فنحن نقول أنه ربما كان هذا العمل وما أدي إليه من استشعار الجماعة الوطنية في مصر بخطورة ما يهددها، حافزاً وداعياً لتعزيز الوحدة الوطنية ليس بمجاملات متبادلة ولا بلقاءات ظاهرة ولكن ببحث الأسباب الحقيقية التي يمكن لنا إذا درسناها بعمق أن نستأصل أسباب التوتر وأن نعالجها معالجة عميقة جادة .

♦ هل هذا يعني بأنك تري للحادث رءوساً خارجية ؟

- لا أستطيع أن أقطع بغير دليل ولكن الإنسان يستدل علي الشيء بظاهره، وأنا أقول من الذي يمكن أن يستفيد من الحادث؟... هذا أمر لا يفيد لا مسلم ولا مسيحي وحتى المجرم إذا كان عاقل لا يستفيد من هذا ولا يرتكب مثل هذا أنما هذا العمل يفيد أصحاب المخططات الشريرة الذين يهدفون إلي ضرب الاستقرار وأنا أقول إن هذا العمل موجه ضد مصر ليس ضد المسيحيين في مصر و أنما ضد مصر كلها وربما كان موجهاً للدولة في مصر بأكثر مما هو موجه لأي أحد أخر .

♦ وموجه للإسلام أيضاً ؟

بالطبع لأنك إذا أردت أن تسئ فيمكن أن تلصق به تهمة قتل الأبرياء في دار عبادة يوم عيد، أية إساءة أكثر من هذا،

والإسلام برئ من هذا ونذكر حديث الرسول الكريم قائلاً " من آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذى ذمياً فأنا خصيمه يوم القيمة " .

♦ إذن بما تصف هذا العمل أيا كان دين أو جنسية من ارتكبه ؟

أنا أصف العمل حقيقة بأنه عمل إرهابي جبان، لماذا لأن العمل الإرهابي هو العمل الذي يوجه للأبرياء بغير تمييز والذي يتم بغير غرض سياسي واضح من ورائه .

((بيت العيلة)) لتأكيد أن مصر واحدة ليست مقسمة إلي فئتين

♦ المبادرة التي أطلقتها "" بيت العيلة " ما تصورك بتشكيلها ؟ وما الأدوار المنوطة بها هل ستؤدي من وجهة نظرك إلي إزالة هذا الاحتقان ؟

هذه المبادرة ليست وليدة الحادثة أنما هي مشروع بدأ وتم التشاور بشأنه منذ حوالي ثلاثة أو أربعة شهور، والفكرة الأساسية فيه هي تشكيل مجلس من الحكماء من المصريين وهو ليس كما يتصور البعض مجلساً من شيوخ الأزهر ومن قيادات الكنيسة فهذا يعني أننا نصور المجتمع المصري علي أنه منقسم إلي فئتين، تعبر عن كل فئة منهما قيادة دينية، ولكن هي مجرد مبادرة منطلقة تستهدف بناء مجلس من الحكماء من المفكرين وأصحاب الرأي في مصر مسلمين ومسيحيين علي حد سواء رجالاً ونساء، هذا المجلس من شأنه أن يقوم بعدة مهام، المهمة

الأولي أن يستمع إلي نبض الشارع المصري بعمق، وأن يحاول تشخيص مواطن الداء ثم يحاول علاج هذا الداء بعدة أمور، من خلال أن يتواصل إلي توافق في الرأي حول كيفية معالجة المشكلات التي تواجهنا .... والخطوة التالية لذلك أن يوجه خطاباً يعكس هذا التوافق في الرأي علي خطاب موحد يوجه للناس لتوعيبيتهم بشكل فيه مصداقية الأمر الثالث أن هؤلاء الحكماء قد يتوصلون إلي توصيات محددة ترفع إلي المسئولين تساعدهم علي إتخاذ القرار المناسب .

♦ هل ما يصدر عن المجلس سيمثل مجرد أفكار وتوصيات أم قرارات تساندها قوة تنفيذية ؟

– أعتقد أن هذا المجلس يتميز عن غيره بعدة أمور أولها صدق النية القائمين عليه والداعين له وهذه مسألة مهمة جداً الأمر الثاني أنه ليس اجتماعياً يجتمع في مناسبة لتلبية حاجة ما ثم ينفض " السامر " ولا نسمع عنه شئياً بعد ذلك لأن هذه عملية متواصلة تقوم علي البحث العميق وعلي الجدية في المعالجة وعلي محاولة اقتراح الحلول بشكل جاد وعميق وعلي مخاطبة الناس باستمرار والوصول إلي رأي متفق عليه ويتم إيصاله للناس .

♦ البعض وصف زيارة فضيلتك للبابا شنودة عقب الحادث بأنها تعني تأكيدا علي أن الحادث كان بأيد إسلامية وأنه يحمل شبهة اعتذار عن الحادث ... ما تفسيركم لهذا الكلام ؟

– أنا رجل صعيدي أقدم أداء الواجب علي أي شئ وتقديم العزاء عندنا واجب وانا رأيت أن هذا اللعمل موجه ضد مصر كلها وأن هذا العمل لا يمكن أن يصدر من مسلم أو غيره وليست هناك أدني شبهة في هذا الأمر، ولذ لك الزيارة للعزاء ولإظهار التضامن بين الأشقاء في الوطن إزاء مأساة آلمتنا جميعاً وأدمت قلوبنا .

♦ كيف كان شعورك وأنت تقدم هذه الواجب الإنساني والوطني والشعبي إزاء الهجوم والإساءات والإهانات التي تعرضت لها خلال زيارتك للكنيسة لتقديم واجب العزاء ؟

– أنا أريد أن أؤكد بدقة أنه لم تكن هناك إهانة إطلاقاً والبابا وقيادات الكنيسة استقبلونا بكل ترحاب وكل سماحة .

انفعال وغضب

♦ وماذا عن الشباب وردود أفعالهم ؟

– هناك انفعال وغضب من بعض الشباب وهو انفعال مفهوم وغضب مبرر هذا الانفعال المفهوم والغضب المبرر لم يسلم منه حتى قادة الكنيسة أنفسهم، وأكيد كان هناك تعبير عن الغضب وكان هناك شيء من الانفعال لكن أؤكد لم تكن هناك إهانة وأنا أعذر هؤلاء الشباب واضع نفسي موضعهم وربما أجد من غضبهم جانباً إنسانيا لأنهم أوضحوا عما يجيش في صدورهم مما سيدفعنا إلي معالجة ما يجيش في صدورهم من قلق وغضب حتى لو كان غير صحيح وسنعالجه .

♦ ما قلته فضيلتكم يوضح خطورة الخطاب الديني والمتهم بأنه يؤدي لحدوث فجوة بين عنصري الأمة ؟

– في الفقه مسألة أسمها تحرير المصطلحات أحياناً يعم الالتباس نتيجة عدم مصطلح ما، يكون عندك له مدلول آخر غير شخص آخر فيحدث الالتباس نتيجة المثال كلمة الشعب الكنيسة عبارة عن اصطلاح كنيسي وقسيس الكنيسة يسمونه راعي ويسمون الذين يدخلون إلي الكنيسة الرعية ليس هذا المعني السياسي عندما تقول شعب الكنيسة هي مقولة بالمعني الكنسي وليست مقولة بالمعني السياسي .

ولذلك علينا أن نزيل أسباب سوء الفهم وهذا يؤكد أن هناك خطاباً دينياً غير واع، لدي قلة من الجانبين وواجب القيادات الدينية وواجب العلماء أن يبددوا التعصب بالعلم لأن التعصب نشأ عن الجهل ولو علم الناس ما في التراث الإسلامي من سماحة في فقه الإسلام ومن قبول للآخر ومن قبول للتعدد ومن صيانة لحقوق الناس مسلمين وغير مسلمين لما وقعوا في تعصب الرسول ﷺ في تعامله مع الناس كان يستقبل نصاري نجران في مسجده ولما أرادوا أن يصلوا جعل لهم مكاناً يصلون فيه في مسجده واحتفلوا في مسجده بعيد الفصح ثم انصرفوا وهم علي دينهم لم يقبلوا الإسلام ولم يلومهم الرسول ﷺ ولم ينقصهم من حقوقهم شيئاً .

وهذه السماحة مستمرة لـدي المرحـوم الـدكتور كامـل الشريف وهو من علماء المسلمين في الأردن وكان حضر خطبة للمرحوم الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين في المسجد وقد أذن المؤذن بصلاة المغرب و فؤجيء بأن نـصف النـاس يـصلون ونصفهم الثاني لا يصلون فما تساءل عن هذا قيل له إن هـؤلاء الذين لا يصلون مسيحيون يـستمعون لخطـاب المفتـي داخـل المسجد. فنحن هنا في الشرق الإسلامي أكثـر النـاس تـسامحاً وأكثر الناس قبولاً للآخر وأريد أن يكون الخطاب الديني الصادر من المسلمين والمسيحيين جميعاً خطاباً توحيدياً يحتـرم الآخـر والناس لن تغير عقائدهم ولكن المطلوب أن تحترم أخـاك فـي الإنسانية وتدرك أن هناك قيماً عليا نتبعها هي قيم المحبة والعدل والسماحة والسلام والإيمان بالله سبحانه وتعالي الإيمان بالله مقدم علي كل هذا.

♦ ما رأيكم في تعدد القنوات الفضائية التي يظهر بهـا شـيوخ وقساوسة تزيد آراؤهم من دائرة الاحتقان ؟

نحن نريد ممن يرتقي منبراً سواء كان منبـر مـسجد أو منبر كنيسة أو قناة إعلامية أو صحيفة إلا يكون هدفه إثاره فتنـة الناس هدفه قول الحق والابتعاد عما يثيـر النـاس والاعتـصام بالكلمة السواء كما جاء في القرآن الكريم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾

♦ هل تري أنه يجب أن يكون هناك دور رقابي علـــي وســـائل الأعلام بوصفها أحد منابر الخطاب الـــديني أو دور رقـــابي بشكل عام علي الخطاب الديني لتصحيح مساره ؟ .... وهـــل يمكن أن يكون ذلك أحد أدوار بيت العيلة المقترح ؟

- أنا أري أن يواجه الرأي بـــالرأي وأن تقابـــل الحجـــة بالحجة، والحجة الصحيحة حجة بالغة والأزهر ليس جهة رقابـــة ولا جهة تقييد لحريات الناس نحن نريد الناس أن يكونوا أحـــرار فيما يقولون ولكن أن يتحري كل شخص الحق ووجه الحقيقة وأن يلتزم الجميع بالمصلحة الوطنية العليا ونقول أما الزبـــد فيـــذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الرض وعندما يعلو صـــوت الحق تضعف الأصوات الخارجة وتخفت ويزول تأثيرها .

دور العبادة

♦ هناك ادعاءات بأن تأخير صدور قانون دور العبادة الموحد له يد في هذا الاحتقان وهناك البعض يسعى لجر الأزهر إلـــي معارك جانبية مثل المطالبة بإدخال مسيحيين جماعة الأزهر؟

قانون دور العبادة مسألة مناطها مجلس الشعب والحكومـــة المصرية وليس للأزهر فيها شأن مـــن قريـــب أو مـــن بعيـــد والمسئولون في مصر هم من الحكمة ويمثلون مصر كلها حيـــث يتخذون القرار المناسب بالشكل الذي يحقـــق المـــصلحة العامـــة وليس للأزهر دخل في هذا .

والأزهر ليس سبباً في التأخير وليس له علاقة في هذا القانون إطلاقاً لأن القانون مسألة تنظيمية وكلنا يعلم أن بناء المساجد يخضع لتسعة شروط وبناء الكنائس يخضع لعشرة شروط لو تناظرت فيها لوجدتها متشابهة فالمسالة مسألة إزالة ما يشعر به الأخوة المسيحيون عن أن هناك تضيق عليهم والذي أقوله أن الإسلام لا يقبل التضييق علي المسيحيين وأكرر هذا مسألة تنظيمية مرجعها السلطة المختصة .... ولكن ليس من الحكمة وليس من الشرع أن تقيم مسجداً في مواجهة كنيسة تضيق به علي الكنيسة ولا أن تقيم كنيسة في مواجهة مسجد ليس هذا من الحكمة ولا من الأمور شرعاً ولا عقلاً وأرض الله واسعة .

أما عن مسألة دخول المسيحيين الأزهر فهناك عدة أسباب لرفضها، فهل يستطيع خريج الثانوية العامة المسلم أن يدخل جامعة الأزهر ... لا، لأن كل جامعة تشترط لدخولها دراسة مجموعة من المواد لا يستطيع الطالب أن يدخل الأزهر إلا إذا درس مجموعة من العلوم الشرعية تمهده للدراسة في الأزهر .. ولكن إذا أراد المسيحي أن يدخل الأزهر من الابتدائي، نقول نعم أولاً ... من حيث الأصل يتفضل لكن في هذا ظلم لأنك إذا أدخلت طفلك مؤسسة تدرس ديناً غير دينه فأنت بين أمرين أما إن تفسد عليه عقيدته وتفرض عليه ديناً وهو ما زال صغيراً وفي هذا ظلم وتعد علي حريته في الاعتقاد والاختيار وأما أن تجعله

في حالة صراع نفسي دائم وهذا أيضاً يحدث آثاراً نفسية سيئة وهذا هو الأمر بغير تمييز أو تفرقة .

والله سبحانه وتعالي نهانا حينما خاطب الرسول ﷺ قائلاً في محكم آياته ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ كما قال عز وجل ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ وقال ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني الاختلاف سنة كونية ماضية سارية فليس من شأن المسلم أن يحاول فرض دينه، علي غيره .... لكن أن تضع طفلاً أو شاباً في مؤسسة تدرس ديناً غير دينه فأنت هنا تظلمه وتفرض عليه قهراً معنوياً وفكرياً وهذا حرام .

♦ هناك أصوات من أقباط ومسلمين في مصر تطالب بإلغاء بند الديانة من البطاقة الشخصية ما رأي الأزهر ؟

- هل يقبل المسلم أن ينظم حياته وزواجه وميراثه وطلاقه قانون غير قانون الإسلام ؟

هل يقبل المسيحي أن ينظم زواجه وطلاقه وشئون دينه وتعميده أولاده دين غير دين المسيحية ؟ ... هذه المسألة النص فيها نوع من التعريف بالهوية وليس نوعاً من التمييز النص علي الدين فيه محافظة علي الحقوق وتعريف بالهوية وليس تمييزاً ولا تفرقة .

♦ وهناك احتقان بين المسلمين والمسيحيين والبعض يفسره بأن هناك مناهج في الأزهر أو في المدارس تؤدي لذلك فهل يجب تعديل هذه المناهج ؟

– إذا كان المراد بتعديل المناهج تمييع هوية الأمة وجعلها أمة بغير هوية ولا تاريخ هذا أمر مرفوض وإنما المطلوب هو أن تكون هذه المناهج مناهج عميقة واضحة مؤسسة علي العلم الصحيح وأنا أتكلم حتى عن مناهج تعليم الدين الإسلامي فإذا أرجعنا مناهج تعاليم الدين الإسلامي إلي أصول التراث الإسلامي والعربي لوجدنا أن هذه المناهج داعية للوحدة ولاحترام الآخر ولاحترام التعدد .... وأقول نعم لإزالة ما قد يكون في بعض المناهج من تفكير متشدد ليس له سند من دين ولا شرع ولكن لا لمحاولة تمييع ثقافة الأمة وهويتها والعلاج ليس بإضعاف المناهج أكثر عمقاً وأكثر قوة وأن تعود إلي الأصول الصحيحة للإسلام الذي لا يعادي أحد ولا يظلم أحداً .

تدخل الفاتيكان

♦ طالب بابا الفاتيكان بحماية الأقباط المصريين وفضيلتك بأنه أسي فهمه، كيف تنظر لتدخلات البابا الدائمة ومطالبة غير المشروعة بحجة حماية الأقباط في مصر ؟ وهل يؤثر هذا الحادث وهذه التدخلات غير المبررة علي علاقة الحوار التي كان من المزمع مواصلته بين الأزهر والفاتيكان مستقبلاً ؟ خاصة أن البابا من دكت قام بإصدار وثيقة باسم " السينودس"

تتضمن نفس التحذيرات، والتخوف علـــي المـــسيحيين فـــي الشرق الأوسط وفضيلتك قمت بالرد عليها في رسالة أرسلت لمؤتمر الإخاء الإسلامي المسيحي بدمشق مؤخراً ؟!

– أحب أن أؤكد أننا كمسلمين حريصون كل الحرص علي بقاء المجتمعات المسيحية في الشرق مزدهرة وآمنـــة ومطمئنـــة ومساهمة في بناء أوطانها والتاريخ شاهد علي ذلك ..... وهـــذه المجتمعات عاشت في الشرق العربي الإسلامي باعتبارها تنتمي حضارياً لهذا الشرق وتساهم في حضارته، بمعني أن هناك انتماء دينياً وحضارياً والذين بشروا بفكرة القومية العربية كلهـــم مـــن مسيحي الشرق معظمهم راسخوا القـــدم فـــي التـــراث العربـــي والإسلامي وأيضاً هناك المثل الرائع مكرم عبيد باشا كأن له قوله رائعة " أنا مسلم الوطن مسيحي الديانة " .... والمسيحيون فـــي الشرق جزء لا يتجزأ من يننا وثراء الشرق الحـــضاري الـــذي يعتمد علي بقاء هذا التنوع الثقافي والحضاري والديني ونحن لـــم نسع أبدا في أي مرحلة من المراحل لكـــي تـــصبح بلادنـــا ذات صبغة واحدة وهذا تحقيق لسنة كونية لأن ربنا ســـبحانه وتعـــالي ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وقد جعل الله الاختلاف سنة كونية ماضية مـــن الأزل إلي الأبد فليس من شأن المسلم وليس من طبيعـــة الإســـلام أن يحاول صب الناس في قالب واحد بل علي العكس يحافظ علـــي هذا .

أما إذا عدنا لما قاله بابا الفاتيكان فقد صدر عن الفاتيكان خلال اجتماع السينودس الذي انعقد في أكتوبر الماضي في روما بحضور رؤساء الكنائس الكاثوليكية في الشرق الأوسط، وقد صدرت الوثيقة وبها أشياء إيجابية وأخري سلبية وقد بينا في الرد الذي وجهته إلي مؤتمر الإخاء الإسلامي في دمشق تحفظاتنا علي ما ورد بهذه الوثيقة . أما بالنسبة لما ورد عن البابا ومطالبته بالتدخل الأجنبي في الشئون الداخلية لمصر فنحن نرفض هذا رفضاً قاطعاً جازماً ونستند في الرفض إلي أسباب عدة أهمها:-

أولاً : أن المسيحيين كما قلت جزء من هذا النسيج ونحن حريصون عليهم وبقاءهم هو من بقاء المجتمعات واستمرارها .

ثانياً : أن الشيء الذي يحميهم هو حقهم في المواطنة والقانون الذي يعيشون في ظله والدولة التي ينتمون إليها .

ثالثاً : أن الدعوة لحماية خارجية يصور هؤلاء كما كانوا عنصراً طارئاً علي المجتمع يحتاج إلي حماية من خارج وطنهم وهذا أمر غير مقبول إضافة إلي أن التدخل في شئون مصر الداخلية هو أمر مرفوض بمقتضى سيادة هذه الدولة .

المادة الثانية خط أحمر

كما جاء في الأخبار ٢٠١١/٢/٢٤

حديث مع الشيخ محمد حسان

المادة الثانية من الدستور خط أحمر .... والأقباط وجدوا الأمان في الإسلام أدعو القوات المسلحة للإسراع بالتغيير حتى لا يصاب الشباب بالقلق شيخ الأزهر يجب أن يكون منتخباً من هيئة كبار العلماء

حذر الشيخ محمد حسان من المساس بالمادة الثانية من الدستور مشيراً إلي أن الأمة كلها ستخرج للدفاع عن بقائها فإن المساس بها خط أحمر ... وطمأن حسان الأقباط بأن هذا ليس تخويفا لهم فنصوص القرآن والسنة تشدد علي عدم ظلمهم أو الانتقاص من حقوقهم ... وجه الشيخ محمد حسان رسائل للمعتصمين في كل مكان بفض اعتصاماتهم فوراً حتى لا تزداد الأزمة تأزماً ولتعود حركة التنمية مشيراً إلي أن مصر ليست ملكاً لرئيس أو حكومة ولكنها ملك لشعبها وشبابها وعليهم أن يؤجلوا المطالبة بحقوقهم حتى تخرج بلدنا من الأزمة ... ودعا حسان القوات المسلحة بالتعجيل من وتيرة التغيير حتى لا يصاب

الشباب بالقلق مؤكداً أن الجيش المصري كان وما يـزال درعـاً واقياً وأمنياً للشعب المصري وأن مسئوليته كبيرة في هذه الفتـرة ... كما دعا حكام الأمة العربية والإسلامية إلي الاسـتفادة مـن الدرس وبأخذ النصيحة من أهل العلم وعدم عناد الشعوب .

وأكد حسان ضرورة انتخاب شيخ الزهر من هيئـة تـضم كبار العلماء من الأزهر وخارجه وعدم اختزال الدين في علمـاء الأزهر فقط وأن تكون للأزهر ميزانية مستقلة حتـى لا تكـون للسلطة التنفيذية أي تأثير علي قراراته .

♦ .... ؟؟

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ﷺ وبعـد أري أنه يجب علي الأمة الآن في ظلل هذه المرحلة الدقيقة الراهنة أن تمثل لأمر الله عز وجل ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ وأن لا يتناسوا هذا التحذير في قـول الله تعـالي : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وقال تعالي : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فهذا التشرذم والتنازع والتهارج بين الأمة علي مستوي الجماعات الدعوية والفكرية والمؤسـسية ينبغي أن يختفي في ظل هذه المرحلة الراهنة وأن يتنـازل عـن الرؤى الفردية للمصلحة الجماعية وأن نتنازل عن الطروحـات الشخصية لمصلحة هذا الدين ثم لمصلحة هذا البلد .

وأنا أعلم أن هذا الأمر ليس بالأمر الهين أو اليسير ومن ثم نحتاج لمزيد من الإخلاص ومزيد من التجرد نريد من يعمل بلا رايات وبلا أطماع وبلا أغراض فيجب علينا أن نقدم الحق علي لسان أي أحد وأن نعين أي أحد برفع راية الحق فليس العبرة بمن يقول الحق المهم أن يقال الحق وليست العبرة من يرفع الرايـــة، المهم أن تُرفع الراية .

♦ .... ؟؟

شباب مصر الذي خرج من أجل المطالبة برفع الظلم وتحقيق العدل – وهذا من أعظم مقاصد الشرع، الشعب الذي خرج بكل أفراده من الكبار والصغار والشيوخ والأطفال والنساء والبنات سيخرج مرة أخري وستخرج معه قواته المسلحة وعلماؤه وستخرج كل أطياف الشعب للتضحية بالدماء والأرواح من أجل هذا الدين فلن تقبل الأمة أبداً أن تمس المادة الثانية من مواد الدستور والتي تنص علي أن الدين الرسمي للبلاد هو الدين الإسلامي والذي يحكم بلادنا منذ أكثر من أربعة عشر قرناً والتي تنص أيضاً علي إن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع لذلك أنا حذرت من حذف حرفين قلت لن نقبل أن تكون الشريعة الإسلامية ((مصدر رئيسي)) بالتنكير بل هي المصدر الرئيسي للتشريع، فالأمة مستعدة بكل أطيافها وعلي رأسها القوات المسلحة الباسلة للدفاع عن هذه المادة وهذا ليس تخويفاً منا للأقباط أو النصارى الذين يعيشون في هذا البلد الكريم فهم يعلمون أنهم لم يشعروا بالأمن والأمان والاستقرار إلا في كنف هذا الدين الذي يأمرنا في قوله تعالي ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

والذي يذكرنا فيه بحديث رسول الله ﷺ رواه أبـــو دواد وغيـــر بسند صحيح [[إلا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو أخذ منـــه شـــيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة]] .

♦ .... ؟؟

نحن وأؤكد علي هذا لا نريد أن نحكم بل نريد أن "نحكم " بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ولو حكمنا بهذا الكتاب وسنة نبينا عبـــد أسود حبشي لقول النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح الـــذي رواه الترمذى وغيره من حديث العرباض بن سارية [[فسترون خلافـــاً من بعدي فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشـــدين المهـــديين مـــن بعدي، عضوا عليها بالنواجذ واسمعوا و أطيعوا وأن تأمر عليكم عبد حبشي]] فإننا لا يعنينا الصفات الشكلية أو الشخصية للحـــاكم وإنما نركز علي المنهج الذي سنحكم به في المرحلة القادمة فنحن نريد أي مسلم يحكمنا بكتاب الله وسنة نبيـــه ﷺ وقـــيم مجتمعنـــا وأخلاقه و أيضا نذكر أخواتنا الـــذين يخـــشون الإســـلام بـــأنهم لايعرفون الإسلام و إنما يحكمون علي الإسلام من خلال النماذج التي قدمت للإسلام علي أرض الواقع وقد ابتعـــدت وانحرفـــت كثيراً عن الإسلام كمنهج فأرجو أن يفرق هؤلاء بـــين الإســـلام كدين ومنهج رباني وبين المنتسبين إليه الذين ابتعدوا عنـــه مـــن الناحية التطبيقية وأيضاً من الناحية الدعوية فأنا أقول أن الحـــق معنا ولكن لم نحسن إلي الآن أن نشهد لهذا الحق شـــهادة خلقيـــة وعملية علي أرض الواقع ولم نحسن أيضاً أن نبلغ هـــذا الحـــق

الذي معنا للآخرين بحكمة وأدب فهـذا الـذي جعـل الآخـرين يحكمون علي إسلامنا ويخشون ديننا .

التغيير من الداخل

♦ .... ؟؟

أنا أري أن أهم مشروع يجب أن يبدأ به الآن هو مشروع التغيير لكن من داخل النفوس والتغيير .... والإصلاح لا يتم أبداً بتغيير بنود الدستور ولا بسن القوانين هذا شيء جميل ومرحلة لا أقلل من قدرها ولا من شأنها لكن التغيير الحقيقي يجب أن يبـدأ من نفوسنا كما قال تعالي : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ ويجب أن نقـف جميعاً وقفة صادقة لله سبحانه وتعالي ثم لهذا البلد وأنـا ادعـوا شبابنا كذلك للتغيير ..... لتغيير أخلاقهم ولتغيير قيمهم ولتغييـر انحرافاتهم أيا كانت هذه الانحرافات، فيجب علينا أن نبدأ التغيير كل في مكانه الذي هو فيه، فإن أعظم خدمة نقدمها لهذا الدين ثم لهذا البلد أن يشهد كل واحد فينا شهادة خلقية عملية علـي أرض الواقع لدفع عجلة التنمية الجديدة .

♦ .... ؟؟

رسالتي لشبابنا سواعد الأمة التي تبني وتعمر، هـي أنـه لاينبغي لشبابنا أبداً في ظل نشوة النصر هذه أن يـستغني عـن

الشيوخ والعلماء والحكماء فإن شيوخنا عقول الأمة التي تخطط وتفكر، بل يجب علي الشباب بتواضع شديد أن يرجع إلي أهل الحكمة وأهل الفضل وأهل الخبرة وأهل التجربة وأيضاً أذكرهم بالعودة إلي الله سبحانه وتعالي وتجديد النية وتصحيحها حتى لا يفقدوا أجر هذا العمل وأدعوهم أيضاً للمحافظة علي الصلاة وإقامة دين الله لقوله تعالي ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ فأنا أحذر شبابنا بالا يظنوا بأن النصر كان ابتداء ونهائياً بسواعدهم لا والله، أن النصر كان وسيبقي ابتداء وانتهاء بيد الله كما قال تعالي: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾... فعلي أولادنا وشبابنا أن يردوا الفضل لله ابتداءً وانتهاء فو الله لو اجتمع شباب مصر بل وشعب مصر كله بل والأمة كلها لتحقيق أمر لم يرد الملك جل وعلا تحقيقه ما استطاعوا فلا يقع شيء في الكون إلا تحت سمعه وبصره وبإرادته ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾.

رسالة لأمهات الشهداء

♦ .... ؟؟

أقول لأمهاتنا الفضليات ممن فقدن أولادهن في هذه المحنة أولاً أسال الله سبحانه وتعالي أن يتقبل أولادكم عنده في الشهداء و أقول لهن اصبرن بل وافخرن ولا ينبغي أبدا أن تيأس كل أم

فاضلة فالموت حق ومهما طال الزمن فإننا إلـي تلـك الحقيقـة سائرون " كل من عليها فإن ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام " وجميل أن يموت الإنسان منا علي طاعة وجميـل أن يمـوت الإنسان منا علي خلق وعلي القيم والمبادئ أفضل من أن يعيش مهيناً ذليلاً .

♦ .... ؟؟

أقول لرجال القوات المسلحة جزاكم الله خيراً كنتم بفـضل الله تعالي درعاً واقياً وأميناً لهذا الشعب وقد كان الجيش بفـضل الله تعالي نموذجاً مشرفاً لتحقيق الأمن والحماية لشبابنا وأولادنـا ولكن أطالبهم الآن بتعجيل وتيرة التغيير لأن كل ساعة تمـضي لها حساباتها فلا ينبغي أن نتباطأ أو نتكاسل وأنا أعلم أن الحمـل ثقيل وإن الأمانة و التبعه كبيرة، لكن أملنا في الله ثم في أبنائنـا وإخواننا من رجال القوات المسلحة كبير، فعليهم أن يجعلوا وتيرة التغيير حتى لا يصاب أحد من شبابنا بشيء من القلق وأسأل الله لهم مزيداً من التوفيق والسداد .

♦ .... ؟؟

أسأل الله سبحانه وتعالي لأمتنا الإسلامية والعربية التوفيق والسداد والرشاد ونصيحة للجميع الآن لماذا الكبر ولماذا التعنـت لم نتواضع ويقف كل مسئول مع نفسه للأصـلاح والتغييـر، لا حرج علي الإطلاق أن أقف مع نفسي وقفة صدق ومراجعة لماذا لا أقدم من ينصحون بلا مجاملة فأنا أنصح كـل مـسئول فـي

الأمتين العربية والإسلامية أن يستفيد من الدرس هذا ليس عيباً رسول الله ﷺ

وهو من هو الذي كان يتنزل عليه الوحي من السماء كان يستشير أصحابه فلم لا يتشاور القائمون علي الأمر والحكم في الأمتين أهل الحل والعقد، إلا أن لامتنا أن نقدم فيها العلماء الأوفياء لنصحهم وتوجيهم يجب أن تتلاحم الجهة الحاكمة مع علمائها ممن تشهد له الأمة بعلمهم وبالدراية والكفاية . أصدم حين يقال بأنه : يجب تنحي العلماء لأنهم لا علاقة لهم بالسياسة فمن الذي يحكم الأمة إن تنحي العلماء ؟ العلماء أجدر الناس لقيادة الأمة وفقاً لمرضاه الله وأسأل الله أن يتم عليهم الأمن والأمان وأن يحرمهم الرخاء والاستقرار .

▼ .... ؟؟

اقترحت أن ينتخب شيخ الأزهر من قبل هيئة كبار العلماء تلك الهيئة التي تكون من الأزهر، وغير الأزهر فقد أن الأوان أن نتخلي عن اختزال الدين في علماء الأزهر فقط دون سواه، فالأمة مليئة بالعلماء الربانيين وبالدعاة الصادقين فليتم تشكيل هيئة كبار العلماء من علماء الأزهر وغير علماء الأزهر، وما أكثرهم في بلدنا بفضل الله، ولتختر هذه الهيئة – هيئة الحل والعقد – شيخ الأزهر .... ترشح من تراه مناسباً لعلمه وأمانته وورعه ودينه وخلقه إلي غير ذلك من الضوابط الشرعية ثم يصبح هذا الشيخ بعد ذلك همزة الوصل بين هيئة كبار العلماء

وبين رئيس الجمهورية، الذي أري أنه من الحكمة اللازمة أن يقرب شيخ الأزهر المنتخب من هيئة كبار العلماء إليه في المرحلة القادمة .

▼ .... ؟؟

لقد عكف الإعلام طيلة السنوات الماضية علي التخويف من الفضائيات الدينية واتهامها بأنها منبع للإرهاب والتخلف والتأخر والجمود والرجعية إلي غير ذلك من التهم المعلبة ولم نر هذا الإعلام يطرح أي ملاحظة علي فضائية من هذه الفضائيات بصورة مترنة والمسئولون في الفضائيات الدينية ليسوا أطفالاً في الحضانة ليحتاجوا توجيهاً من أحد .... هذا خط أحمر وهذا أسود ولكن لا حرج علي الإطلاق إذا وجدوا ملاحظة علي هذه القنوات من الناحية الدعوية أو من الناحية التقنية أو من الناحية المهنية فلا حرج أن تتشكل لجنة من علمائنا الأفاضل ومن الإعلاميين والقانونيين وتجلس مع المسئولين عن هذه القنوات فإن قبلها القائمون علي هذه القنوات لأنها بالفعل ملاحظات جديرة بالاحترام والتقدير فلا حرج ولا يجدوا كبراً ولا عناداً ولا إصراراً فهل يا تري بعد أن أوقفوا هذه القنوات الدينية التي أسمعت عن الله ورسوله أوقفوا قناة إباحية واحدة .

حوار : ضياء أبو الصفا

الفوضى الخلاقة ... طبق الأصل !

كما في الأخبار ٢٠١١/٢/٢٥

الثورة ضرورة حتمية توجها فخر المصريين أن شبابهم هو الذي فجرها ونفذها ... ولكن الا يقفز إلي الأذهان أين الفوضى الخلاقة الدعوة التي تبنتها كونالديزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة منذ عام ٢٠٠٥ الا توجد أصابع أمريكية خفية في كل الثورات الشعبية بالدول العربية . والا يكفي اعتراف رايس بذلك في صحيفة واشنطن بوست مؤخراً، " أمريكا لا تتدخل بشكل مباشر في هذه الأحداث ولكنها الملهمة ... فكيف كان الإلهام الأمريكي ببث أفكار الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، أم وصل الأمر التخطيط والدعم والمشاركة في التنفيذ . هذا ما هو متروك للتاريخ .

الوزيرة الأمريكية لم تبتكر مصطلح الفوضى الخلاقة، ذو الأصول الفكرية، ولكنها التي سعت إلي تطبيقه في المجال السياسي والاستراتيجي بمنطقة الشرق الأوسط والذي تمثل ظواهره الثورات الشعبية في صورة طبق الأصل من نظرية الفوضى الخلاقة فعندما أطلقت رايس دعوتها هذه عام ٢٠٠٥، لم تطلقها علي عواهنها دون أن تعي هدفها وكيف يمكن تنفيذها . أو تترك ذلك للصدفة أو لانتفاضة شعب . قد تأتي حالاً أو لا تأتي نهائياً .. ما لهذا تفكر مراكز البحوث الأمريكية ودوائر صنع

القرار، وما لهذا يخطط المسئولون ليكون التنفيذ بالصدفة ... أما عن الهدف فهو ما سوف يتوالي كشفه مع الايام . ولكنه ليس أولاً ... ولا آخراً ....، حرية الشعوب العربية ولا عيشها في رفاهية . ولكنها الشعوب العربية ولا عيشها في رفاهية . ولكنها أولا و أخيرا ... المصالح الأمريكية ... ! وهو مشروع التغيير الكامل في الشرق الأوسط، الذي وضعه معهد بحوث " أريكا انتربرايز " عام ٢٠٠٣ ..... اهدم كل شئ ... ومن بين فوضى الدمار يخلق النظام والوضع الجديد .....!

بقلم : السيد النجار

ليس الخميني وليس بن بارز : إنه القرضاوي

كما جاء في الأخبار ٢٠١١/٢/٢٨

أنا لا أنتمي إلي الأخوان المسلمين فهذا شرف لا أدعيه ولكنني أدعي أنني أعرف جيداً بعض المثقفين المصريين وأعرف أكثر منطلقاتهم الأيديولوجية البالية التي سقطت و اندثرت في كل مكان ... الدكتور الشيخ القرضاوي وهو داعية عظيم بلا شك .. صنع شهرته في الفضائيات الخليجية بعد أن خرج من مصر طريدا شريداً ... ووصل بسرعة إلي قلوب الناس وعقولهم بفهمه العميق والواعي للإسلام وبقدرته الفذة علي توصيل علمه إلي جموع المسلمين وبتأكيده علي الوسطيه والاعتدال فاعتمد في كل فتاواه علي التيسير ما لم يكن أثماً ورفض المغالاة ورفض الغلاة ورفض الانغلاق فلم يكن كالخميني ولم يكن مثل بن باز وإنما كان نسيج وحده وممثلاً صادقاً للدعوة التي ينتمي إليها وهي الأخوان المسلمين وحظي الرجل بإخلاصه وعلمه وشجاعته علي إعجاب الملايين من المسلمين علي امتداد العالم الإسلامي الفسيح حتى انتخب رئيس علماء المسلمين وهو منصب شيخ الأزهر فهو يمثل أكثر من مليار مسلم مختلف الأعراق واللغات . وقد حرص العالم الكبير علي أن يحضر إلي مصر في يوم جمعة النصر وأن يتفضل بإمامة المسلمين مما كان إضافة عظيمة لثورة الشباب وشرفاً

يضاف إلي شرف الثورة التي أحيت الممات ... ولكن الغريب والعجيب والمثير للتساؤل أن يتعرض الرجل لهجوم غير مبرر ومثير للتقزز .. بدأ هذا الهجوم – للأسف – الكاتب العظيم والصديق القديم المبدع جمال الغيطاني الذي بدأ الاتجاه لتحرير نفسه من عباءة محفوظ والابنودي التي سجن نفسه فيها سنين طويلة لم يترك لنا الفرصة لنفرح بتحرره من هذه العباءة التي قيدت إبداعه وجعلته وهو في رأيي أعظم من الاثنين مجرد تابع أو مسئول علاقات عامة ... أقول أن الغيطاني لم يترك لنا الفرصة لنفرح بتحرره و إنما انقض دون مبرر علي الدكتور القرضاوي مفصحاً بغباء عن أيديولوجية بالية قبيحة سقطت في كل مكان وكانت البداية المأسوية للكوارث التي عاني منها الشعب طوال ٦٠ عاماً سكتنا بعد أن قرأنا هجوم الغيطاني علي الدكتور القرضاوي وقلنا – زلة قلم – أو عادة قديمة – غلبت عليه – ولكن ما كدنا ننتظر حتى انبري صوت قبيح كأنما انبعث من بين القبور ... كلمات ليوسف القعيد وهو مشروع أديب صنع منه الغيطاني كما صنع من غيره أديبا – أكذوبة – أنبري القعيد بالهجوم الشرس علي الشيخ وعلي الأخوان متهماً لهم بأنهم سوف يعيدون مصر إلي عالم الجاهلية وسوف يقهرون المرأة ... ويفرضون النقاب ويمنعون الأغاني ... وأنهم يسرقون الثورة مع أن الأخوان أعلنوا ومنذ اليوم الأول أنهم لن يترشحوا للرئاسة وأنهم لا يدعون لدولة دينية وأنهم هم والأقباط أخوة ولكن كل

ذلك لم يقنع القعيد وعاد يلوك كلاماً قاله منذ الستينيات يترجم نفس الأيدلوجية الغيطانية التي لم يعد يهتم بها أحد أو يحترمها أحد ... أن ما حدث في ميدان التحرير شئ عظيم قام به شباب أطهر من ماء الندي علي الورود الغضة وقد كان للإخوان المسلمين دور ملحوظ لا شك وليس من مصلحة أحد إنكاره إذا كنا ندعو للحيدة وندعو للشفافية هذا الدور لاحظته أمريكا بأجهزتها الراصدة ولمحت إليه منذ الساعات الأولي ولاحظه النظام المصري أيضاً بدءاً من حوارات عمر سليمان وحتى الآن ... وليس عيباً أن تميل الملايين المحتشدة في التحرير وغير التحرير إلي الإيمان وأن يصطفوا جميعاً يحيط بهم الأقباط لحمايتهم أثناء الصلاة وراء رمز استقبلوه بكل الاحترام ليس في ذلك عيب ولكن العيب كل العيب أن يبادر الغيطاني ويبادر القعيد دون هدف ودون غاية ودون نتيجة بالهجوم علي رمز المفروض أن تفخر به مصر كما يفخر به العالم الإسلامي وأذكر هنا بأمر غريب ... عندما قام السادات بهجمته الضاربة علي الإخوان وعلي جميع المثقفين قال في خطاب شهير واصفاً الشيخ المحلاوي " اهو مرمي زي الكلب في السجن " ولم تمض شهور قليلة جداً جاء فضيلة الشيخ القرضاوي إلي مصر علي رأس وفد من علماء المسلمين يمثلون أكثر من مليار مسلم منتشرين في كل العالم وطلبوا لقاء الرئيس مبارك لكي يقدموا له نصيحة لوجه الله بوضع حد للفساد .... وفي صلف وكبرياء وغباء سياسي لا مثيل

له ... رفض مبارك مقابلة الوفد ولم يستطع أعـضاء الوفـد أن يفهموا لماذا يهرول مبارك في خور وإذعـان وطاعـة عميـاء لاستقبال أي صعلوك يرسله البيت الأبيض ويرفض أن يـستقبل وفد بهذا الحجم ولم تمض شهور حتى أزيح مبارك ومضي .... من أجل هذه الواقعة كانت رمزية أن يحضر الشيخ القرضـاوي ليؤم المصلين في ميدان التحرير ولله الأمر .

بقلم : سيد حجازي

الزلازل السياسية في العالم العربي

كما جاء بالأخبار بتاريخ ٢٠١١/٣/١٠

تأسيس للحرية والديمقراطية أم بداية للفوضى الخلاقة بمؤامرة صهيو – أمريكية

انفصال دولة جنوب السودان وشبه انفصال ثلاثي في العراق

وسقوط نظامي بن علي في تونس ومبارك في مصر

اضطرابات في شرق السعودية وقطر وسلطنة عمان والأردن وجيبوتي وجزر القمر مع استمرار الشقاق الفلسطيني

هل يمكن أن تكون الصدفة وحدها وراء الزلــزال الكبيــر الذي اهتزت بسببه معظم الأنظمة العربية هذه الأيام وإذا كــان الاهتزاز الزلزالي قد بدأ منذ أمد بعيد في العراق وذلك الاهتزاز يعود أصلاً إلي الجذور الطائفية في التقسيم الأساسي بين الــسنة والشيعة وعرقية بين العرب والأكراد وغيرهم وتمت تغذيتها بكل الوسائل .

أم الزلزال الجديد الذي بدأ مع بداية العام ٢٠١١ فكانــت افتتاحيته في السودان التي انفصل جنوبها عن شمالها بنسبة تأييد أكثر من ٩٥ % من أبناء الجنوب ثم انتقل إلي تــونس وانتهــي بهروب الرئيس زين العابدين بن علي بعد ٢٧ عاماً فــي الحكــم وتواصل في مصر لينتهي بتنحي الرئيس السابق حسني مبــارك

بعد أكثر من ٣٠ عاماً في السلطة وامتد إلي ليبيا التي يحكمها العقيد معمر القذافي منذ نحو ٤٢ عاماً كاملة بالحديد والنار ولا يزال الزلزال هناك مستمراً في انتظار لحظة سقوط القذافي وعصابته العائلية .

ويستمر الزلزال السياسي العظيم وتوابعه بأعلى مقاييس الزلازل السياسية في اليمن التي انطلقت فيها المظاهرات منذ نحو الشهر تطالب بسقوط رئيسها علي عبد الله صالح علي رغم إعلانه التخلي عن فكرة توريث ابنه الحكم .

وتمتد توابع الزلزال السياسي العنيفة إلي كل من مملكة البحرين لأسباب طائفية أيضاً وإلي الجزائر التي تعيش هي الأخري عصراً من الجمود الأمني والعسكري والتوابع غير بعيدة عن المملكة المغربية بعد سنوات طويلة من الاستقرار في عهد ملكها محمد السادس في ظل سيطرة أمنية هائلة وهناك ملامح تنذر ببراكين في كل من المملكة الأردنية الهاشمية ولم تتوقف المظاهرات والاحتجاجات فيها والتي أدت إلي إسقاط حكومة وتشكيل حكومة جديدة بعد انتخابات شهدت انسحاب للحزب الإسلامي هناك وفي المنطقة الشرقية المملكة العربية السعودية حيث التركز الشيعي وفي سورية لأسباب طائفية أيضاً وقبلها في لبنان لنفس الأسباب وغيرها .

وغير بعيدة سخونة الزلزال عن كل من سلطته عمان لأسباب طائفية في منطقة صحار دعت السلطان قابوس إلي اتخاذ

قرارات فورية بتعديلات في الكثير من الموقع الحاكمة وفي الكويت لأسباب طائفية إلي حد بعيد وفي قطر لأسباب سياسية وعائلية ظهر علي سطحها ما أعلن عن محاولة انقلابية علي الأمير الحالي حمد بن خليفة آل ثاني بسبب السيطرة الكاملة من جانب رئيس الوزراء حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني بمعاونة السيدة موزة قرينة الأمير . ولا ننسي المشكلة الحدودية التي ثارت علي السطح أيضاً مؤخراً بين الإمارات العربية المتحدة – التي تعيش أهم إماراتها دبي أزمة اقتصادية خانقة – وبين سلطنة عمان وهي المشكلة التي دفعت بأمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح للتدخل والوساطة بين البلدين . وغير بعيدة أنباء الاضطرابات السياسية في جزر القمر بسبب ما يوصف بمحاولات الشيعة فرض مذهبهم هناك وفي جيبوتي حيث تخرج مظاهرات بالآلاف ضد نظام الرئيس إسماعيل عمر جيلة وبعد هدوء مؤقت في الصومال التي عانت لسنوات طويلة من الحروب الأهلية ولا تزال وإن كان ذلك بحدة أقل .

وإذا تحدثنا عن فلسطين فالأمر شديد السخونة في ظل خلافات سياسية عميقة أدت إلي شقاق متواصل منذ أكثر من عامين بين السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وبين حركة حماس في غزة بعد نجاح حماس في الانتخابات التشريعية وتشكيلها حكومة كانت هي الأولي من نوعها في التاريخ الفلسطيني .

هذه المقدمة الإجمالية لصورة الموقف في الدول العربية جميعها يمكن أن يتم سرد تفاصيلها في مجلد كامل ... لكن الحقيقة هي أن التفاصيل لا تبدو مهمة بالمرة عندما يتم الربط بين هذه التفاصيل السريعة الإيقاع والمتلاحقة وبين مخطط صهيو - أمريكي - أوروبي يستهدف اختراق المنطقة العربية والإسلامية لإنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي علي نحو يتناسب مع توجهات إسرائيل . وقد بدأ تفعيل هذا المخطط منذ قيام الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش بإعلانه عام ٢٠٠٤ خلال اجتماع مع زعماء دول مجموعة الدول الصناعية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وكندا واليابان وروسيا . وقد أطلق بوش علي هذا المخطط منطقة الشرق الأوسط الكبير التي تضم إلي جانب الدول العربية كلا من إسرائيل وباكستان وإيران وأفغانستان وتركيا، وقد عادت بعدها كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية والمستشارة السابقة لشئون الأمن القومي الأمريكي بالحديث عن خطتها الشهيرة لأحداث فوضى في منطقة الشرق الأوسط تنتهي بإعادة ترتيب الأمور علي أسس أفضل وهو ما أطلقت عليه الفوضى الخلاقة .

وتعتمد الخطة علي استثمار مجموعة من السلبيات داخل الدول العربية - وهي تتمثل في انتشار الفساد داخل الأنظمة العربية - وعلي رأسها مصر بالطبع - تتمثل في انعدام العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة وارتفاع معدلات الفقر بشكل مخيف

وزيادة الأمية وارتفاع معدلات البطالة وبخاصة في أوسط الشباب .

و الواضح تماماً أن هذا المخطط ليس جديداً بل هو مخطط قديم يتردد أن الكونجرس الأمريكي وافق عليه في جلسة سرية في عام ١٩٨٣ وبعدها تم وضعه في أجندات السياسة الأمريكية إلي أن عاد الحديث عنه خلال السنوات العشر الماضية . ويعرف هذا المخطط بخطة برنارد لويس لتفكيك العالم الإسلامي . وعلي رغم أن أجزاء من هذا المخطط نشرت هنا أو هناك في بعض الصحف ووسائل الإعلام الأمريكية والأوروبية إلا أن مواقع الإلكترونية متعددة أشارت إليه ونشر ت تفاصيليه علي مدي الأسبوعين الماضين . وأشارت تلك المواقع إلي أن المخطط الذي نشرت خطوطه العريضة مجلة وزارة الدفاع الأمريكية كان يتم التعامل معه علي أنه مجرد " نظرية المؤامرة " لكن ما حدث ويحدث في أفغانستان وما رايناه متحققاً أمامناً في السودان وقبله في فلسطين والعراق واليوم في تونس ومصر وليبيا واليمن وارصاهات التكرار في كل من البحرين والسعودية وغيرها لابد يدفعنا دفعاً إلي اليقين بأن ما يحدث الآن قد يكون هو تحقيق وتنفيذ للمخطط الذي يستهدف تفتيت العالم الإسلامي، وتجزئته إلي قطع صغيرة يكون فيها الكيان الصهيوني هو السيد المطاع .

من هو برنارد لويس ؟

صاحب المخطط هو برنارد لويس المولد في لندن عام ١٩١٦، وهو مستشرق بريطاني الأصل، يهودي الديانة، صهيوني الانتماء ، أمريكي الجنسية . تخرج من جامعة لندن ١٩٣٦ وعمل فيها مدرساً في قسم التاريخ للدراسات الشرقية الإفريقية . وكتب " لويس " كثيراً، وتداخل في تاريخ الإسلام والمسلمين، حيث اعتبر مرجعاً فيه من خلال نحو عشرين مؤلفاً عن الشرق الأوسط من بينها " العرب في التاريخ " و " الصدام بين الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط الحديث و" أزمة الإسلام " و " حرب مندسة وإرهاب غير مقدس " .

و اعتبرت صحيفة " وول ستريت جورنال " أن برنارد لويس المؤرخ البارز للشرق الأوسط هو المسئوول عن توفير الكثير من الذخيرة الأيدلوجية لإدارة بوش في قضايا الشرق الأوسط والحرب علي الإرهاب . وعلي رغم أن مصطلح صدام الحضارات يرتبط بالمفكر المحافظ " صموئيل هنتينجتون " فإن لويس هو أول من استخدمه في مقال كتبه عام ١٩٩٠ بعنوان جذور الغضب الإسلامي ، قال فيه : هذا ليس أقل من صراع بين الحضارات، ربما تكون غير منطقية لكنها بالتأكيد رد فعل تاريخي منافس قديم لتراثنا اليهودي والمسيحي وحاضرنا العلماني، والتوسع العالمي لكليهما " .

والمعروف أن لويس انتقد محاولات الحل السلمي للصراع العربي – الإسرائيلي، وانتقد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، واصفا هذا الانسحاب بأنه عمل متسرع ولا مبرر له، معتبراً أن إسرائيل تمثل الخطوط الأمامية للحضارة الغربية، وهي تقف أمام الحقد الإسلامي الزاحف نحو الغرب الأوروبي والأمريكي، ولذلك فإن علي الأمم الغربية أن تقف في وجه هذا الخطر البربري دون تلكؤ أو قصور، ولا داعي لاعتبارات الرأي العام العالمي، وعندما دعت أمريكا عام ٢٠٠٧إلي مؤتمر " أنابوليس " للسلام كتب لويس في صحيفة " وول ستريت " يقول :

" يجب أن لا ننظر إلي هذا المؤتمر ونتائجه إلا باعتباره مجرد تكتيك موقوت، غايته تعزيز التحالف ضد الخطر الإيراني، وتسهيل تفكيك الدول العربية والإسلامية، ودفع الأتراك والأكراد والعرب والفلسطينيين والإيرانيين ليقاتل بعضهم بعضاً، كما فعلت أمريكا مع الهنود الحمر من قبل " .

تفاصيل المشروع الصهيو –أمريكي

ويقضي مشروع برنارد لويس – كما أوردته العديد من المواقع الإليكترونية بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعاً كلا علي حدة، ومنها العراق سوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي ... ألخ، وتفتيت

كل منها إلي مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وقد أرفق بمشروعه المفصل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه شمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحه للتفتيت كما يلي :-

٤ دويلات مصرية

يري لويس أن يتم تقسيم مصر إلي أربع دويلات الأولي في سيناء وشرق الدلتا لتكون تحت النفوذ اليهودي الثانية دويلة مسيحية عاصمتها الإسكندرية تمتد من جنوب بني سويف حتى جنوب أسيوط و اتسعت غربا لتضم الفيوم وتمتد في خط صحراوي عبر وادي النطرون ليربط هذه المنطقة بالإسكندرية والدويلة الثالثة نوبية متكاملة مع الأراضي الشمالية السودانية وعاصمتها أسوان . وهي ربط الجزء الجنوبي الممتد من صعيد مصر حتى شمال السودان باسم بلاد النوبة بمنطقة الصحراء الكبرى لتلتحم مع دولة البربر التي سوف تمتد من جنوب المغرب حتى البحر الحمر . وتبقي الدويلة الرابعة وهي مصر الإسلامية وعاصمتها القاهرة وتضم الجزء المتبقي من مصر ويراد لها أن تكون أيضاً تحت النفوذ الإسرائيلي (حيث تدخل في نطاق إسرائيل الكبري التي يطمع اليهود في إنشائها .

٤ دويلات في السودان

وينطبق نفس التقسيم علي السودان التي يقضي المخطط بأن تصبح ٤ دويلات هي : دويلة النوبة المتكاملة مع دويلة

النوبة في الأراضي المصرية التي عاصمتها أسوان . ودويلة الشمال السوداني الإسلامي ودويلة الجنوب السوداني المسيحي : وهي التي أعلنت انفصالها في الاستفتاء الذي أجري بالفعل وأصبح أول فصل رسمي طبقاً للمخطط . أما الدويلة الرابعة فهي دارفور التي تتواصل المؤامرات لفصلها عن السودان بعد الجنوب مباشرة حيث أنها غنية باليورانيوم والذهب والبترول .

دول الشمال الإفريقي

ويتحدث المخطط عن تفكيك ليبيا والجزائر والمغرب بهدف إقامة ثلاث دول هي أولاً دولة البربر : وتنشأ علي امتداد دويلة النوبة بمصر والسودان . والثانية دويلة البوليساريو . والثالثة هي باقي دويلات المغرب والجزائر وتونس وليبيا .

شبه الجزيرة العربية والعراق والخليج

يتضمن المخطط إلغاء دول الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات العربية من الخارطة ومحو وجودها الدستوري بحيث تتضمن شبه الجزيرة والخليج ثلاث دول فقط هي : دولة الإحساء الشيعية وتضم الكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين والثانية دولة نجد السنية . والثالثة هي دولة الحجاز السنية .

أما العراق فالمخطط يستهدف تفكيكها علي أسس عرقية ودينية ومذهبية علي النحو الذي حدث في سوريا في عهد العثمانيين . بحيث تكون ٣ دويلات الأولي شيعية في الجنوب

حول البصرة والثانية سنية في وسط العراق حول بغداد . والثالثة دويلة كردية في الشمال والشمال الشرقي حول الموصل (كردستان) تقوم علي أجزاء من الأراضي العراقية والإيرانية والسورية والتركية والسوفييتية (سابق)، ويبدو هذا التقسيم الطائفي حقيقة قائمة اليوم إلي حد بعيد .

٤ دويلات في سورية

يقضي مخطط برنارد لويس إلي تقسيم سورية إلي أربعة دويلات متمايزة عرقياً أو دينياً أو مذهبياً . الأولي هي دولة علوية شيعية (علي امتداد الشاطئ) والثانية دويلة سنية في منطقة حلب والثالثة دولة سنية حول دمشق . أما الرابعة فتكون دولة الدروز في الجولان ولبنان (الأراضي الجنوبية السورية وشرق الأردن والأراضي اللبنانية) .

٨ دويلات لبنانية

يقضي مخطط برنارد لويس أن يتم تقسيم لبنان إلي ثمانية كانتونات عرقية ومذهبية ودينية :

دويلة سنية في الشمال (عاصمتها طرابلس) و دويلة مارونية شمالاً (عاصمتها جونية) و دويلة سهل البقاع العلوية وعاصمتها بعلبك تخضع للنفوذ السوري شرق لبنان . وبيروت الدولية (المدولة) وكانتون فلسطيني حول صيدا وحتى نهر الليطاني تسيطر عليه منظمة التحرير الفلسطينية وكانتون كتائبي في الجنوب والتي تشمل مسيحيين ونصف مليون من الشيعة

ودويلة درزية (في أجزاء من الأراضـــي اللبنانيـــة والـــسورية والفلسطينية المحتلة) وكانتون مسيحي تحت النفوذ الإسرائيلي .

تقسيم إيران وباكستان وأفغانستان

المخطط الجهنمـــي يقـضي بتقـسيم إيـران وباكـستان وأفغانستان إلي عشرة كيانات عرقية ضـعيفة هـي كردسـتان وأذربيجان وتركستان وعريستان وإيرانستان (ما بقي من إيـران بعد التقسيم) وبوخونستانوبلونستان و أفغانستان (ما بقـي منهـا التقسيم) وباكستان (ما بقي منها بعد التقسيم) وكشمير . وبالنـسبة إلي تركيا يري لويس أن ينتزع جزء منها ويـضم إلـي الدولـة الكردية المزمع إقامتها في العراق .

الأردن وفلسطين واليمن

ومن وجهة نظر المخطط العجيب يجـب تـصفية الأردن ونقل السلطة للفلسطينيين وبالتالي لا يكون هناك مشكلة في ابتلاع فلسطين بالكامل وهدم مقوماتها وإبادة شعبها . أما اليمن فيـري المخطط إزالة الكيان الدستوري الحالي للدولة اليمنية بـشطريها الجنوبي والشمالي واعتبار مجمل أراضيها جـزءاً مـن دويلـة الحجاز .

بقلم : حامد عز الدين

احذروا .... احذروا .... احذروا

أعتقد أنه كان من الصعب أو المستحيل التعامل مع مثـل هذا المخطط من قبل أنه أمر قابل للنقاش المنطقي خـصوصاً ان الولايات المتحدة الأمريكية لم تعترف بوجوده أساساً ولا يبدو أنها يمكن أن تعترف به لكونه مشروعاً سرياً حتى الآن .

إلا أن سرعة وسهولة إسقاط النظام في مصر وهو النظام الراسخ علي مدي ثلاثين عاماً من الحكم البوليسي العنيف ومن قبله سقوط نظام أبن علي في تونس الذي كان جاثماً بقوة علي صدور الشعب التونسي منذ ٢٧ عاماً يتضمن إشارة شديدة الوضوح إلي أن إسقاط أي نظام بعدها سيكون أيسر كثيراً بل أن مشاهدة سقوط النظام المصري تحديداً الذي أثبت هشاشة منقطعة النظير لغياب مؤسساته أصبحت هي الأغراء الأكبر لباقي الشعوب العربية التي تتأثر وإيجاباً بكل ما يجري في مصر .

سنوات الرويبضة

كما جاء في الجمهورية ٢٠١١/٣/٩

صراخ ... صراخ ... صراخ .... في كل مكان وكل مؤسسات أو قل أشباه المؤسسات لأننا اكتشفنا عدم وجود أي مؤسسات في مصر سوي مؤسسة مبارك ومن يحاول الكلام بصوت العقل لا يسمع وإذا سُمع يتهم بالعمالة والخيانة والموالاة للنظام البائد وأنه يحاول أن يجهض الثورة الأمر الذي دفع عدداً ليس بالقليل من الحكماء إلي التزام الصمت ليستولي علي المشهد الرويبضة الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ : (سيأتي علي الناس سنوات خدعات، يُصدق فيها الكاذب ويُكذب فيها الصادق، ويُؤتمن فيه الخائن ويُخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة يا رسول الله ؟ ..... قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة) .... والرويبضة في اللغة تعني التافه من الرجل القاعد عن المساعي الكريمة .

وما أكثر التوافه الذين يتحدثون ويرسمون ملامح مستقبل أعظم حضارة عرفتها البشرية ... ومع كل يوم يمضي منذ نجاح ثورة ٢٥ يناير في انتشال مصر من مستنقع الظلم بكل أنواعه أُمني نفسي قائلاً الآن سيتحدث العقلاء وأصحاب الفضل والعلماء الذين يخشون الله ... الآن سيتحدث شيخ الأزهر وستهدأ الحناجر إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث رغم مرور بلادنا الآن بمرحلة

مخاض بالغة الدقة والصعوبة ... وينتظر جميـــع النـــاس ولادة مستقبل جديد يبعث الأمل في نفوس عطشي للحق ... أمل تُرسم ملامحه بما يرضي الله ورسوله ولأن الصخب شديد والــصراخ أشد والكل الآن يلهث في محاولة للقفز علي عجلة قيادة هذه الأمة بالحق وبالباطل واستغلال الظروف لتحقيق مكتسبات لا يستحقها .. يصبح من الملح أن يعلن أصحاب الفضل والحق وبصوت بالغ القوة والوضوح المنهج الرباني الذي أخبرنا وعلمنا إياه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوي ... هذا المنهج الذي يصلح به ديننا ودنيانا وفيه حل لكل مشاكلنا نصاري ومسلمين .

فالكل الآن يطرح نفسه علي الناس ويعرض منهجه مبشراً به علي طوق النجاة لهذه الأمـــة ... العلمـــانيون والليبراليـــون والاشتراكيون وغيرهم يطرحون أنفسهم علي أنهم رسل المستقبل الواعد لهذه الأمة التي والله ما تحتاج إلا العودة إلى مـــنهج الله ... ومن المحزن أن يختفي الصوت الناطق بالحق تـــردداً فـــي الوقت الذي سخرت فيه مختلف التيارات وتسخر كـــل طاقاتهـــا وتستخدم كل منابرها ووسائل ضغطها لطرح بل وفرض رؤيتها في ظل غياب وصمت مطبق لأصحاب المنهج الحق .

ما أشد حاجة الأمة الآن إلي سماع قول الحق من جمـــوع علمائنا بلا أقصاء ولا استثناء الا يملك هؤلاء العلمـــاء الكثيـــر والكثير من الثوابت والأصول التي يجتمعون عليها والتي يمكـــن أن تكون القاعدة التي تلتف حولها كل الرؤى والآراء .

وعتابي علي علماء الدين الربانيين الذين تركوا الساحة للرويبضة الذين يسعون حثيثاً لقنص ثورة الشباب ضحوا بدمائهم من أجل هذا البلد ورغم شخوص ملايين الأبصار المتعطشة للحق نحو مشيخة الأزهر ينتظرون كلام الرمز الكبير في العالم الإسلامي ... فبالله عليك يا شيخنا أجلس مع علماء الأمة الربانيين لوضع حد لهذا التهارج .

قطار التغيير بدأ يتحرك مغادراً هذه المحطة وما زال العلماء في مرحلة التفكير وكأنهم يقولون أنستقله أم لا وكل دقيقة تمر علي هذه الحال تؤخرنا درجة والخوف كل الخوف أن يذهب القطار الذي يقود الأمة كلها دون هؤلاء الأفاضل ساعتها يقيناً سنعود سنوات وسنوات للوراء .

بقلم : محمد عبد الجليل

النفاق الأمريكي

كما جاء بالأخبار ٢٠١١/٣/٤

بينما الشعوب تصفق لأوباما لتشدقه بمناصرة ودعم انتفاضة هذه الشعوب ضد أنظمتها وحكامها . وجهت أمريكا لطماتها الدائمة والمعتادة للعرب والمسلمين برفض مشروع القرار العربي في مجلس الأمن المطالب بوقف الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة والمزمع إقامة الدولة الفلسطينية عليها مستقبلاً . هذا الرفض الأمريكي السافر ليس بجديد، ولكنه يكشف في ظل الظروف التي تمر بها المنطقة العربية أن هذا الدعم حق يراد به باطل، وأن هدفه ما هو إلا مداعبة الشعوب العربية في الانتفاضة بدعوى الحرية والديمقراطية والعيش في كرامة، وهي حقوق أصيل للشعوب كما هو حقها في رفض أنظمتها الدكتاتورية سواء رضيت أمريكا أو لم ترض . وأن ما يحدث ليس ببعيد عن اتفاقه مع هوى أمريكا وإسرائيل . والدعوة إلي الفوضى الخلاقة، ولن نفاجئ بعد ذلك بإثارة القلاقل في المنطقة تحت دعاوى عديدة بإثارة فتن وقلاقل الأقليات والأعراق ونعرات الاستقلال وحق تقرير المصير، لتفتيت العالم العربي وقوته إلي دول صغيرة ضعيفة، بل ومتنافرة مع بعضها، أقرب إلي المخالفات مع جيرانها غير العرب، من الحفاظ علي الوحدة العربية .

ضلال ونفاق الموقف الأمريكي من مساندة الشعوب العربية، يواكبه دعم أمريكي وأوربي غير مسبوق لإسرائيل برفض قرار وقف الاستيطان .. رغم تصريحات اوباما وسلفه بوش بتبني أمريكا لحق الفلسطينيين في إقامة دولتهم والجهود الصورية التي استخدمها للمماطلة والتغطية علي كل الممارسات العدوانية ضد الشعب الفلسطيني والتهام ما تبقي من أراضية لإقامة المستوطنات . أمريكا تري ما تقوم به بعض الأنظمة العربية ضد شعوبها، وما يحدث في ليبيا الآن انتهاكاً لحقوق الإنسان يستحق التدخل العسكري الدولي . أما جرائم الحرب التي تنتهكها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ضد الشعب الفلسطيني، والتي أدانتها كل قرارات الأمم المتحدة وأمريكا نفسها، فلا تستحق غير الإدانة لا أكثر ولا أقل مع ترك الحرية لإسرائيل ان تفعل ما تشاء في الفلسطينيين من قتل وتشريد واغتصاب الأرض .

حتى بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة الذي لا يهش ولا ينش في أي قضية في الدنيا، أصبح هو الآخر له رأي وقلبه موجوع من انتهاك الحكام العرب لشعوبهم . أما قتل الفلسطينيين فيراه استخداما غير مبرر للعنف .

ولم تنس أوربا الأخري الدخول علي الخط وتبارت دولها وتتفرع الآن لمناصرة الشعوب العربية . ونسوا ان هناك شعباً

يئن علي مدي ٦٢ عاماً تحت قهر وظلم الاحتلال، وإذا طالب بحقه في الحياة، فجزاؤه القتل والتشريد والتجويع من إسرائيل .

لا ينكر أحد حق المواطن العربي في اختيار حاكمه والحياة الديمقراطية السليمة والعيش في حرية وكرامة . ولكن ما يجب ان يعببه الأمريكان والأوروبيون أن تفاتهم للشعوب العربية سافر ومكشوف، وأن هؤلاء الحكام العرب أفتروا علي شعوبهم وأهدروا كرامتها وأساءوا إلي دولهم ومكانتها، بسبب المديح الزائف من قادة أوربا وأمريكا من اجل تحقيق مصالحهم !

بقلم : السيد النجار

الأخوان المسلمون و "الانتقال المنظم" للسلطة

جاء في كوموند ديبلوماتيك مارس ٢٠١١

نهاية شهر فبراير، قرر الإخوان المسلمون تأسيس حـزب الحرية والعدالة " كذراع سياسي يمكنهم من التأثير في مـستقبل البلاد .

علي خلاف معظم التوقعات، كانت الغلبة لأطراف علمانية وديموقراطية في تحالفات القوي – أحزاب، جمعيـات، شـبكات الإنترنت – التي دفعت بالانتفاضة المـصرية وقادتهـا . وقـد شاركت المنظمات الإسلامية أو شارك أعضاؤها بصفة فردية في هذه الانتفاضة، علي قدم المساواة مع تشكيلات كانت هامشية قبل بداية الثورة، ومجموعات أشبه بالمنفسين الأوربيون الشرقيين في عام ١٩٨٩ م منها بالأحزاب الجماهيرية أو الطلائع الثورية التي تبرز عادة في الثورات الاجتماعية .

وإذا أمكن تفسير التواضع الذي أتـسم بـه دور الحركـة الإسلامية في تونس بوحشية القمع الذي حد كثيراً من قدرة حزب النهضة علي التحرك، فأن الموقف الحذر الذي أعتمده الإخـوان المسلمون في مصر يجد تفسيره، من باب المفارقة، في مـوقعهم كحزب سمح النظام العسكري القائم بنشاطه .

والواقع أن أنور السادات، بعد تولية السلطة عقـب وفـاة جمال عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠، كـان قـد سـهل عـودة

الإخوان إلي الساحة العامة وتصعيدهم ليحدث توازن مع اليسار الناصري، أو الراديكالي . فاندرج الإخوان المسلمون بالكامل في سياق سياسات التحرر الاقتصادي " الانفتاح " الذي أشرف عليه هادم الناصرية هذا، الأمر الذي انعكس اجتماعياً في صفوفهم بالتأثير المتزايد لرجال ينتمون إلي البورجوازية المصرية الجديدة . إلا أنهم مع ذلك لم يعدلوا عن إبراز تدينهم في مواجهة تفشي الفساد، لا بل شكلت إدانة الفساد إحدى حججهم الأساسية لدي الشرائح البورجوازية الصغيرة التي تشكل أرضيتهم المفضلة .

وقد بنت جماعة الإخوان المسلمين نفسها كحركة سياسية دينية، كان هدفها الرئيسي – ولا يزال – هو أسلمة المؤسسات السياسية والثقافية المصرية، والترويج لاعتبار الشريعة مصدر التشريع القانوني، وهو برنامج يلخصه شعار الجماعة المركزي : " الإسلام هو الحل " . لكن الجماعة شكلت أيضاً ترياقاً سياسياً في مواجهة مجموعات أصولية متطرفة وعنيفة .

من جهته، أستمر السادات بالمراهنة علي الورقة الدينية لإضافة الشرعية علي سلطته عقائدياً في مواجهة المعارضة الاجتماعية والقومية . فبهدف التعويض عن تأثير اتفاقية السلام التي عقدها مع إسرائيل في ١٩٧٩ (بعد أقل من ستة أسابيع علي الثورة الإيرانية) والتي لم تحظ بتأييد شعبي، عدل الدستور في العام التالي لاقتراح الشريعة فيه كمصدر رئيسي للتشريع،

وذلك بالرغم من وجود أقلية مسيحية هامة في صفوف الشعب المصري .

بيد أن هذا التنازل لم يؤد إلي كسب تأييد الإخوان للمعاهدة الإسرائيلية المصرية . حينها قرر السادات وضع حد لنفوذهم .

ففي عام ١٩٨١، قبل بضعة أشهر علي اغتياله علي يد أعضاء في الجناح المتطرف للأصوليين الإسلاميين، شن ضدهم حملة واسعة من الإعتقالات .

بعد فترة وجيزة علي ارتقائه سدة الرئاسة كخلف للسادات أطلق حسني مبارك سراح الإخوان المسلمين المحتجزين . ففي البداية، قدم الرئيس الجديد نفسه علي أنه رجل معتدل ورزين، مبزاً الفرق بين أسلوبه وأسلوب سلفه المتغطرس . وحاول بدوره التفاهم مع الإخوان المسلمين ليزود نفسه بقاعدة شعبية مع حرصه علي استمرار نظام الحريات المقيدة الذي فرضه السادات عليهم للحد من نموهم .

المحافظون حذرون والشباب يطالب بالحريات السياسية

توترت علاقات الإخوان بالنظام في عام ١٩٩١، خلال مشاركة مصر في التحالف الذي قادته الولايات المتحدة ضد العراق خلال حرب الخليج . وقد تسبب هذا الصراع بمنعطف حاسم في العلاقات بين واشنطن وحليفتها السعودية من جهة وانتشار الأصولية الإسلامية المعتدلة علي المستوي الإقليمي، الذي تنتمي إليه الأحزاب الإسلامية الجماهيرية في الجزائر

ومصر وتونس، من جهة أخـري . فـشاركت تلـك الأحـزاب بالاحتجاج ضد الحرب، بما ضايق النظام الملكي السعودي الذي كان يحافظ علي علاقات معها حتى ذلك الحين . هكـذا سـهلت قطيعتهم مع الرياض تعرضهم للقمع بدرجات مختلفـة خـلال التسعينيات، بمباركة الولايات المتحدة وأوروبا .

خلال الأعوام العشرة الأخيرة، عرف الإخوان تضارباً بين النزعة الحذرة المحافظة لدي قادتهم الأكبر سناً والضغط الـذي مارسة جزء من كوادرهم الأكثر شـباباً، مـن اجـل المطالبـة بالحريات السياسية بقوة وفعالية . فمع حرصهم علي عدم إثـارة سخط النظام، أزداد انخـراطهم فـي المعارضـة الديمقراطيـة والوطنية . فشارك أعضاؤهم في حركة "كفاية" التـي ولـدت وسط مناخ التضامن مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية ، وتطورت في سياق معارضة الحرب علي العراق في عام ٢٠٠٣، قبل ان تفرض نفسها كقوة معارضـة للطـابع الـديكتاتوري للـسلطة ولمشروع توريثها الذي بدأت ترتسم ملامحه .

وصول حزب العادلة والتنمية، وهو حزب مسلم محـافظ، إلي السلطة في تركيا عبر الانتخابات البرلمانية في عام ٢٠٠٢، شجع المطالبين بالمزيد من الجرأة السياسية . وقد بـدأ وكـأن التجربة تؤكد علي إمكانية اعتماد نموذج كان يعتبـر حتـى ذاك الحين غير قابل للتطبيق . والواقع أن تعليق العسكريين القـسري للآلية الانتخابية في الجزائر، في يناير ١٩٩٢، ومن ثم اسـتقالة

نجم الدين أرباكان الإجبارية في تركيا في عـام ١٩٩٧، وقـد أقصاه الجيش بعد عام علي تولية رئاسة الحكومة، كانا قد اظهر أن الوجهة البرلمانية مسدودة أمام الحركات الإسلامية في البلدان التي تخضع فيها السلطة السياسية للسيطرة العسكرية

ثم أشارت التجربة التركية الجديدة إلي تغيير في هـذا المجال، لاسيما وأن واشنطن والاتحاد الأوروبي قد باركـا هـذا المسار الجديد . فبعد سقوط الذريعة الرسمية لاجتياحها العـراق (أي وجود أسلحة دمار شامل) في عام ٢٠٠٤، تحججـت إدارة بوش بـ "ترويج الديموقراطية " كهدف معلن لسياستها في الشرق الأوسط .

ونتيجة للتطور المطمئن للتجربة التركية ، ارتفعـت فـي واشنطن أصوات تطالب بموقف أكثـر انفتاحـاً إزاء الإخـوان المسلمين المصريين . فخضع حـسني مبـارك علـي مـضض لضغوط الولايات المتحدة ، وسمح بتعددية أكبر في انتخابات عام ٢٠٠٥ متنازلاً عن المزيد من المقاعد للمعارضة، كان أكثرهـا من نصيب الإخوان المسلمين . هكـذا أمـل مبـارك أراد أن يبرهن بهذا الشكل أن إجراء انتخابات حرة في مصر سيصب في مصلحتهم أكثر من سواهم . وبعد بـضعة أشـهر، فـي ينـاير ٢٠٠٦، جاء الفوز الانتخابي لحركة حماس الفلسطينية ليُخمد أية رغبة لدي إدارة بوش في " ترويج الديمقراطية " فـي المنطقـة بشكل عام، وفي مصر بشكل خاص .

تولي باراك أوباما الرئاسة في الولايات المتحدة، والخطاب الذي ألقاه في القاهرة في ٤ يونيو ٢٠٠٩ و الذي أكد فيه علي دعمه للتحول الديموقراطي في المنطقة، أثار حماسة المعارضة ضد مبارك . فبعد تردد، قبل الإخوان تمثيلهم في " الجمعية الوطنية للتغيير "، وهي التحالف ذو الغالبية الليبرالية الذي تأسس في فبراير ٢٠١٠ وأبرز أعضائه د . محمد البرادعي .

بالرغم من ذلك، تجاهل الإخوان بعد بضعة أشهر دعوات المعارضة الليبرالية لمقاطعة الانتخابات البرلمانية المزمع إجراؤها في نوفمبر – ديسمبر، وشاركوا في دورتها الأولي علي أمل الحصول في المقابل علي تجديد قسم كبير من مقاعدهم .

فجاءت النتيجة بما لم يبق أمامهم من خيار سوى مقاطعة الدورة الثانية . حصلوا علي مقعد واحد، لنائب تم فصله من الجماعة لعدم التزامه بمقاطعة الدورة الثانية، مقابل ثمانية وثمانين مقعداً في المجلس المنتهية ولايته .

أدت تلك الانتخابات إلي تفاقم السخط لأقصي حدوده، في بلد يعيش فيه ٤٤ في المائة من السكان بأقل من دولارين يومياً، وتباهي فيه بورجوازية وأصولية جشعة بترف لا يضاهيه سوى ترف أغنياء مشايخ النفط الخليجيين . هكذا أصبح البلد أشبه ببرميل من البارود، وجاءت الشرارة من تونس . فدعت شبكات وتحالفات من المعارضين الشباب إلي التظاهر في ٢٥ يناير ٢٠١١ . ومرة أخري، خشيت جماعة الإخوان المسلمين من

إثارة سخط النظام عليها، فقررت عدم الانضمام إلي هذه الدعوة . ولم تلتحق بالحركة سوى في اليوم الثالث، إذ قررت توظيف قوتها المنظمة في التظاهرات . وفي الوقت نفسه، حرص قادة الإخوان علي كيلِ المديح للجيش، لعلمهم بأن هذه النواة الصلبة للنظام هي التي سوف تحسم الأمور في النهاية .

الجماعة ترفض " الدولة الدينية "
وتؤيد " دولة مدنية مرجعية إسلامية "

عندما عين مبارك رئيس جهاز المخابرات، عمر سليمان، نائباً له، دعا المعارضة إلي " الحوار "، فوافقت قيادة الإخوان علي اللقاء به . ساهم هذا الموقف، إضافة إلي رفضها المشاركة في المرحلة الأولي للانتفاضة، في التقليل من مصداقيتها لدي " الشباب " قادة التحرك . أخيراً، عندما تنحي مبارك، حيا الإخوان المجلس العسكري وطالبوا بالإفراج عن المعتقلين السياسيين ورفع حالة الطوارئ . وأعلنوا عن مشروع تأسيس حزب سياسي شرعي .

هكذا تستعد جماعة الإخوان المسلمين للمساهمة في الانتقال المنظم للسلطة (Orderly Transition)، الذي لم تكف واشنطن عن التوصية به منذ بداية الانتفاضة المصرية .

وقد أعطت الجماعة ضمانات لهذه الغاية، مؤكدة علي أنها لا تطمع إلي الاستيلاء علي السلطة، إنما فقط إلي التمتع بحقوق ديموقراطية . وهكذا شرح أحد قادتها، عصام العريان، إلي

صحيفة New York Times، في ٩ فبراير، " ما يريده الإخوان المسلمون " قائلاً : ليس في نيتنا لعب دور طاغ في الانتقال السياسي القادم . ولن نقدم مرشحاً عنا للانتخابات الرئاسية المرتقبة في سبتمبر . إذ يريد الإخوان " إنشاء دولة ديموقراطية ومدنية "، مع إعتراضهم علي " الديموقراطية العلمانية الليبرالية علي الطراز الأمريكي والأوروبي، ورفضها القاطع إدخال الدين إلي الحياة العامة " (١) .

ثم كان العريان أكثر وضوحاً في مؤتمر صحفي عُقد في اليوم نفسه في القاهرة، حيث شدد علي أن الإخوان هم " ضد الدولة الدينية " – أي بكلام آخر، ضد الدولة التي يريدها رجال الدين علي الطريقة الإيرانية – لكنهم " مع الدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية" (٢). و " المرجعية " تعبير قد يشير إلي سلطة قضائية من العلماء المسلمين مكلفة بالتحقق من توافق القوانين التي يصوت عليها البرلمان مع الإسلام، ومزودة بحق نقض تشر يعي لهذه الغاية علي غرار ما نص عليه مشروع برنامج الجماعة الذي تم الإعلان عنه عام ٢٠٠٧، ولم يعتمد رسمياً . وقد زاد من الاحتجاج علي هذا المشروع تأكيده علي أن رئاسة مصر لا يمكن أن تعود إلي إمراة أو غير مسلم .

ولتأمين دعم الإخوان المسلمين لهم، عين العسكريون في لجنة التعديل الدستور أحد أبرز أعضاء الجماعة، المحامي والنائب السابق صبحي الصالح، وهو صاحب كتاب معاد

للعلمانية . وعينوا علي رأس اللجنة نفسها طارق البشري، وهو قاض انتقل من قومية ناصرية إلي فكر يشدد علي الهوية الإسلامية لمصر وضرورة استنادا تشريع البلد إلي الشريعة . هذا وفي الخطاب الذي ألقاه في القاهرة خلال التظاهرات الكبرى التي جرت يوسف القرضاوي، إلي وضع حد للإضرابات ومنح الجيش بعض الوقت، مع دعوته إياه لتغيير الحكومة .

هكذا ترتسم ملامح " الانتقال المنظم " الذي يخطط له العسكريون برعاية واشنطن : التوجه المعتمد هو الديموقراطية الانتخابية تحت إشراف الجيش، علي غرار العملية الانتقالية التي تمت في تركيا بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٣ وجه اخر للنموذج التركي " يلوح في الأفق : إمكانية وصول حزب إسلامي النزعة إلي السلطة ، وتعاونه مع العسكريين في إدارة البلد . وقد يكون مثل هذا التعاون أكثر سهولة في مصر، لأن الجيش فيها لا يلعب البتة دور حامي العلمانية الذي يّدعي لعبه في تركيا . إلا أن التوافق سيبقي معقداً، طالما لم يشهد الإخوان المسلمون حركة تجديدية علي غرار تلك التي نتج عنها حزب العدالة والتنمية التركي، وطالما استمروا في إثارة حذر الولايات المتحدة وعداء إسرائيل بسبب موقفهم من قضية فلسطين .

لكن طالما لم تخنق الطاقة الثورية الكالمة التي تجلت في ٢٥ يناير، قد يؤدي تحذرها الذي تشير إلي احتماله موجة النضالات الاجتماعية التي أعقبت استقالة حسني مبارك، إلي

ولادة تيار يساري قد يبدو الإخوان المسلمون مقارنة به اهون الشرين، سواء بالنسبة لواشنطن أو للعسكريين المصريين .

* Gilbert ACHCAR أستاذ في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية (SOAS) في جامعة لندن . أخر مؤلفاته العرب والمحرقة النازية : حرب الروايات العربية – الإسرائيلية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ودار الساقي، بروت ٢٠١٠ .

---

(1) Essam EL-Errian , What the Muslim Broth– ers Want A " , The New York Times 9/2/2011 .

(٢) الإخوان المسلمون : نرفض الدولة الدينية لأنها ضد " الاسم " Ikhwan on line. ٩ فبراير ٢٠١١

الاسم الحركي "مرويس صادق" رئيس جمعية قبطية أمريكية

يطلب من " ليبرمان " فرض وصاية دولية علي مصر ... والكنيسة وصفته " تأدباً " بـــــــ " المجنون "

صحيفة المصرى اليوم الأحد ١٦ مايو ٢٠١٠

خروجاً عن السياق العام، أرسل موريس صادق، رئيس الجمعية الوطنية القبطية في أمريكا خطاباً إلي وزير الخارجية الإسرائيلي المتشدد أفيجدور ليبرمان، طالبه بتدخل إسرائيل لفرض الوصاية الدولية علي مصر .

الخطاب كما نشره موريس علي موقعه الإلكتروني ملئ بكثير من المغالطات من عينه ((نحن ٢٢ مليوناً من أبناء الشعب القبطي المقهور من الغزاة العرب المحتلين لبلدنا مصر، وأخوة لمليون من اليهود المصريين المحتمين بأرض إسرائيل العبرية بعد أن شردهم من مصر الإخوان المسلمون)) .

وأضاف : ((منظمة الأمم المتحدة غافلة عن وضع مصر تحت الوصاية الدولية رغم ما يتعرض له الشعب القبطي من اضطهاد وتمييز عنصري)) . معتبراً أن المحرقة التي تعرض لها اليهود في ألمانيا النازية، هي نفس ((الهولوكوست الذي يتعرض له أقباط مصر .

واتهم صادق في خطابه من سماهم ((الخونة الأقباط)) بتقاضي ((ثمن خيانتهم)) من ((النظام العربي الإسلامي في مصر)) مقابل ((اغتيال الوطنين الأقباط إعلامياً بطريقة أمنية))،

ليبرمان .. إن الأقباط يعلمون شجاعتكم وأنكم تحترمون القوانين الدولية وتسمعون صراخ أمهات البنات الأقباط، والجمعية الوطنية القبطية الأمريكية تناشدكم رفع وضع الأقلية القبطية في مصر إلي الأمم المتحدة لفرض الوصاية الدولية علي مصر حماية للأقباط)) .

قيادات الكنيسة القبطية استقبلت خطاب صادق بحالة من الرفض، ووصفت موريس بأنه ((عار علي الأقباط في الداخل والخارج))، وقال القمص عبد المسيح بسيط، أستاذ اللاهوت الدفاعي في الكلية الإكليريكية : ((عبر تاريخ الكنيسة المصرية كله ومنذ دخول عمرو بن العاص مصر لم تستعن الكنيسة بأي دولة خارجية حتى في أشد عصور التمييز الذي حدث من بعض الولاة)) . وأكد بسيط وجود ((عداء تاريخي)) بين الكنيسة المصرية وإسرائيل، مشيراً إلي قرار البابا شنودة منع زيارة القدس في ظل الاحتلال . ((لم ولن تنساه إسرائيل لما ترتب عليه من عرقلة لعملية التطبيع بالإضافة إلي الخسائر المادية التي تتكبدها السياحة الإسرائيلية ، وهو ما دفع اليهود إلي احتلال دير السلطان وتسليمه للأحباش نكاية في الكنيسة المصرية الوطنية)).

وأضاف : ((عندما يقوم شخص من أمثال موريس صادق بهذا التصرف الأحمق، فإنه إما أن يكون مجنوناً ولا يعي ما يقوم به، أو لديه دوافع خبيثة لا تمثل إلا شخصه)) .

بقلم : عمرو بيومي

استغلال الدين في السياسة... تجارة عالمية

كما جاء في الأخبار ٢٠١٠/١١/١٥

هذا الذي يحدث في العالم العربي وبعض الدول الإسلامية يثير الذهول و الاشمئزاز، ويجعل المرء يتساءل عن الهدف البعيد من وراء كل هذا الذي يجري من اعتداءات هجمية علي بشر مؤمنين يؤدون الصلاة سواء في المساجد أو الكنائس .

وهنا نلاحظ ظاهرة تلفت النظر، وهي : التطابق في أفكار ومناهج وأساليب ومنطق غلاة المتطرفين وأعداء مفهوم الدولة الوطنية من اليهود والمسلمين والمسيحيين .

وهذا التطابق يؤدي إلي تدمير شعوب عربية وإسلامية وإهدار قضاياها بحيث تخسر كل شئ في نهاية المطاف .

وقد جاء وقت زعم فيه الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش " الأبن " أن الله يقف إلي جانبه في غزو العراق (!) وبالتالي فأنه يتوجب علي حكومته أن تكون علي استعداد لضرب أي مكان " مظلم " في العالم .

واعتبر الرجل أن العراق من بين هذه الأماكن " المظلمة "، وتصور أنه رئيس الكرة الأرضية !

وهنا يذكرنا بوش بالرئيس الأمريكي " وليام ماكنلي " الذي أعلن في عام ١٨٩٨ إن الله أمره بالسيطرة علي جزر الفلبين بهدف جعل سكانها " أكثر حضارة ودفعهم لاعتناق المسيحية "(!)

وأدعي " ماكنلي " أنه تحدث إلي الله بينما كـان يتمـشي، بعـد منتصف الليل، في ممرات البيت الأبيض !!

وكان بوش ينتمي إلي الأصولية الدينية المتعصبة عنـدما أكد مقولة " شعب الله المختار " فـي خطابـه أمـام الكنيـست الإسرائيلي، كما لو كان يريد أن يقول أن " وعود الرب " تنتظره من أجل تنفيذها ! وهكذا أعطي بوش نفسه الحق فـي اسـتخدام الدين لأغراض سياسية .

أن التطرف الديني هو نفسه سواء كان يهودياً أو مـسيحياً أو إسلامياً .



هناك من يتسابقون لتقديم أفكارهم في ثوب ديني وأخلاقـي وإيماني، ويوظفون الكتب المقدسة في معـارك سياسـية وغيـر سياسية . وكما جرت العادة فإن هؤلاء المتطرفين يفترضون أنهم يمثلون الحق، أما غيرهم فأنهم يجسدون الباطـل دون سـواه . وهناك من يقدمون لنا أمريكا الآن بوصفها " بلـد الـرب " مـع استمرار محاولات " تديين " السياسة الأمريكية . والمعـروف أن بوش قدم نفسه في الساحة الدولية باعتبـاره المرشـد الروحـي للعالم، وكان يحاول صياغة بعض خطاباته علـي الأقـل بلغـة تبشيرية صريحة . ويشترك المتطـرف اليهـودي والمـسيحي والمسلم في نفي الآخر بشكل مطلق، علي أساس أن الله – علـي حد زعم كل منهم – أعطي الحق الكامل لأحد الأديان دون غيره مما يعطيه " مشروعية " القتال مـن أجـل تحقيـق مـا يـراه

صحيحاً... وممارسة عمليات التدمير والعنف والتخريب والقتل الجماعي تحت لأفتة الدين . وأصبحنا نشهد في عالم اليوم ظواهر مخفية حيث ترتكب الجرائم والفظائع باسم الدين، بل يتم ابتكار المعارك الفارغة التي تستند إلي التضليل، ومهاجمة كل إرادة في التغيير والتحديث، واعتباراً كل عملية تجديد مجرد مروق وفسق ! انه نفس النهج الذي تطبقه الحركة الصهيونية وإسرائيل، وأتذكر الآن ما قاله مؤسس مجموعة " الزمالة الدولية بين اليهود والمسيحيين " الحاخام الأمريكي " يشيان اكتشيان " لأعضاء تجمع كنيسة الحياة الجديدة " في ولاية كولورادو " الأمريكية ومستشاريها يعلمون أننا إذا أدرنا ظهرنا إلي إسرائيل، فإن الله سيدير ظهره لنا " ! ولا تتوقف تصريحات الحاخام الإسرائيلي " عوفاديا يوسف " الذي يردد في وصف العرب أنهم أسوأ من الأفاعي السامة وأنه يتمني أن يصابوا جميعاً بالطاعون ويموتوا !

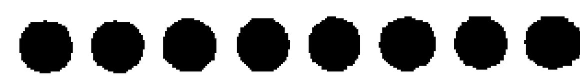
وهنا أيضاً تنبغي الإشارة إلي الدارسة التي وضعها المستشرق اليهودي الأمريكي الدكتور برنارد لويس عام ١٩٨٧ بناء علي طلب وزارة الدفاع الأمريكية، وكانت الأساس في طرح نظرية " وجوب إعادة النظر في الخريطة السياسية للشرق الوسط من باكستان حتى المغرب، بحيث يكون لكل جماعة دينيبة أو مذهبية أو عرقية كيان سياسي خاص بها " !

والمعروف أن إسرائيل تثبت هذه الدارسة فيما بعد وجعلتها أساساً لسياستها في المنطقة، وكانت تأمل منذ عام

١٩٨٠ أن يشهد عقد الثمانينيات بداية ولادة لدول عرقية كردية وأمازيجية وأفريقية وسنية وشيعية ومارونية ودرزية وعلوية.... ألخ . ويقع غزو إسرائيل للبنان في عام ١٩٨٢ في إطار تنفيذ هذه الاستراتيجية .

وتصف المراجع الأكاديمية الأمريكية " برنارد لويس " بأنه أكثر المفكرين السياسيين تأثيراً في السياسة الخارجية الأمريكية رغم أنه تجاوز التسعين من عمره .

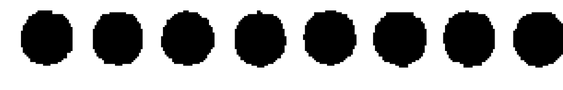
وفي هذا العام أصدر " برنارد لويس " كتاباً جديداً بعنوان " الإيمان والقوة : الدين والسياسة في الشرق الأوسط " لكي يعلن " ان علي الغرب أن يختار بين أمرين، إما أن يحرر دول الشرق الأوسط، وذلك عن طريق تقسيمها إلي دويلات، أو أن يتوقع الدمار عن طريق هذه الدول " !



في الوقت الذي يعلن فيه حكام إسرائيل وحماياتهم الأمريكيون والمتطرفون من قادة الحركة الصهيونية العالمية أن إسرائيل يجب أن تكون دولة لليهود فقط . وبينما أعلن زعماء أمريكا منذ سنوات أن العالم ينقسم إلي " معسكر الخير ومعسكر الشر " و يتنازعه " أبناء النور و أبناء الظلام " .... يؤكد أسامة بن لادن، زعيم تنظيم القاعدة الإرهابي، أن العالم ينقسم إلي " فسطاط الإيمان وفسطاط الكفر " .

كما أن أعداء الدولة الوطنية والمواطنة والتسامح في العالم العربي يرفضون الدولة المدنية ويرفضون " شعار الدين لله

والوطن للجميع " ويرو دون نفس المقولة الإسرائيلية التي ترفض التعددية الدينية داخل البلد الواحد . كما لو كان المطلوب هو تحقيق أكبر قدر ممكن من التشرذم والتفتت مما يؤدي إلي انهيار الإجماع الذي قامت عليه دولة ما بعد الاستقلال وضرب كل مرتكزات وجودنا الاجتماعي .... بدلاً من بناء الدول وتطوير مفهوم المواطنة . ويبدو أيضا أن هناك من ترتبط مصالحهم بأبعاد الأنظار عن القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الكبرى التي تواجه العالم العربي .



وعندما تقع جرائم قتل جماعي من نوع ما حدث مؤخراً في باكستان، مثل تفجير المساجد أثناء أداء المسلمين للصلاة، وهو ما يتكرر حدوثه في العراق .... وعندما يتم تفجير كنيسة في بغداد أثناء أداء المسيحين للصلاة أو قتل مسيحيين أثناء خروجهم من الكنيسة في نجع حمادي بعد أدائهم صلاة عيد الميلاد ..... وعندما تتعمق وتتفاهم التقسيمات الطائفية في دول مثل العراق ولبنان والسودان حيث ينفصل المسيحيون عن المسلمين في دولة مستقلة . واليمن والبحرين والصومال ومصر..... فأننا نشعر بأن المنطقة العربية تتجه عكس التطور التاريخي للدول والشعوب، وأنه بدلاً من الدولة الأمة ...فأن هناك من يحاول الاتجاه إلي الدولة الطائفة أو الدولة المذهب أو الدولة العشيرة . والنموذج لهذا التوجه ... هو قيام دولة إسرائيل علي أساس ديني .

لقد اصبح الصراع السياسي مغلفاً بالدين وهناك من يحاول طرد المسيحيين من الجغرافيا بعد طردهم من التاريخ، والمؤسف أنه وقعت هجرات واسعة من المسيحيين من لبنان وفلسطين والعراق ومصر، رغم أن العرب المسيحيين كانوا قادة الفكر العروبي والوحدوي ، ورغم أن زوال المسيحيين ...يزيل عن العرب عروبتهم، لأنه – لولاهم – لكانت الهوية الإسلامية كافية ومكتفية بذاتها ولا حاجة معها إلي هوية أخري .

وتكفي الإشارة إلي أن إسرائيل نجحت حتى الآن في تفريغ القدس من العدد الأكبر من المسيحيين عن طريق التهجير – وكانوا يشكلون أغلبية سكانها – بحيث أصبحت نسبة المسيحيين في كل فلسطين التاريخية الآن لا تتجاوز ٢% كما أن عدد المسيحيين الذين بقوا في العراق لا يتجاوز ٨٧ ألف وكانوا مليون وربع قبل غزو أمريكا للعراق .

نحن في حاجة إلي تحصين العالم العربي سموم الطائفية والمذهبية التي تمهد لتنفيذ المخطط الأمريكي – الإسرائيلي بتحويل العالم العربي إلي كيانات طائفية ومذهبية وعرقية هشة، كما أننا في حاجة إلي تقوية كل أجهزة المناعة في العالم العربي لمقاومة هذا الخطر الداهم والزاحف .

بقلم : نبيل زكي

((يهودية إسرائيل))

كما جاء بالأخبار الثلاثاء ١٢ / ١٠ / ٢٠١٠

قبل ٩ سنوات ألقي كولين ياول وزير الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت خطاباً عن الشرق الأوسط دعا فيه الفلسطينيين للاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية .

لا يتذكر ياول كيف أضيف تعبير يهودية إسرائيل إلي خطابه لكن وطبقاً لواشنطن اعترف ديفيد إيفري سفير إسرائيل في الولايات المتحدة في ذلك الوقت انه اقنع ريتشاد ارميتاج نائب ياول بدس عبارة يهودية الدولة خلسة لخطاب ياول .. ليصدر أول تصريح لمسئول أمريكي عن يهودية دولة إسرائيل اعتقد ياول أنه ربما تمت إضافة هذه العبارة للخطاب لتعطي بعض التوازن، لأن الخطاب كان يحوي عبارات بدت وكأنها تميل نحو الفلسطينيين الأبرياء)) ويطالبها ((بوقف بناء المستوطنات)) . هل هناك وقاحة وجرأة أكثر مما فعله السفير الإسرائيلي الذي غير في خطاب وزير خارجية أمريكا في محاولة لترسيخ فكرة يهودية دولة إسرائيل في أذهان أمريكا والعالم ؟ ... الرئيس بوش في عام ٢٠٠٤ التقط عبارة إسرائيل دولة يهودية واستخدمها في خطبه وفي الرسائل المتبادلة بينه وبين رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون .... أوباما في خطابه قد أعلن عندما كان مرشحاً للرئاسة أمام لجنة أمريكية إسرائيلية أن أي اتفاق مع الشعب

الفلسطينية يجب أن يحافظ علي هوية إسرائيل كدولة يهودية . انتشر تعبير ((دولة يهودية)) في المقالات الصحيفة والبرامج التليفزيونية الأمريكية ليترسخ في الأذهان في النهاية وتصبح أمراً واقعاً وهو أسلوب دائماً في تحقيق أهدافها .

يقول الكاتب جلين كسلر في مقال بواشنطن بوست : إن اعتراف الفلسطينيين بإسرائيل كدولة يهودية يعني أن لا حق للاجئين الفلسطينيين الذين فروا أو أجبروا علي الفرار عند إنشاء دولة إسرائيل في العودة إلي ديارهم ((٥,٥ مليون لاجئ)) وحق العودة يعتبره الفلسطينيون حقاً مقدساً ويتمسكون به .... تتسيبي ليفني زعيمة المعارضة ساهمت شخصاً عندما كانت مساعدة لشارون في إقناع الرئيس بوش بأهمية يهودية الدولة لإسرائيل ولهذا أكد بوش في عام ٢٠٠٤ أن الولايات المتحدة ملتزمة بأمن ورفاهية إسرائيل كدولة يهودية . وقال أيضا : أن علي الفلسطينيين أن يتوقعوا أن يعيشوا في فلسطين وليس إسرائيل .

طلب إيهود أولمرت الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية في ١١ نوفمبر ٢٠٠٧ قبل مؤتمر أنابوليس محاولاً فرض هذا الطلب كشرط إسرائيلي للاعتراف بدولة فلسطين واعتبرها نقطة انطلاق لأي مفاوضات في مطار بن جوريون أعلن بوش في ٢٠٠٨/١/٩ أن التحالف بين بلاده وإسرائيل ساهم في ضمان إسرائيل كدولة لليهود. وفي إبريل ٢٠٠٩ أثار أولمرت موضوع يهودية الدولة أمام جورج ميتشل المبعوث الأمريكي للشرق

الأوسط وطلب اعتراف الفلسطينيين بإسرائيل كدولة يهودية مطلب إسرائيلي للموافقة علي إنشاء الدولة الفلسطينية .... ويري الفلسطينيون أن الإصرار علي يهودية إسرائيل فخ ومناورة سياسية إسرائيلية لعرقلة المفاوضات وعدم مطالبة إسرائيل بوقف بناء المستوطنات .

بقلم : سهير جبر

بسم الله الرحمن الرحيم

تم هذا الكتاب بتوفيق من الله وتسديد منه وحده ليلة القمر ١٤ جماد أول سنة ١٤٣٢ هجرية الموافق ١٧ أبريل ٢٠١١ ميلاديه فلله الحمد .

المؤلف

أحمد محمد عركز


قائمة المراجع

١. كتاب الله عز وجل .
٢. صحيح البخاري .
٣. صحيح مسلم .
٤. جمع الجوامع للسيوطي .
٥. تفسير القرآن العظيم لأبن كثير .
٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .
٧. التفسير المنير لوهبة الزحيلي .
٨. الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر .
٩. خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي .
١٠. نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .
١١. سيرة ابن هشام .
١٢. البداية والنهاية لابن كثير .
١٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.
١٤. إعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشي .
١٥. سبل الهدي والرشاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن يوسف الشامي .
١٦. تاريخ العالم لديورانت .
١٧. صحيح الجامع الصغير لمحمد ناصر الدين الألباني .
١٨. فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي .
١٩. الرسول القائد للواء محمد شيت خطاب .
٢٠. قادة الفتح الإسلامي للواء محمود شيت خطاب .
٢١. حياة الصحابة لمحمد يوسف الكندهلوي .
٢٢. اضمحلال الإمبراطورية الرومانية لإدوارد جيبون .

٢٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير .
٢٤. صفوة الصفوة لأبن الجوزي .
٢٥. الموسوعة العربية الميسرة .
٢٦. جند الله لسعيد حوي .
٢٧. شعب الإيمان للبيهقي .
٢٨. الإسلام والسياسة د . محمد عمارة .
٢٩. معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام . د. إبراهيم سليمان.
٣٠. الصحوة الإسلامية . د . مصطفي حلمي .
٣١. دولة الفكرة . د. فتحي عثمان .
٣٢. دستور أمة الإسلام . د. حسين مؤنس .
٣٣. المسلمون والآخر . د. عبد الباسط محمد آمين .
٣٤. مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية .
٣٥. الصحوة الإسلامية . د. يوسف القرضاوي .
٣٦. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف .
د. يوسف القرضاوي .
٣٧. تجديد الدين وأحيائه . د. أبو الأعلي المودودي .
٣٨. بين الدين والمدنية . د. أبو الحسن الندوي .
٣٩. كيف نحكم بالإسلام في دولة عصرية .
د. أحمد شوقي الفنجرى .
٤٠. الحكومة الإسلامية . د. محمد حسين هيكل .
٤١. العواصم من القواصم . د. لأبي بكر العربي المالكي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب صدرت للمؤلف

١. حضارة الإسلام وحضارة الغرب .
٢. كرامة الإنسان وحقوقه في الإسلام .
٣. صمود الإسلام عبر القرون والأعوام .
٤. يا غرب هذه عطور من سيرة الرسول .
٥. مختصر كتاب صمود الإسلام .
٦. القرآنيون والسنة .
٧. در منثور حول الرسول (ﷺ) .
٨. سيهزمون ويولون الدبر .
٩. قذائف الحق تدمغ البهائية .
١٠. مختصر كتاب سيهزمون ويولون الدبر .
١١. كرامة القوارير وحقوقهن في الإسلام .
١٢. يا غربي يا شرقي هذه أسنان المفتاح .
١٣. أيام وليالي رمضان يا قوت ومرجان .
١٤ . الإسلام يقود الحاكم والمحكوم .

كتب تحت الطبع

١. مع المرسلين نصلح الدنيا بالدين .
٢. ريحان من آيات الرحمن .
٣. دولة الإسلام سوف تعود .
٤. هذا إسلامنا .
٥. آيات الكون وأحوال الآخرة .
٦. من الإرهابي.



رقم الإيداع : 2011/7416

الترقيم الدولى : 8-881-327-977-978

مع تحيات

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: 5274438 - الإسكندرية

الإسلام
يقود الحاكم والمحكوم

تأليف
أحمد محمد عركز



